

الطبعة الأصلية

2000

موسوعة

# الأديان في العالم

Editio Creps®

Religions of the World

الدروز الموحدون





موسوعة الأديان  
في العالم



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

# الدروز الموحدون

**Edito Creps, INT· 2000 - 2001**

---

**BEYROUTH ,TEL :01/586207 - 01/586219 - 03/240824 - FAX 009611584391**

**جميع حقوق النشر و الطبع و الإقتباس محفوظة للناسر في جميع أنحاء العالم**

Tous droits réservés dans le monde.  
Reproduction même partielle interdite

All rights reserved throughout the world.  
No part of this publication may be reproduced in any form

# المقدمة

## هذه الموسوعة

---

يسر دار كريس انترناشيونال أن تقدم إلى جمهور القراء العرب «موسوعة الأديان في العالم» التي استغرق إعدادها زهاء السنتين بالتعاون التام والوثيق مع شركة Sydney Theological Publication Company Pty. in Australia التي زودتنا بالمعلومات والإحصائيات القيمة التي وردت ضمن هذه الموسوعة الشاملة لكافة الأديان في العالم. كما تعاون البروفيسور جان ماري كريزاس في جمع المراجع الدينية المسيحية وترجمة وتحرير المواضيع المختصة بكافة الطوائف المسيحية.

قامت وحدة الترجمة والنشر في دار كريس انترناشيونال بأعمال ترجمة ونقل المواضيع المتعلقة بالأديان القديمة والسماوية من مراجع عديدة باللغة العربية وباللغتين الألمانية والفرنسية وأشرف على جمع وتنسيق ونقل المواضيع المختصة بالطوائف الإسلامية الدكتور جمال بن مذكور.

الحاصل على شهادة الدكتوراه في الفقه الإسلامي من جامعة مونيخ في فرنسا.

أصدرنا الموسوعة بعشرة أجزاء وأشرفنا في نهاية كل جزء إلى المراجع التي استقينها منها المعلومات والإحصائيات الواردة فيه متوخين الدقة التامة في النقل والترجمة ونود هنا أن نقدم خالص شكرنا إلى كافة الذين تعاونوا معنا، ويربو عددهم على الأربعين من أستاذ وباحث ومترجم ومحرر، في إصدار هذه الموسوعة الفريدة باللغة العربية يحدونا الأمل بأن تلقى هذه الموسوعة القيمة كل التقدير والانتشار.

والله ولي التوفيق

المشرف العام

جميل مدبك

مدير قسم الأبحاث والنشر



# الروز الموحرون

## مقدمة

طلع القرن الرابع للهجرة (العاشر م) على الدولة العباسية . فإذا هي في دور احتضار طويل ، سنيين ، فيما بعد ، ما أسفر عنه من تعدّد الفرق والدول ، واشتداد المنافسة بينها ، حتى طمع فيها الروم ، كادوا أن يستولوا عليها ، لولا أن وقف في وجههم الحمدانيون مثلما وقف الأيوبيون في القرن السادس للهجرة في وجه الصليبيين .

وفيه عزّ جانب الفاطميين ، واتسعت رقعة حكمهم ، حتى شملت الشام والجزيرة . وخطب لهم على المنابر ، وبلغ العلم ذروته ، بالرغم من انشغال الدول العربية وتنايها ، وانقسام الأمة إلى شيع ومذاهب ، فقد كان ذلك العصر عصر العلم والفلسفة .

ترافق النهضة العلمية نهوض الدولة ، ولكنها لا تضمحلّ باضمحلال تلك الدولة ، بل تستمر بعدها ، إلى أن يصل إليها تأثير انقطاع أسبابها .

هكذا كان شأن العلم في ذلك العصر . فكما أنه لم يزدهر في عهد أبي جعفر المنصور ، أو المهدي ، أو الهادي ، بل في عهد الرشيد والمأمون ، كذلك لم تذو أزهاره ، وتخبّ أنواره ، في عهد الانقسام ، على أثر تقهقر الدولة العباسية ، بل بعد الانقسام بزمان طويل . فقد أثبت التاريخ أن العلم لم

يكن أقل شأنًا في عهد الانقسام منه في عزّ العباسيين. ونظرة الى من التفّ حول ملوك ذلك العهد من العلماء، وما كانوا يتمتعون به من إجلال وحماية وتقريب، وعلوّ كلمة، ومنح وصلات، على رغم التأخّر الاقتصادي - نظرة الى كل ذلك تكفي للدلالة على علوّ كعب العلم وعزّة جانبه.

إذن، فالعصر الذي نحن بصددّه كان عصر العلم والفلسفة، وقد بلغا أوجهما في ظل الفاطميين. ولما كان لا بدّ للدين من ان تصل إليه يد العلم، لاتصاله بالفلسفة، كان السبب في تعدّد الفرق الدينية تقدّم العلوم، ولا سيّما علم الكلام، أضف اليهما عامل السياسة. فمن الثابت ان السياسة وراء كل انقسام ديني. وقد هيأت الناس لهذا الانقسام حياتهم الاجتماعية، وما وصلوا اليه من بذخ وترف واختلاط بالامم الغريبة.

لقد شاب صفاء الروح الدينية، بعد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين، شيء كثير من شؤون الدنيا، والعلم، والفلسفة، وتفاوت الطبقات، والنزاع على الحكم، والتماس الشراء. بغير ذلك كيف نفهم، مثلاً، الانغماس بالشهوات، والالحاد، ومخالفة الشرع، وقطع الخطبة للعباسيين، والتنازع على الخلافة، واستعمال الإمامة، ونشر الدعوة لها؟ بل كيف نفسر استنجاد أبي الفضائل الحمداني بقيصر الروم على المسلمين؟ ولجوء حسّان بن مفرّج إليه بعد هزيمته في حلب على يد الفاطميين (سنة ٤٢٢) وعودته بجيش من الروم وبخلعة قيصرية وعلى رأسه علم فيه صليب، كما فعل لؤلؤ مولى ابي الفضائل (سنة ٤٢١). حتى قال المعري في ذلك الحين ناقماً: «انما هذه المذاهب أسباب لجلب الدنيا الى الرؤساء».

انقسم المسلمون الى فرق مختلفة، وأحزاب سياسية متباينة، لكل منها مقالات خاصة في الدين. وكثرت مجالس المناظرة الكلامية والجدل. واشتدت الفتن والثورات في القرن الرابع وما بعده. وجحدت امور دينية كثيرة حكم على أصحابها بالكفر والالحاد. وأشهر من حكم بذلك «الغزالي». ولكن الأمراء والملوك الذين تنافسوا بالمتناظرين قزبهم وكرّموهم وحموهم.

من غمرة ذلك العصر شَبَّت في مصر تلك الفئة من الحكماء، متأثرة بروحه الفلسفية، متمعة بحماية الخليفة في انشقاقها من الشيعة الباطنية. وقد كان الخلفاء يستعينون بالمذاهب وأصحابها لبسط سلطانهم على الأقطار، وتوسيع رقعة حكمهم في الأمصار.

ولكن يخطيء من يعزو الى الخليفة الفاطمي ابتداء هذا المذهب، وان هو انتشر في ظل سلطانه، فإنه امتداد لموجة ذلك القرن الفكرية، ووليد الفلسفة التي بلغت النضوج عند العرب. إنه نتيجة بدعة، من يدرسه على حدة يقع في بحران فكري. كيف لا، وهو وليد الباطنية. والباطنية وليدة الصوفية الشيعية. والشيعة وليد الإسلام. وكانت المذاهب تبني على القرآن مناظراتها ومجادلاتها، المستمدة من الفلسفة، المرتكزة على علم الكلام. حسبنا الإشارة الى الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعري وداعي الدعاة.

من الثابت، إذن، أنَّ هذا المذهب تفرَّع من الإسلام. والإسلام من حيث انحصاره في القرآن، وعدم خروجه عنه، هو مدار هذا المذهب الذي يفسر آياته على طريقته الخاصة. وكتبه تسمى «الحكمة»، مما يدل على مصدرها الفلسفي، الحافل بالنقد والتفسير والتحليل والدحض والإثبات والتأويل.

## مذهب الموحدين الدروز

### الدولة الفاطمية قبل عصر الحاكم

تركزت الدولة الفاطمية باديء الأمر في تونس سنة ٩٠٩م بفضل سعيد بن حسين الذي نسب نفسه الى على بن ابي طالب.

غادر سعيد سلمية في سوريا وانتقل بزّي تاجر الى شمالي افريقيا فقوّض دولة الاغالبية ونودي به اميراً ولقب بالامام عُبيد الله المهدي وتقبّله الناس على انه من ذرية فاطمة من نسل الحسين. غير ان بعض المؤرخين شكوا بصحة نسبه هذا او انكروه عليه.

نزل عبيد الله في ضاحية القيروان وثبّت حكمه ولم يلبث ان بسط نفوذه على مجمل الأراضي الافريقية الممتدة من مراكش حتى تخوم مصر. وفي عام ٩١٤م احتل الاسكندرية وأنزل الدمار بأرض الدلتا.

أكمل خلفاء عبيد الله خطته في التوسّع فأغار ابنه ابو القاسم محمد القائم على ساحل فرنسا. وفي عهد ابي معد المعز حفيد القائم عظم شأن الاسطول المصري فغزا في سنة ٩٥٥م سواحل اسبانيا. وفي عام ٩٦٩م اطاح الفاطميون بالحكم الاخشيدي في مصر. وكان بطل هذه الحملات الأخيرة جوهر الصقلي الرومي الذي يعود إليه الفضل في تخطيط مدينة القاهرة التي أصبحت عاصمة الفاطميين سنة ٩٧٣م.

وفي سنة ٩٧٥م وصل الى الحكم الخليفة الفاطمي الخامس ابو منصور نزار العزيز. في عهده بلغت سلطة الفاطميين ذروتها وخطب له في جميع

الافطار الواقعة ما بين المحيط الاطلسي والبحر الاحمر وفي اليمن ومكة ودمشق. ولقد فاقت خلافته بغداد أبيه وقوة. عاش العزيز حياة بذخ وترف فابتنى في القاهرة وضواحيها عدداً من الجوامع والقصور والجسور والأقنية. بيد انه وقع في الخطأ الذي وقع فيه العباسيون قبله اذ اعتمد على العساكر التركية والمرتقة من الزنج مما أدى الى ضعف الحكم وانحلاله. وهكذا أخذ صرح الخلافة يتداعى بعد ملك العزيز بمدة وجيزة.

في سنة ٩٩٦م انتقلت الخلافة الى ابي علي منصور الحاكم وكان لا يزال في الحادية عشرة من عمره.

### المصادر التاريخية

إن عصر الحاكم بأمر الله هو «أغرب عصر في تاريخ مصر الإسلامية وربما كان أغرب عصر في تاريخ الاسلام كله، عصر يمازجه الخفاء والروع وتطبعه ألوان من الاغراق والتناقض» ان المؤرخين أنفسهم، على كثرتهم، غاضوا في غموضه وطرافته.

وكان أول المؤرخين يحى بن سعيد الانطاكي، وهو شاهد عيان، دؤن الاخبار والاحداث. لقد انتهى في تاريخه سنة ٤٢٥هـ ١٠٣٣م وهو يعرض عصر الحاكم بدقة متناهية سنة فسنة. وكان الانطاكي مصدراً للذين أتوا بعده، علماً بأن الانطاكي اعتمد كثيراً على من سبقه، واستفاد منهم.

اما ما يفوق الكل أهمية، فهي الرسائل التي كتبها «إمام الزمان» حمزة بن علي بن احمد، وفيها الشيء الكثير عن الحاكم وتصرفاته...

وهناك الكثير من المراجع التي تؤكد لنا اهتمام المؤرخين بعصر الحاكم أمثال الوزير جمال الدين وابن خلكان والنويري والمقريري وابن خلدون.

ينتسب الحاكم بأمر الله، الخليفة والامام الفاطمي السادس - او الخامس بنظر الدروز - الى البيت العلوي.

١ - ان الإمامة مستمرة من علي بن ابي طالب، مروراً باسمعيل، حتى

الحاكم بأمر الله. فالدروز يأخذون بهذا التسلسل، إلا أنهم يعدون عبيد الله المهدي وصياً للقائم وليس إماماً. فهو «إمام مستودع» لا «إمام مستقر».

٢ - ان عبيد الله المهدي ينتسب بحسب الدروز، الى عبد الله بن ميمون القداح، واضع اسس الدعوة الباطنية ومنظم الحركة القرمطية، وليس الى سلالة الإمامة الحقّة.

٣ - يختلف المؤرخون حول عدد الاحقاب بين المهدي والقداح، كما يختلفون في نسبته الى السلسلة العلوية وتبقى هذه المسألة معقدة غامضة.

٤ - أما الدروز فيقولون بان سعيد الخير المهدي، استقر بسلمية من أعمال حمص واستمر في نشر الدعوة القداحية، وحاول الخليفة العباسي المكتفي بالله ان يقبض عليه ففرّ الى المغرب.

٥ - كان في سلمية آنذاك محمد القائم بأمر الله وكان ولداً صغيراً، فتكفله سعيد الخير وفرّ به. ولما بلغ محمد رشده، انتحل سعيد الخير الامانة لنفسه، وحدثت بينهما معارك استعاد فيها محمد حقّه وأصبح حاكم الدولة الفاطمية بلقب القائم بأمر الله.

٦ - استمرت الإمامة والخلافة في أعقاب القائم حتى الحاكم، فأولاده وأحفاده...

«وجد» الحاكم بأمر الله، ابو علي، المنصور بن العزيز بالله يوم الخميس في ٢٣ ربيع الاول سنة ٣٧٥هـ الموافق ١٣ آب ٩٨٥م. وبويع بالخلافة يوم وفاة أبيه ببليس يوم الخميس في ٢٨ رمضان ٣٨٦هـ. وكان له اخت تدعى «ست الملك» تكبره بنحو ١٥ عاماً.

تولى الوصاية عليه اول الامر، الحسن بن عمار، زعيم كتامة أقوى القبائل المغربية. فاستولى الكتاميون على الدولة استيلاء تاماً حسب ما جاء في تاريخ الانطاكي.

إلا أن المشاركة قاتلوا الكتامين وانتصروا عليهم وخاف ابن عمار على نفسه وفر. فولّى الحاكم الأمور إلى برجوان الخادم زعيم الأتراك والمشاركة، فاستأثر برجوان بالسلطة، وجرت في عهده معارك بين الروم والفاطميين، فتح فيها الروم كل البلاد الواقعة بين أنطاكية وحمص ووصلوا إلى أبواب الشام، ثم رجعوا على طريق الساحل ونزلوا في طرابلس وطوطوس... ولكن برجوان قرّر إقامة الهدنة بينه وبينهم...

شعر الحاكم أن سلطته أصبحت، مع برجوان، مسلوبة، فاستدعاه يوماً إلى حديقة داره ودبر له من يقتله في ١٦ ربيع الثاني ٣٩٠هـ وانتقلت السلطة كاملة إليه.

بعد ستة أشهر من مقتل برجوان قتل الحاكم ابن عمار. وحمزة نفسه يعترف بهذا القتل فيقول: «فأمر مولانا سبحانه بقتلهم، فقتلوا قتل الكلاب... ثم أمر بقتل ملوك كتامة وجابرتها» كما جاء في رسائل الحكمة.

واصل الحاكم، طوال أربع سنين (٣٩٠ - ٣٩٤) النزول إلى مصر متكرراً. وكان شغوفاً بالليل، يعقد مجالسه ليلاً، ويتفق شطراً من الليل في جوب الشوارع والأزقة ويصدر الأوامر بتعليق المصابيح ليلاً على جميع الحوانيت وأبواب الدور. وكان يأمر بكنس الشوارع والأزقة وإمام أبواب الدور...

وتنقل بعض الروايات أن الحاكم كان أحياناً يلهو، أثناء طوافه، برؤية بعض المناظر المثيرة: «كان الرعايا والرعاع يجتمعون، في الأسواق، بين يدي الحاكم، فيتصارعون ويتلاكمون...» (تاريخ الأنطاكي).

ولكن لما خرج الناس في ذلك عن الحدّ، وبالغوا في اللهو والمجون، منع الحاكم النساء من الخروج ليلاً، ثم منع الرجال من ارتياد الحوانيت والمقاهي، وعاد الظلام يخيم على القاهرة بالليل... (مرآة الزمان).

في هذه المرحلة، قبض الحاكم على كتاب الدواوين من النصاري، لكنه أطلقهم بعد أسبوع بشفاعه طبيبه أبي الفتح سهل بن مقشر النصراني...

وكان النصرارى قد بدأوا في تجديد كنيسة قديمة بظاهر مصر، فثار قوم من المسلمين فهدموها، وانشأ الحاكم مكانها مسجداً...

ونهى الحاكم عن بيع النبيذ... وحظر على النساء كشف وجوههن وراء الجناز... (تاريخ الانطاكي).

### غرامة الأحكام

في ١٣ المحرم سنة ٣٩٥ أمر الحاكم ان يلبس النصرارى واليهود الزنانير في أوساطهم والعمائم السود على رؤوسهم وأمر أن يُكتب على الجوامع والحيطان لعن ابي بكر وعمر وعثمان ومعاوية والخلفاء العباسيين. ومنع شرب الفقّاق وأكل الملوخية والجرجير والسمك العديم القشر، وحرم ذبح الأبقار السليمة، وأمر بقتل الكلاب بسبب انها تكثر النباح في الليل، وتزعجه في طوافه. وحرم دخول الحمام بلا مئزر، وشدد على النخاسين وتجار الرقيق في المنع من بيع العبيد والاماء لأهل الذمة، وحرم على النساء التبرج... وعوقب كثيرون بالجلد والاعدام. وكانت كل تهمة تعرّض المتهم للقتل والحرق.

يروى لنا المسيحي صديق الحاكم أنّ الحاكم أمر في سنة ٣٩٥ بعمل شونة كبيرة... فذعر الناس وظن كل من اصحاب القصر والدواوين انها اعدت لإعدامه، فاجتمعوا وراحوا يقبلون الارض حتى وصلوا الى القصر يتضرعون ويسألون العفو... فأمرهم الحاكم بالانصراف وبالرجوع باكراً لتلقي سجلات العفو.

وفي اليوم التالي صدرت الامانات لمختلف الطوائف والفتات من مسلمين ونصارى ويهود، من تجار وحرفيين وغلمان...

في «رسائل الحكمة» نموذج عن هذه السجلات وهي الكتب الاربعة الاولى. وهذه السجلات هي الكتب الوحيدة في مجموعة الرسائل من وضع الحاكم وزمانه. وهي لا تُحسب من مجموعة «رسائل الحكمة» الدرزية، ولكنها اضيفت اليها مؤخراً، في زمن الامير السيّد التنوخي.

في سنة ٣٩٥ ظهر ببرقة رجل اندلسي يعرف بالوليد بن هاشم وذكر انه من نسل عثمان بن عفان. نزل في بيوت البربر وكانوا على مذهب السنة، فصار معلماً لأولادهم وأخذ يرغبهم في مساعدته على الحرب لنصرة الاسلام... جرّد الحاكم لمقاتلته جيشاً كبيراً على رأسه غلام تركي يسمى نبال الطويل... فقتل العديد من عسكر الحاكم؛ وأسر نبال وقتل... وفي العام التالي زحف ابو ركوة الى الاسكندرية وكان عسكر الحاكم بقيادة «قابل الارمني»: فقتل قابل، ودخل ابو ركوة المدينة، لكن الحاكم عاد فجهز جيشاً ضخماً فهزم ابو ركوة، وقُبض عليه وصُلب وأُحرق...

في هذه المرحلة تراجع الحاكم عما حرّمه سابقاً كبيع النبيذ والملوخية وتراجع عن سبّ الخلفاء... واستدعى المغتئين وأصحاب الملاهي الى مجلسه... ولما مات ابو يعقوب الطيب عاد الحاكم فحرّم شرب النبيذ حتى انه منع بيع الزبيب والعسل وغرق في النيل كل ما عند التجار من هذه المواد (تاريخ الانطاكي).

### قصة قائد القواد وقاضي القضاة

في شعبان سنة ٣٩٨هـ، عزل الحاكم قائد القواد الحسين بن جوهر وصهره عبد العزيز بن النعمان قاضي القضاة وأمرهما بملازمة دارهما ثم قبض عليهما... ولكنه عاد فأفرج عنهما بعد هياج حدث في القاهرة. ففرا خارج القاهرة فأصدر عفواً عنهما حتى عادا في موكب حافل.

وفي ١٢ جمادي الآخرة سنة ٤٠١هـ استبقيا في القصر وقتلا بطريقة غامضة، كما لوحق اولادهما بعد فرارهم الى الشام وقتلوا سنة ٤٠٣هـ (تاريخ الانطاكي).

### قصص الحاكم مع النصاري

في سنة ٣٩٩ أمر الحاكم ان يتميّز النصاري في الحمامات عن المسلمين بصليب في رقبتهم وأن يتميّز اليهود بجلجل... وأمر بهدم

الكنائس وسلب محتوياتها. وأمر بهدم كنيسة القمامة (أي القيامة). وفي سنة ٤٠٠ أمر بهدم دير القصير مقر بطريركية الأقباط، وهدم كنيسة مرت مريم في دمياط وقتل البطريرك ارسانيوس. وفي سنة ٤٠١ أمر بأخذ الجزية من النصارى واليهود، ومنع النساء من الاستحمام في الحمامات العامة وخروجهن الى مواضع الفرجة، كما أمر بحرق آلات الموسيقى واغلاق الملاهي (ابن خلكان).

وفي سنة ٤٠٣ استبدل في دواوينه النصارى بالمسلمين، فاجتمع الكتاب والعمال والأطباء وغيرهم مع اساقفتهم وكهنتهم وتوجهوا الى قصره حفاة باكين مستغيثين... فرد عليهم بكلام جميل وعاملهم برأفة.

ويذكر التاريخ قصةً دموية للحاكم مع خادمه غين. لقد كان غين من الخدم السود وكان الحاكم يغمره بعطفه فأسند إليه منصب رئيس الشرطة والحسبة بمصر، ولكنه عاد فسخط عليه وأمر بقطع يديه ثم لسانه، حتى توفي بعد مدة قصيرة سنة ٤٠٤ (النجوم الزاهرة).

واستمرت موجة الفتك بالمقربين الى الحاكم. ففي سنة ٤٠٥ قتل قاضي القضاة مالك بن سعيد، ثم امر بضرب عنق وزيره الحسن بن طاهر الوزان ثم عبد الرحيم بن ابي السيد الكاتب متولي ديوان النفقات.

وقد كان القتل عند الحاكم ضرباً من ضروب اللهو والرياضة. يروي لنا المقرئزي انه دفع جماعة من الأحداث الى المبارزة في القفز من مكان شاهق، فمات منهم ثلاثون شخصاً... ودفع لمن نجا منهم مالاً. ويروي لنا أيضاً أن القائد فضل بن صالح شاهد بين يدي الخادم صبياً قد ذبحه وأخذ يقطع احشاءه، فولى الفضل مذعوراً. ولم تمض ساعة حتى انفذ إليه الحاكم من يقتله (المقرئزي).

### الحجز على النساء

في هذه الحقبة صدر امر الحاكم بان يلزم النساء منازلهن، وحظر عليهن الظهور، كما منع الاساكفة من صنع اخفاف لهن. وعوقبت كثيرات

بالضرب والحبس والموت. وأمر الحاكم الباعة بأن يحملوا السلع والأطعمة الى المنازل فيمدوا الى المرأة مغرفة فتأخذ ما فيها من وراء الباب وتضع فيها الثمن.

واستمرت هذه المعاناة الرهيبة مدة سبع سنين.

### زهد الحاكم وتصوفه

كان الحاكم يواصل الركوب ليلاً ونهاراً فيقصد جبل المقطم وصحراء الجب ويختلي للعبادة. كما امتنع عن تقصيص شعره وتقليم أظافره وارتدى ثياباً سوداء لا يخلعها إلا بعد ان تتلبّد بالعرق والغبار. وراح الحاكم ينفرد بنفسه مناجياً الله كي يوحى اليه كما أوحى الى موسى. وقيل انه امتنع عن دخول الحمام مبالغة في الخشونة والتقشف (مرآة الزمان).

### شهادة حمزة

لقد دوّن حمزة نفسه هذه التصرفات الغريبة الشاذة. لكنه وجد لها تعليلاً «توحيدياً» إلهياً. يقول حمزة: «يشاهدون من الحاكم ما لا يجوز ان يكون من أفعال احد من البشر... وهو يرى فيها «حكمة بالغة» ويلوم الناس لانهم لم يعرفوا بأن أفعال مولانا حكمة بالغة. ولو نظروا الى أفعال مولانا لبانت لهم الالهوية والقدرة الازلية (رسالة السيرة المستقيمة).

كما ان بهاء الدين المقتنى، واضع قسم كبير من «رسائل الحكمة»، يقرّ بان الحاكم قبل غيبته، تظاهر بلباس السواد سبع سنين وسجن النساء سبع سنين وركب الاثان سبع سنين...

## نشأة الدرزية ٤٠٨ — ٤١١ هـ

في أوائل سنة ٤٠٨ هـ «١٠١٧ م ظهر بمدينة القاهرة ثلاثة رجال أعاجم، عرفوا نفسية الحاكم واضطراباته المرضية وميله القوي الى اعتبار نفسه فوق مستوى البشر. كما شهدوا تصرفاته الشاذة، وأحكامه الغريبة، والمتناقضة، وتعطّشه الى سفك الدماء، ولعنه الصحابة، كل هذه أدلة على كونه من غير أصناف البشر.

ورأى هؤلاء أن عدداً من عامة الناس انخدعوا به، وتنافسوا في موالاته، ونسبوا أفعاله الى أسرار خفية لم يقف على كنهها البشر. فاستغلوا الأمر على أكمل وجه متفقين على الدعوة الى ألوهية الحاكم.

أما هؤلاء الثلاثة فهم حمزة بن علي بن أحمد الزوزني المعروف باللبّاد، وحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم، ومحمد بن اسمعيل الدرزي المعروف بنشتكين. وكان الدرزي أسبقهم الى نشر الدعوة فتسمّت باسمه.

وراح الحاكم يفرق على العبيد السودان سلاحاً فنزلوا الى مصر ونهبوا وأحرقوا وسبوا... في هذا الوقت أخذ الحاكم يتقرّب من النصارى، فأمر ببناء ما تهذّم من الكنائس والأديرة، وكتب إليهم الأمان تلو الأمان، وأنفق من بيت المال لتجديد بناء دير القصير. زاد هذا في سخط المسلمين فلاحقوه، ولاحقوا دُعائه وشتّعوا عليه ميله الى النصارى، ولبس الصوف مثلهم، والتردّد على دير القصير... الى أن اختفى.

نهاية الحاكم بأمر الله

منهم من اعتقد بأن الحاكم كان ضحية مؤامرة دبّرتها اخته «ست

الملك» التي كان يشدد عليها الحجر والمراقبة ويوجه اليها اتهامات مختلفة تقول بعض الروايات بأن «ست الملك» فاوضت بالامر سيف الدولة الحسين بن دؤاس زعيم كتامة، فتعهد بالتنفيذ وعهد الامر الى اثنين من عبيده فقصدوا جبل المقطم، حيث الحاكم في خلوته، وانقضّا عليه وقتلاه. وكان ذلك ليلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ الموافق ١٣ شباط سنة ١٠٢١م. دعت «ست الملك» حالاً كبير الوزراء وأمرته بالكتمان والطاعة، وتمّت البيعة لأبي الحسن علي خليفة مكان ابيه باسم «الظاهر». على أثر ذلك نكّلت «ست الملك» بكل من علم بالجريمة.

ومن الرواة من يحاول تبرئة «ست الملك». من هؤلاء المقريزي والمسبحي اللذين ينسبان تهمة القتل الى رجل من بني حسين قتل نفسه بعد ان قتل الحاكم (خطط مصر للمقريزي).

رواية الاختفاء المقصود: هذه الرواية من «سير البيعة المقدسة» تقول بان الحاكم خرج الى الجبل ذات ليلة ومعه ركابي واحد، أمره بالانصراف وتركه لوحده. ولما لم يعد في اليوم التالي راحوا يبحثون عنه فلم يجدوه.

العقيدة الدرزية في «غيبه» الحاكم: يقول حمزة بغيبة الحاكم واختفائه وارتفاعه الى السماء... وسيعود يوماً ليملا الأرض عدلاً ويدين البشر كافة... (تاريخ ابن العبري).

## التحريف والحشو في رسائل الحكمة

لا بدّ من التنبيه الى ما أدخل على رسائل «الحكمة» من حشو وما وقع من تحريف في نشر الدعوة، وما أقحم للكيد والتشويه. فإن «الدرزي»، وهو الداعي الأول، بعد ارتداده، وبسبب حقه على حمزة، أقدم على تزيف الرسائل، وإدخال البدع، مما أدى الى قتله. وعمل مثل نشكين من الدعاة على إفساد الدعوة «سكين»، و«لاحق»، و«محلا»، و«سهل»، و«ابن ابي حصية»، و«ابن معلا»، وغيرهم كالبرذعي والحبّال.

فوجه حمزة وبهاء الدين كتباً الى الأقاليم، وعلى الخصوص ديار الشام، يحذّران بها المستجيبين من تحريف التعاليم وكتبها، ويوعزان بعرض تلك الكتب والرسائل على الدعاة الثقات للنظر في صحتها وتصحيح ما أدخل عليها.

أما الزعم ان الدعاة أزالوا ما أشرنا إليه من دس وتحريف فلا يقوم عليه دليل قاطع، وان هم عاقبوا بعض العادين الآثمين بهما، ومن يستطيع أن يجزم بانه لم يبق منهما شيء؟ ان الإشارة الى ذلك، في معرض الدفاع لا التشكيك، من شأنها ان تعيد المتسائلين، وهم طبقة المستنيرين، الى صحة معتقدهم. وان تثبتهم فيه. لا ان تبعدهم عنه. ولا أن «تحوّلهم الى معتقد آخر»... كل ما نفتقر إليه هو الأمانة والجراة في قول الحق. والصدق بإزالة أية شبهة أو شائبة. تمكيناً للإيمان في القلوب.

تعاورت أقلام المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الملة ومذهبها عوامل متعدّدة. فمنهم من كتب تشفيّاً من غل، ومنهم من رمى، على عواهنه، ما

تواتر وشاع، ومنهم من التمس التشويق والترغيب، أو استجاب للطلب بعرض السقط مع السليم.

أغربهم من ينقل الرواية، دون الثبوت من صحتها، وهو أقرب ما يكون الى مصادرهما، لا يكلف نفسه عناء الوصول الى الأصل، وهو عند تناول يديه، لا سيما ذلك الذي ينقل عن الغربيين ما يكتبون عن الشرق، لفرط التعويل على ما يصدر عنهم، كما يقول جرجي زيدان، ولفقر مكتباتنا، وضآلة مراجعنا.

أما أولئك المستشرقون كثيراً ما يخطئون الهدف ويغدون الصواب في المواضيع الشرقية التي تتوافر لها المعلومات والمصادر. فكيف بهم حين يعالجون رموزاً عصية الحل، حفلت بها كتب هذا المذهب الباطني، حتى استعصت على غير المثقفين فيها، المتفقهين لأسرارها. فإنها وضعت للمستجيبين بعد تدرجهم.

من أعلام الغربيين الذين كتبوا عن الدروز نخض بالذكر سلفستر «دي ساسي» بكتابه «عقيدة الدروز». و«فولنابي» واللورد «دفرن». والكولونيل تشارلز «تشرشل» الذي أقام عشرين سنة في هذه البلاد. وجيرار «دي نرفال». ومن المعاصرين «بورون». والمحقق الألماني «مولر» بكتابه «در اسلام». جميعهم توخوا الصواب، وإن لم تتم لهم الإحاطة.

## الوهية الحاكم

دعوة حمزة الى تأليه الحاكم لم يكن أمراً مستحدثاً في التاريخ البشري ولا في التاريخ الاسلامي. هذه الظاهرة عرفتھا مصر الفرعونية ورأت في ملوكھا «ظلّ الله على الأرض». وادّعى الفراعنة انهم «تقمصوا ارواح الآلهة».

وكانت النزعة التأليهية في بلاد فارس على أشدها ابان العهد الساساني (٢٢٤ - ٦٥١م). وفي بدء الدعوة الاسلامية قام من يقول بتقديس عليّ بن أبي طالب وبأن فيه جزءاً إلهياً. قال عبدالله بن سبأ في عليّ: «انه لم يمت، وإنما شبه للناس، وإنه سيرجع من السحاب» وفي عهد الخلفاء الفاطميين، كان ينظر الناس الى الامام عليّ انه ظلّ الله على الارض (الدكتور حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية).

وزعمت فرقة الجناحية ان عبدالله بن جعفر بن ابي طالب حيّ لم يمت، وهو في جبل اصبهان وهو مهدي هذه الأمة الذي بشر به النبي. وظهرت فرقة الكيسانية فزعم أصحابها ان محمد بن الحنفية حي لم يمت، وانه في جبل رضوي (البغدادى).

ولما قامت الدولة الفاطمية الاسماعيلية شاعت فكرة تقديس الائمة وعصمتهم وتاليهم. وانتقلت ظاهرة التأليه هذه الى الحاكم بأمر الله، فأمن في ادعاء اللوّه، وأمن الدعاة في الدعوة إليها.

يقول الدروز ان الحاكم بأمر الله مرّ بمرحلتين: مرحلة الامامة (٣٧٥ -

٤٠٧هـ) ومرحلة التجرد (٤٠٨ - ٤١١هـ) ما عدا سنة ٤٠٩ التي غاب فيها، وتوقفت الدعوة، وعاد إلى مرحلة الإمامة.

في دور الامامة كان الحاكم انساناً كاملاً يتجلى فيه الروح الالهي... هو، شكلاً كالخلق، وعالٍ، معنى، عن الخلق... فهو إلهي الذات والصفات (توفيق سليمان، أضواء على مذهب الدروز). اما في دور التجرد فقد ظهر الحاكم إلهاً بصورة ناسوتية، غير محسوسة، لا يأكل ولا يشرب، لا يعرف ولا يوصف، يبرز للعيان متى شاء ويختفي متى شاء...

«أما معجزات الحاكم فلا تحصى. منها قهر الملوك وقتل الجبابرة وظهوره وحده بين الاعداء انصاف الليالي بلا سيف ولا سكين» (رسائل الحكمة). «ومن معجزاته الدالة على تنزيهه كونه يوري الخلائق ناسوته صورة بشرية لا تأكل ولا تشرب. ولا ظل لها في الشمس، ولا خيالاً في الماء... ومع هذا يروونه الخلائق في دور الامامة هيئة بشرية ظاهرة بالنطق والخطاب. وكان اذا مرّ على ظهر الأتان، فيشرب الأتان من الحوض فيرون العالم خيال الاتان في الماء، ولا يرون للراكب خيالاً. وكان الحاكم يعرف ما يعمله الناس خفية من الامور التي نهى عنها فيطلبهم ويعاقبهم» (مختصر البيان في معجى الزمان).

اما معجزات الحاكم في دور الكشف فهي وافرة أيضاً. جاء في رسالة «الغاية والنصيحة» لقائم الزمان حمزة بن علي: «لما كانت العساكر مجتمعة للمحاربة، وهم زائد عن عشرين ألف رجل، وهم في آخر يوم في التاسعة واربعمئة للمهجرة، فبينما هم في اشد قتال، فاذا بالحاكم تعالى قد تجلّى بالوحدانية، فلما شاهدوه العساكر المذكورة، وقعوا الى الارض... فهذه معجزة عظيمة» (رسائل الحكمة).

### التوحيد

اعتبر حمزة بن علي صفة «التوحيد» المحور الذي تعتمد على مفهومه جميع الصفات. «بالتوحيد عرفت جميع الأشياء، لا بالأشياء يعرف التوحيد»

(الشافية لنفوس الموحدين)، وان «علم الحقيقة هو توحيد مولانا جل ذكره». «فالتوحيد للمولى جلت آلاؤه أول المفترضات. وأول الديانة بالله معرفته، وكمال معرفته نظام توحيده، ونظام توحيده نفي صفات المخلوقين عنه.

لهذه السبب سمي اتباع حمزة «بالموحدين» ودينهم هو دين التوحيد ودعوتهم هي «دعوة التوحيد» وهم «أهل التوحيد».

هذا التوحيد يقوم على «نفي التشبيه عن المولى من جميع المعاني والجهات. (وهذا لا يكون) إلا بنفي البنوة والابوة، ونفي الأزواج والأولاد التي ظهر بها في دور الستر... فحقائق التوحيد والتنزيه والتأليه هي التي تفرّد بها المولى إله الأرض والسموات» (ايضاح التوحيد).

من مفاهيم التوحيد إذن ألا يكون للحاكم أية نسبة الى أحد من البشر: لا أب له، ولا ابن، ولا عم، ولا خال... كما انه ليس للحاكم صفات بشرية مادية كالأكل والشرب والنوم... والحاكم لا يدخل في نطاق المخلوقين. «فهو قد تنزّه عن جميع الأنبياء والائمة الهاديين» (الغاية والنصيحة).

والتوحيد يعني ان ليس لمولانا ضد أو شبه أو ند أو كفؤ أو غير ذلك. يقول حمزة: «أياكم أن تظنوا بأن الضدية لمولانا سبحانه، لانه بلا شبه، ولا ند ولا نظير، وال ضد لا يكون إلا للشكل والمثل (البلاغ والنهاية).

وفي ذروة التوحيد أن يتنزّه الحاكم عن الصفات والاسماء والخواطر «فهو يُجَلّ عن الوصف والادراك... ولا تقدر عن وصفه اللغات... ولا يدخل تحت الاسماء والصفات.

هذه الصفات الإلهية لا يمكن حصرها، لأن صفحات الرسائل تزخر بها. يقول حمزة «القدرة والجلال والتنزيه والاعظام والتقديس والتأكيد للإله الحاكم المنفرد بالإبداع، المتعالي... الذي تفرّد بجلال الملكوتية وعظم الجبروت (النقض الخفي).

وقرّر حمزة إثبات التوحيد بهذا الاسلوب:

«لا أقول بأنَّ الله له مكان معروف فيكون محصوراً، ولا يخلو منه مكان فيكون عاجز القدرة... ولا أقول انه شيء فيقع به الهلاك، ولا أقول انه لا شيء فيكون معدوماً مفقوداً... بل أقول، ضرورة ولا حقيقة، بانه سبحانه باري كل شيء ومكوّن كل شيء، ومصوّرهم من نوره (رسالة كشف الحقائق).

وبالنتيجة ان مفهوم التوحيد «تنزيه» لا «تعطيل». وبهذا يبتعد دين الدرزية عن الاسلام وسائر الاديان التي قالت بالتوحيد دون أن يتجرأوا على تنزيهه لثلا يقعوا في التعطيل. والذين وقعوا في التعطيل باتوا لا يعرفون الله أبداً.

## من هم الدروز

الدروز مجموعة من العشائر والأفراد الذين استجابوا للدعوة. فلا يصحّ لهم تاريخ إلاّ منذ بدء الاستجابة، أي منذ ما يناهز ألف سنة، لا أكثر، اللهم إلاّ إذا استُفرد بعض العشائر والأسر العريقة السابقة للدعوة. أما بعد الدعوة فإنهم في عزلتهم وامتناعهم عن الاختلاط بسواهم، على مرّ الزمان، أصبحت لهم مزايا سلالية، نكاد نسميها عنصرية لطول مداها. وفقدوا اسمهم الأوّل «الموخذين» وصاروا يسمّون الدروز، أو «بني معروف» كما يفضلون.

بسبب هذه المزايا والملامح الخاصة في معظمهم، كثر الحدس والتخمين في أصولهم، وجمحت الآراء بالاستنباط والحدّقة، كأنما هي تُعرض مُستهينةً بفعل ألف سنة في تطوير جماعة من الناس انطوت على نفسها، بأواصر الخلاط.

من مؤرّخي العرب القدماء اثنان لم يقصدا التشنيع على هذه الملة، بل تناولا بالنقد من تقدّمهما في ذلك. هما «المقريزي» في «خططه» وابن خلدون في «عبره». وكان قد ردّ على المؤرخين الذين ينكرون انتساب الفاطميين الى فاطمة الزهراء. وهو من «المؤرخين السنيين القلائل الذين أيّدوا النسب الفاطمي».

فإنّ بعض الكتاب الفرنسيين الذين أعجبوا بفروسية الدروز وشممهم زعموا انهم متحدّرون من «الغاليين» الذين أبحروا من «غارون» في غرب فرنسا الى «ئساليا» في مقدونيا، فشواطئ آسيا الصغرى، مستندين في زعمهم

هذا الى غلبة العيون الزرقاء والبشرة المشرقة فيهم، وتشابه الملامح «الليبية»، وأن هؤلاء «الغاليين» لجأوا الى «الجبل الاعلى» الذي كان معقل الدروز في القرون الوسطى، بالقرب من حلب، والى لبنان، الذي كان يسمى «جبل الدروز» حتى عهد قريب.

ولكن «فولنابي»، العالم الفرنسي الذي ظلّ اربع سنوات، في الربع الاخير من القرن الثامن عشر، يدرس، في مصر وسوريا أحوال شعوبهما، ينفي هذه الاسطورة بحجة انه لم يجد أثراً للغة الفرنسية في كلام الدروز. ثم ان الدروز سبقوا اولئك الصليبيين بحوالي قرنين. فلم يبق لهذه الرواية سوى احتمال ضعيف واحد، هو ان فلول الصليبيين المهزومة التي وجدت الحماية عند عشائر الدروز، وانقطعت الصلة بينها وبين قوادمها وأمرائها، في فوضى ذلك الزمان، بقيت مع تلك العشائر التي لم تكن قد تشدّدت بعزلتها المذهبية بعد. فان المؤرّخ الأمير حيدر احمد الشهابي «الغمر الحسان»... والمحقق عيسى اسكندر المعلوف «تاريخ الامير»... يشبان ان الامير فخر الدين المعني كان «على السنة»... كما هو معروف عن غيره من امراء الدروز المعنيين وغير المعنيين... فالمذهب مثلاً يشجب تعدّد الزوجات، وكان الامير يمارس ذلك. وقد بنى المساجد في بيروت وصيدا ودير القمر. ورشح هو وأحد اولاده لامارة الحجّ وهي من حق اتباع ما يُعرف بالمذاهب السنيّة.

ولنا أكثر من دليل على ان شخصية الدروز الطائفية كما تظهر الآن بما يشبه العزلة، في زمن القوميات وانحسار السلطة الدينية عن جهاز الدولة، لم تكن بارزة بروزها الحاضر في ذلك الزمن الذي نتحدث عنه. ولا ينكر ذلك إلاّ المكابرون.

إنّ فخر الدين المعني الثاني، هذا، كان، بعد ثلاثة أجيال من تحالف المعنيين والعثمانيين سنة ١٥١٦ ضدّ المماليك المصريين، قد بلغ أوج قوّته وسلطانه (وكان المماليك قبل ذلك قد قهروا أمراء لبنان التتوحيين) واتسعت

رقعة إمارته حتى شملت انطاكية، وبلاد العلويين، وتدمر حيث بنى قلعته على حدود الصحراء.

ولكن سنة ١٦١٤ هزمه العثمانيون. فُلجأ الى إيطاليا. ثم عاد سنة ١٦١٩ الى لبنان حيث استردّ السيادة عليه حتى سنة ١٦٣٣. وهي نهاية حكم المعنيين.

## التقية

كان «الموحدون» - الدروز - منذ نشأة مذهبهم، في مطلع القرن الخامس للهجرة - الحادي عشر للميلاد - محترسين في كتمانهم، مشيحين عن إعلانهم، صيانة لأنفسهم من الاضطهاد، ووقاية لها من العدوان، في ذلك الزمان.

هذه الفرقة المتفرعة من الشيعة، كانت عرضة لنقمة الشيعة والسنة على السواء. كما كانت الشيعة نفسها، قبل قيام أمرها، واشتداد أزرها، هدفاً لمجاهدة السنة لها، وعدوانها عليها. إذ كانت التقية جزءاً من نظام الشيعة السري وهو في الأصل تدبير للوصول الى الخلافة، بالكتمان والتظاهر بالموالاة. وفي رواية احد الاعلام: «تسعة اعشار الدين في التقية. ولا دين لمن لا تقية له». ومن اقوال إخوان الصفاء: «يوم رجوعنا الى كهفنا كهف التقية والاستار».

بمثل هذه التقية تدرّع المعتزلة في الشام بعد افول نجمهم. وفي الاندلس كان أهلها المالكيون إذا وقعوا على معتزلي أو شيعي ربما قتلوه (كما جاء في «أحسن التقاسيم». صفحة ٢٣٦). فإن المدارس الفكرية، بعد نكبة المعتزلة، لجأت الى الكتمان والخفاء. ولم يَلْقَ الفلاسفة المتحزرون كالفارابي، وابن سينا، وابن رشد، سوى الكراهية من عامة الشعب. وكانوا في عزلة عنه، على علو كعبهم وجلال شأنهم.

فمما يُروى، أن معاوية بن ابي سفيان أباح التنكيل بالذين كانوا يدينون بالولاء لعلي وأهل بيته. وحذا حذوه في اضطهاد الشيعة بعض عمال

الأمويين. لا سيما في ولاية عبيدالله بن زياد قاتل الحسين بن علي. وفي ولاية الحجاج ابن يوسف. فكان التزام التقية أوجب وجوه الحذر، والحيطة من التقتيل والتشريد.

في هذه التقية يتذرع المتقون بالآية القائلة: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النحل: الآية ١٠٦). قيل إنها أنزلت بعد العذاب الذي وقع على عمار بن ياسر وإكراهه المشركين له على قول السوء بحق الرسول.

فكان الدعاة يوصون أتباعهم بالحذر والكتمان، حفظاً لسلامتهم من الاضطهاد الذي نزل بهم سنين متواصلة، بعد غيبة الحاكم ووزيره حمزة، حتى قُضي على المذهب في مصر، موطن ظهوره الأول. وحفلت الرسائل بتحذير المستجيبين. منها، على سبيل المثال، منشور أرسل الى آل عبدالله وآل سليمان سنة ٤٣١هـ. (١٠٤١م) يوصي: «بالستر لما أوعزناه إليكم... وليتدبر بالستر لاثبات اسماء المعاملين... ولينفذوا في ستر وخفية الى شيوخ آل عبدالله نسخة هذا الكتاب... والى شيوخ البستان وان تعذر عليهم من ينهض بذلك...».

وكانوا ينصحون لهم بالارتحال الى حيث يكون لهم ولي يلفظ بهم، وينصفهم، ولا يحيف عليهم، «فان كان الموضع الذي انت فيه يصلح للستر، فالمقام. وإن أردت الانفساح وراحة القلب، فعليك بلاد الشام...» (الرسالة ٨٩)، حيث اعتصمت عشائهم في صياصي جبالها، بعد أقول نجم الأمويين والعباسيين، وتراخي حكم الفاطميين الذين أمعنوا في مطاردة «الموحدين» بعد اختفاء الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي رعى مذهبهم.

وسُمح لهم، بالحيطة والإنكار، «عند الاضرار، والله العالم بما تظهرون وما تكتُمون»، كما سمح الرسول لعمار، أن المُكره معذور لسانه ما دام قلبه مؤمناً، فقد تستطيع إكراه امرئ على قول، ولكنك لا تستطيع إكراهه على فكر، أو إيمان، أو عقيدة في القلب.

ولكنهم من فرط ما قاسوا من ألوان الاضطهاد والتعذيب والتقتيل والتنكيل، رحل من رحل منهم عن مصر الى ديار الشام.

أشهر تلك المذابح ما يسميه الدروز «معنة انطاكية». فقد كان عامل الخليفة الظاهر على بلاد الشام صالح بن مرداس الكندي. أوعز إليه الظاهر أن يتكلم بالموحدين. فنكل بهم ست سنوات متواصلة وخمسة أشهر.

إن التاريخ حافل بأنباء الاضطهاد الديني، لم ينبج منه أتباع أي دين من الأديان.

ولكن للحماسة العقائدية فورات تُخرج متعصبة الأقوم من حدود الوصايا الدينية. ومع ذلك، إذا استثنينا مكافحة الدعوة «التوحيدية» في إبانها بالشدة التي ذكرنا، فإننا نجد أن الدروز وسائر الملل الصغيرة المنشقة، المخالفة في الاسلام لبعض اصوله وفرائضه، اجتهداً وتأويلاً، كفرها بسببهما فقهاء السنة، ما برحت منذ ألف سنة تحت سلطان المسلمين آمنة مطمئنة، عزيزة الجانب، موفورة الكرامة، على قلة عددها، مما يدل على سماح الاسلام حتى في أوج سطوته، وأيده، حين كان باستطاعته إذابتهم واستيعابهم.

خلاصة القول، إن التقية كانت جنة إتقى بها الشيعة أذاة بني أمية. فكانوا يُبدون لخلفائهم الطاعة، ويضمرون العدا. يُظهرون البراءة من عليّ، وهم يُبطنون له الولاء. وكان شعراؤهم المعروفون بتشيعهم، كالفرزدق، وكثير، والكميت، يمتدحون الخلفاء. فيثابون تغاضياً عما يُبطنون.

وكان أبو العلاء المعري شديد الحذر من الناس في إظهار آرائه. يتخذ المجاز تقيّة. فيقول، مثلاً: «لا تخبرن بكنه دينك معشراً...». فالتقية واتخاذ المجاز ستاراً للرأي، وسيلة لتجنب الأذى، ومدخل لقول ما لا يآلفه الناس.

لقد مضى ذلك الزمن وانقضى، وأصبح شعار الإنسان الحاضر: «لكم دينكم ولي ديني». وصار واقع الناس: «الإنسان اخو الإنسان، حب أم كره».

إنَّ للتقيّة أهدافاً. أدناها السلامة الذاتية. إذا كانت حمايتها حقاً طبيعياً للإنسان، فإنَّ الإغراق في الحرص عليها، والإكتفاء بضمانيها، يتعارضان وفضيلة الواجب الاجتماعي، فضيلة الإيثار الذي قد يبلغ بالتضحية مرتبة الاستشهاد. فإنَّ المجتمع هو التربية الوحيدة الصالحة لبذور الفضائل. وله على الفرد حقٌّ هو له، وللإنسانية، عنصر من عناصر البقاء.

هكذا بقيت التقيّة، اصطلاحاً، لا استحياء، وخفراً، لا وقاء.

## التجلي الإلهي

عقيدة التجلي الإلهي، في الدرزية، هي اجلّ العقائد وأشرفها. انها نقطة الدائرة في دعوة التوحيد. عليها تركز الرسائل وكدها ومنها تستقي روحها (أضواء على مسالك التوحيد). يحق لبني معروف ان يفتخروا بلقبهم هذا، «لأنهم فازوا بمعرفة اللاهوت في صورة الناسوت». «والجهل، بالحقيقة، هو انكار تجلي الرب في الناسوت». على الايمان بهذه العقيدة الشريفة يقوم الدين، وعلى الاقرار بها يكون في الدنيا «موحدون» «عارفون» فائزون بمعرفة الله وبالسعادة.

أما خلاصة مبادئ هذه العقيدة هي:

- ١ - إنّ تجلي الله في صورة الانسان هو مبادرة إلهية، ليس للإنسان في الكشف عنها أي فضل.
- ٢ - إنّ العالم الروحاني يستحيل الإيمان به إن لم يدلّ عليه العالم المحسوس. أية حقيقة يدركها الانسان إن لم يجد لها في عالمه الحسي دلالة عليه؟ لهذا يقتضي على الله الروحاني، لكي يُعرف، ان يخلق لنا دليلاً عليه من عالمنا الحسي.
- ٣ - إذا كان الله عادلاً فيقضي عليه عدله ان يعرفنا بذاته لكي يكلفنا فيما بعد بعبادته. وخير معرفة لله ان يتجلى بنفسه.
- ٤ - ومن العدل أيضاً أن يترك الله عرشه وسماءه السابعة ويتقرّب من عباده ليكون بوسعه تكليفهم بمعرفته، لان العباد يعجزون عن معرفة ما خلف الجدار، فكيف حالهم مع ساكن السماء العليا؟
- ٥ - ان الايمان بتجلي الله يتيح للانسان في مجال طاعته لأوامره، إذ «كيف تجوز الطاعة لمن لم يظهر الى العالم فيُعرف (رسالة السفر)».

٦ - ثم، إذا لم يظهر الله لعباده، تسقط عنهم الحجة، ويعذرون في توقفهم عن طلب الحق.

٧ - إن الذين يشكّون بالله ويكفرون به، هم الذين لم يروه ليعرفوه، ولم يسمعه لينالوا منه الحقيقة. ولم يشعروا برأفته بهم ليطمئنوا إليه.

٨ - إن عقيدة كل دين تكون صحيحة بالنسبة الى ايمانها بتحريك الله صوب الانسان، أي بمجيء الله الى الانسان مراراً وتكراراً. فمن اجل امتحان الانسان واستحقاقه الثواب أو العقاب ظهر الله ثم غاب، ثم ظهر ثم غاب، حتى الظهور الأخير «بالحاكم»: «ظهر لخلقه كخلقه امتحاناً واختباراً، فكان امتحانه لأوليائه هدايتهم الى معرفته وتوحيده» (رسالة الزناد).

٩ - التجلي الإلهي ضرورة ماسة للانسان... لولاه لما عرف الانسان عن الله شيئاً، تماماً كالذي لم يسمع كلمة، فكيف يمكنه الكلام؟ تقول الحكمة: «قد صخّ عند كل ذي عقل، ان المولود لو كان أبوه أخرسين ثم لم يسمع من غيرهما كلاماً، كان أخرس لا ينطق. وإذا كانا ناطقين كان ناطقاً» (قائم الزمان).

١٠ - بقي مبدأ هام وهو ضرورة وجود «دليل» على هذا التجلي، و«حمزة» هو هذا الدليل وهو «الواسطة» إليه «وحجة الكشف» و«البرهان» عليه. هو العقل في دور الحاكم. تقول الحكمة: «وأدّل دليل على إمامة قائم الزمان (حمزة) انه أتى بضد العالم (أي على غير ما هو متعارف عليه)... دعا الى موجود ظاهر، والله في جميع الامور قادر قاهر».

### كيفية التجلي

بعد عرض مبادئ التجلي نقف أمام السؤال التالي: كيف وأين تجلّى الله في العالم؟ مَنْ هو «المقام» الذي استحق أن يكون لله حجاباً؟ تقول «الحكمة»: ان الله اختار صورة الانسان مقاماً للاهوته. قال حمزة بن علي: «أظهر الله لنا حجابيه الذي هو محتجب فيه، مقامه الذي ينطق منه، ليُعبد ظاهراً، رحمة منه لهم، ورأفة عليهم... انتم جميع المسلمين واليهود

والنصارى تعتقدون بان الله عز وجل خاطب موسى بن عمران من شجرة يابسة وخاطبه من جبل جامد وسمّيتوه كليم الله لما كان يسمع من الشجرة والجبل... ان الشجرة والحجر لا تفهم وتعقل عن الله. ومن يفهم ويعقل عن الله أحقّ بكلام الله وفعله ممّن لا يعقل عنه... ويؤكد بهاء الدين بأن «المقام الإلهي» هو الانسان لا غيره. (كشف الحقائق).

إنّ ظهور الله في صورة الناسوت لم يفقره في شيء، لانه، مع ظهوره، يبقى باطناً محجوباً ولكونه إلهاً، لا تستطيع الصورة الانسانية حصره، ورغم ظهوره يستطيع الغيبة أن يشاء. (المناجاة).

ويوضح حمزة كيفية ظهور الله ومعرفتنا به بقوله: «كما اننا لا ندرك العقل اللطيف الروحاني، بل ما يظهر من العقل هكذا فاننا لا ندرك حقيقة الله بل ما يظهر من الله في صورة الناسوت» (البلاغ والنهاية).

كتاب «المصحف المنفرد بذاته» يناجي الله: «مولاي الحاكم، سبحانه في تجلّيك هذا. ظهرت لنا فرأيناك بأعيننا وبقلوبنا وبأفكارنا... لك الحمد على آلائك ان تسميت بأسمائنا وظهرت بأفعالنا... إلهي. سبحانه. انت الحاكم، الفرد، المتجلّي أماننا... سبحانه من فنيّت ذوات محبّيه في مشاهدته ذاته، فتجلّت الذات في كل شيء، ثم تجلّت الاشياء على ذاتها». وقال ايضاً: «تجلّى ربّك للذين آمنوا، فأروهم في أنفسهم، وخاطبوه في ألسنتهم وقلوبهم، وجالسوه، واحتجب عن أعين الذين كفروا».

### غاية التجلي

الغاية من ظهور الله في صورة الانسان مزدوجة: الاولى تقوم على ضرورة معرفة الله، والثانية تقوم على شفقته على الانسان ومحبته له...

لقد اقتضت حكمة الله من الله أن يظهر ويتجلّى لكي يُعرف على حقيقته ويؤخّده الموحّدون ويعبده العابدون. فكما «ان الروح لا تدرك الا بالجسم، كذلك مولانا جلّ ذكره، بظاهر ناسوته، عزّفنا بلاهوته، ومن حيث نحن. ومن صورنا خاطبنا، ولأّ لما عرفناه ولا أدركناه» (رسالة البلاغ والنهاية).

ولو افترضنا ان الله لم يظهر بالصورة الانسانية، وأراد للانسان أن يعرفه كما هو بلاهوته، لاستحال ذلك على الانسان نفسه، إذ ليس بمقدور وعاء صغير ان يسع أكبر منه، وليس بمقدور المخلوق أن يرتفع الى مستوى الخالق ان لم يَمُنْ عليه الخالق بما يناسب طبعه. تقول الحكمة: «فلما كان العبيد عاجزين عن النظر الى توحيد باريهم إلا من حيث هم، وفي صورهم البشرية، أوجبت الحكمة والعدل أن يتسمّى بأسمائهم حتى يدركون بعض حقائقه» (السيرة المستقيمة).

أما الغاية الثانية فهي رحمة الله بالانسان. فلولا ظهور الله في صورة البشر لما شعر الانسان قط بمحبة الله له ورأفته به. «فكما ان تجلّيه أعظم الرحمة، فإنكاره وجحده أعظم السخط». فلأجل هذه الرحمة الشاملة، أظهر الله لنا حجابيه (بصورة الحاكم) الذي هو محتجب فيه، ومقامه الذي ينطق منه، ليعبد موجوداً ظاهراً، رحمة منه لهم» (رسالة كشف الحقائق). هذه الرحمة الحاصلة من التجلي، هي مبادرة إلهية مجانية، لا فضل للانسان فيها، بل أفاضها الله عليه دون ان يكون له عليه أي حق. لقد «أسبغ» (الله) عليكم نعمته بغير استحقاق تستحقونه عنده، ولا واجب لكم عليه، بل أنعم عليكم بلطفه، وباشركم في الصورة البشرية، لعلكم تدركون بعض ناسوته» (البلاغ والنهاية). تقول الحكمة: «تقرّب إلينا بنا، وأنس عقولنا بصورنا، وظهر لنا بجميع أفعالنا، لتقبله افهامنا». وتقول ايضاً: «أظهر لنا ناسوت صورته تأنيساً للصور، فحار فيها الفكر حين أفكر» وبالنتيجة ان الله هو «الظاهر لتأنيس البشر» (رسالة الغيبة).

من خلال ما ذكرنا، تتضح أهمية عقيدة التجلي عند الدروز. لقد تكلم عليها الموحدون وبحثوا فيها، وألّف حولها الدروز المعاصرون: يقول سامي ابو شقرا: «ان الخالق الحق يتجلّى لعباده تذكرة وتأنيساً، من دور لدور». لكن مبدأ «التقية» يقود ابا شقرا الى الاحتراز فيفسّر التجلي تفسيراً روحياً إذ يقول «ان الله يُري الانسان ذاته رؤية روحية لا مادية» (مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ).

## الباطنية

الباطنية مذهبٌ خفيّ اتخذهُ أصحابه وقاء من نقمة الحانقين والغوغاء؛ وطوّه على معانٍ خُصّت بها فئة مختارة من العارفين. شرعه اليونانيون القدماء، وحصروا أسرارهِ بالمُطلّعين من النُبهاء. فهو منسوب الى ارسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس. ويُروى عن أرسطو أنّه برز لاسكندر الغازه وغموضه بقوله إنه أخفى فلسفته على العامة. وهي جليّة واضحة للفقهاء.

من هذه المصادر الثلاثة انحدر بعض ما في هذا المذهب من عنصر فلسفي الى الدروز الذين يعتبرون هؤلاء الفلاسفة أسيادهم الروحيين. فطبّقوه على التعاليم الاسلامية، ثمّ احاطوه بالحذر والكتمان حتى اليوم. كما أنه استهوى سواهم من الفرق الباطنية في الاسلام المنفتحة للتيارات الفلسفية.

مارسه الموحّدون في خلافة الحاكم بأمر الله، قرباناً بتطهير النفوس، واستغراقاً في التعبّدات، واستخراجاً للمعاني من جمود الألفاظ.

إنّه في الأصل اجتهاد فلسفي لإدراك الحقيقة الإلهية، وتجريد للروح من سطحية المعتقد الديني، وشوق صوفيّ للدنو من معرفة الله، استعمل وسيلة جانبية لتوسيع السلطة وتوطيد أركانها، ولكنه لم يملك من الطاقة الاجتماعية ما يضمن له الانتشار حين سلك الى السياسة طريقاً دينية، وإن هو شَبّ في النفوس حرارة وجدانية كتلك التي تبعثها النزعات الصوفية.

استعمل أتباعه ألفاظاً واصطلاحات خاصة لا يفهم مؤداها إلا المؤمنون على الأسرار، حفاظاً على سلامتهم من أهل السّنة فيما يذهبون إليه، وتسهيلاً

لبثه دون استشارة من يخالفهم فيه. فقد اعتبروا بما آل إليه أمر المعتزلة، حين خلطت السياسة العقيدة، وتشابكت فروعهما. فكانت الحيلة آمن لهم وأضمن لانتشاره. ولا سيما بعد تشتت دعاته، واضطهاد الأتباع في الدولة الفاطمية التي نشأ المذهب في ظلها، ومنها امتد إلى سائر الأقطار، وأصبح الاتصال بين مركز الدعوة والأقاليم من أشق الأمور، حتى إن الرسائل التي كتبت بعد عهد الحاكم لم تُستهل بذكره كما كانت تُستهل الرسائل التي كتبت في عهده، ولم يكن فيها ما يدل على المذهب، بل كانت تبدو عادية، مبالغة في التحفظ والإحتراس، وإغراقاً في الرموز والكنيات.

ويجعلون للآيات وللألفاظ معاني باطنية ليس من الفضول إيراد بعضها وتفسيرها:

مثلاً، يفسرون ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (سورة البقرة) بأن الآية هي «العقل» (الرسالتان ٨ و ٢٩)، و«الكُرسي» أو العرش بأنه الوحي أو علم التوحيد المودع في العقل.

والكافور في الآية: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْفٍ كَانَ مَرْجُوهَا كَافُورًا﴾ (سورة الإنسان) بأنه النعمة والسعادة والرضى. وهكذا يتناولون بالتفسير الآيات والأمثال ممّا لا مجال لسرده. وأكتفي هنا بانتقاء بعض الالفاظ:

السماءات السبع هم الأئمة السبعة، من اسماعيل إلى المهدي.  
«ملكوت السماءات» = دين التوحيد. «الصخرة» التي بُني عليها البيت = «العقل». «السيّل» = محنة الدجال التي لا تقوى على الصخرة. «الاعتراف» = الندامة. «القربان» = العمل الصالح. «جنة المأوى» = دعوة التوحيد. «سدرة المنتهى» = الامام. «النوران» = العقل والنفس. «الجديدان» = النهار

العقل، والليل الضدّ. «الودائع» = الأعمال الصالحة. العذاب والشواب = الشرك والتوحيد. الثوب = الستر. الحجاب = الناسوت. الحنادس = الشرائع الباطلة. الحجج = الحدود الأربعة. الطيور الأبايل = «عبيد مولانا جل ذكره». الصلاة = صلة القلوب بالتوحيد. . .

وقد وُجّه نقدُ يتّهم الدروز بظاهر أقوالٍ مماثلةٍ، أكبر برهان على نفيه ما يتحلّون به من سماحة في الاخلاق، ورعي للذمم، وصيانة وتعفف، وتكريم لشعائر سواهم. وكم وهبوا رهبان النصرارى من أديار وأطيان، حين كانت لهم اليد العليا في لبنان، إن لم نقل حين كانوا الأسياد فيه حتى إنّه سُمّيَ باسمهم، وهم أول من شيد كيانه السياسي في التاريخ. لا يجحد ذلك إلاّ الكافرون بالنعمة الكيانية التي يرتعون في بحبوبة امتدادها اليوم آمين.

فإننا نسمع من ينسب إليهم أموراً هم عنها مترفعون، ولها منكرون. ومن أسخف ما قيل أنّ حاكم «جبل الدروز»، الفرنسي في زمن الانتداب، كان يعتقل من يتنحج، مدّعياً أنّ الدرزي يقصد بها اللعنة، وكزّرت هذا الادعاء أديبة لبنانية كبيرة نشأت بين الدروز. وهي تعلم أنهم لا يتسترون في عدائهم ولا يجبنون. والتاريخ يشهد لهم بأنبل ضروب الفروسية والشهامة والبطولة، وخوض غمار الثورات، حتى في سبيل سواهم. وأقرب مثل لنا على ذلك ثورة سلطان الأطرش من أجل لاجيء اسمه أدهم خنجر اللبناني، غير الدرزي، سنة ١٩٢٢ وقد دامت تسعة اشهر. والثورة الكبرى ضدّ الانتداب الفرنسي في سوريا سنة ١٩٢٥. قادها سلطان، والدروز فيها قلّة حملت أعباء الكثرة بطولتهم، وجاوزت نسبة تضحياتهم للقضية العامة، كلّ حدّ.

## سفر التكوين الدرزي وأدواره

لقد دُلنا مذهب التوحيد دلالة صريحة على أنَّ التجلّي كان اثنين وسبعين دوراً. ظهر الله فيها لخلقه لإبطال حجّتهم. وهذه الأدوار نعرف عشرة منها، بعضها بالمكان والزمان وبعضها بالمكان دون الزمان. أمّا الباقي من الأدوار فلا نعرف عنه شيئاً (اضواء على مذهب التوحيد).

كان أول ظهور إلهي في الكون باسم «العليّ الأعلى» وهو أطول أدوار الدنيا، تجلّى حيث هي القدس. وقد أشارت إليه «الحكمة» عابراً، فقال حمزة: «اعلموا أنَّ آدم قد خدم في دعوة التوحيد والعبادة لمولانا العليّ الخبير، في الاعصار الماضية، قبل هذا الدور (الدور اللاحق) الذي لقّب فيه بآدم» (السيرة المستقيمة) واستمر العليّ مدة تقدر بـ ٣٤٣ مليون سنة على حدّ قول حمزة.

مع ظهور الله في «العلي» ظهرت حدوده وسائر العوالم كافة.

### ١ - العقل الكلي

وُجد العقل على الشكل الآتي: «لما كان «الباري» منفرداً بذاته، غنياً عن مخلوقاته، جعل للموجودات جميعها علّة وسبباً، يتنزّه به الباري عن مباشرة الابداع بذاته المقدسة. هذه العلّة هو العقل الكلي (مختصر البيان في مجرى الزمان).

هذا العقل كان «علّة العلل» و«سبب الاسباب». بالعقل كُوّنت جميع الكائنات فكان به تكوينهم. هو مدرك محسوس، يأكل ويشرب عكس العلي

الذي لا يُدرك. وهو غاية الموجودات، قال له العلي: «لَا دَخَلَ أَحَدٌ جَنَّتِي،  
أَي مِثَاقِي، إِلَّا بِكَ وَبِمَحَبَّتِكَ. مِنْ أَطَاعَكَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَاكَ فَقَدْ  
عَصَانِي» (كشف الحقائق).

في مجموعة «رسائل الحكمة» والشروحات عليها فيض من الكلام على  
العقل ودوره وصفاته. وقد تكون كلها في تمجيده والاعتراف بفضله... لقد  
ظهر هذا العقل بأشكال وأسماء مختلفة.

## ٢ - الضد

لقد وُجد الضدُّ من إعجاب العقل بنفسه، إِلَّا أَنَّ العلي أمر الضد بطاعة  
العقل، فأبى وتكبر، وطلب الرئاسة على العقل. وعلم العقل أَنَّ العلي ابتلاه  
لإعجابه بنفسه، فأقرَّ بضعفه، وتضرَّع إلى مولانا العلي الأعلى ليوجد له مُعيناً  
على الضدِّ المخالف. فخلق له «النفس».

## ٣ - النفس

وهكذا وُجدت النفس من بين نور العقل وظلمة الضد. لقد حرَّك  
الباري جوهري النور والظلمة، حتى لَقَّح بعضها ببعض، فظهر منها جوهر  
ثالث، هو النفس. ولكنَّ الغالب في النفس من نور العقل. أفيض عليه من  
نور العقل الجزء الكبير، ومن ظلمة الضد النور اليسير. وأمر العليُّ سبحانه  
النفس بطاعة العقل، وعزَّفه أنه الواسطة الكلية والمنفرد بالدرجة العلية، فأقبل  
النفس على طاعة العقل (مختصر البيان).

## ٤ - الاساس

لما قام العقل خلف الضد وقام النفس قدامه، زاغ الضد عنهما يميناً  
وشمالاً، واحتاج مُعيناً له عليهما، فوجد «المعين المؤلف» أي «الاساس»  
وهو الضد الآخر للنفس. وسَمِّي «مؤلف» لانه يؤلف الضدَّ. وبذلك حالة  
الازدواج في كل شيء ما بين نور وظلمة، وطاعة ومعصية... هذا الازدواج  
هو سبب وجود الخير والشر في العالم.

## ٥ - الكلمة

واحتاج النفس الى مُعين على الأساس . فكان «الكلمة» . وهذا معنى قول الحكمة : «احتاج العقل الى مُعين يكون له على يمينه (اي يمين الضد)، واحتاج النفس الى معين يكون له على شماله (أي شمال الضد) لينحصر الضد بينهم، فظهرت الكلمة الازلية» .

## ٦ - السابق

ثم انفعل جوهر الكلمة بالحركات التأييدية المتصلة إليه من العلل الروحانية السابقين له في الابداع، أعني العقل وال ضدّ والنفس والاساس فظهر من الكلمة جوهر «السابق» قابلاً أيضاً للخير والشر قبولاً متساوياً .

## ٧ - التالي

ثم انفعل جوهر السابق بحركات العلل الروحانية التي فوقه، المتحركة بتأييد العلي، فظهر من جوهره الشريف جوهر «التالي» الذي هو العلة الاخيرة: فكان أيضاً عنده قبول الخير والشر قبولاً متساوياً . . . وبهذا ثبت عدل الله في خلقه .

هذه الجواهر السبعة هم «أرواح مجرّدة قبل حلولهم في الأجسام البشرية . ولم يكن من جميع الكائنات موجود إلاّ هذه الجواهر الخمسة، وجوهر الضد والاساس» . وهي جميعها علة جميع الكائنات . خمسة منها هي علة كل خير، واثان سبب كل شر وفساد في الدنيا . وليس العلي الأعلى، بعد أن أوجدها، أية مداخله في الكون . لقد فوّض الى العقل كل شيء .

لقد استمر دور العلي الأعلى في الصورة الناسوتية مدّة طويلة جداً . استمرت ٣٤٣ مليون سنة وظهرت في هذه المدّة الطويلة أدوار عديدة الى أن ظهر دور البار، أو الباري .

## دور الباري

ظهر البار في هَجَر، من قول أحد الموحدين لأخيه: «اهجر ابليس وحزبه» والبار لفظ فارسي من «بار خُداي» ومعناه «الإله الأعظم» أو «إله الألهة». بظهور البار، ظهر العقل في «آدم الصفا الكلّي» أو «شُطنيل». لقد أطلق «شُطنيل» الدعاة الاثني عشر، وبشّر بالدعوة التوحيدية فُلُقَب بأبي البشر، لان البشر ههنا هم الموحدون، لانهم بُشّروا بآدم، وقبلوا منه التوحيد فصار أبوهم في الدين (السيرة المستقيمة).

ثم ظهر «الضدّ» باسم «حازت بن تَزَمَاح». وظهر «النفس» باسم «أخنوخ» أو آدم الثاني، أو أيضاً «آدم العاصي» أو «حوّا»، لانها احتوت على جميع المؤمنين (السيرة المستقيمة).

واستمر التوحيد مكشوفاً في دور البار مدّة طويلة، الى أن غاب مقام البار، وغاب لغيته صفيّة «شُطنيل»، ودام الموحدون على حالهم، ودام باب الدعوة مفتوحاً حوالي ألف سنة، حتى تغيّرت أحوالهم ومالوا الى المشركين. فغضب عليهم البار، وأظهر لهم الشرائع الناموسية الواحدة بعد الاخرى كما يلي:

- ١ - شريعة آدم «الناسي» الذي قيل فيه انه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ يَجِدْ لَمْ عَزِماً ۝﴾ (سورة طه) للقيام بشريعة ناموسية تكليفية. وهو أول «النطقاء»، أي الانبياء الذين «نطقوا» بشريعة فاسدة.
- ٢ - شريعة نوح: وهو نوح بن لَمَك. أول من نهى عن طاعة آدم، وأشار الى العدم والى نفسه. فدخل أهل الحق (الموحدون) في شريعته (مختصر البيان).
- ٣ - شريعة ابراهيم: وهو ابراهيم بن آزر، وأساسه اسمعيل، دخل أهل الحق في شريعته، وظهر في أيامه من الصالحين اسحق ويعقوب ويوسف وغيرهم.
- ٤ - شريعة موسى: وهو موسى بن عمران وأساسه هارون. دخل أهل الحق

في شريعتهم... وظهر في زمانهم من الأنبياء الصالحين أشعيا وأرميا وحزقيال ودانيال وداوود وسليمان وشعيب وإيوب... ثم فوتاغورس وأفلاطون وأرسطاطاليس وغيرهم (مختصر البيان).

٥ - شريعة عيسى: هو عيسى بن يوسف، أساسه شمعون الصفاء، وحججه الحواريون الاثني عشر. انتقل أهل الحق الى شريعتهم. ظهر في زمانهم أنبياء صالحون أمثال «السيد المسيح» الذي هو «يسوع عليه السلام» وأصحاب الأناجيل الأربعة: يحنّا ومثّا ومرقس ولوقا. هؤلاء كانوا يفيضون الوحي الى عيسى، ويودعون الحقائق التوحيدية في شريعته.

٦ - شريعة محمد: وهو النبي محمد وأساسه علي بن أبي طالب. ولما قام علي بن ابي طالب بالتأويل دخل أهل الحق في تأويله، واستمروا عنده حتى انقضت مدة سبعة أئمة بعده، وهم من ذريته: الحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق واسماعيل. وكانت شريعتا محمد وعلي أقوى الشرائع.

٧ - شريعة محمد بن اسمعيل ابن جعفر الصادق... ابن علي بن ابي طالب. ختم الشرائع وأتمها. هو كالنطقاء أو الأنبياء السابقين. لكنه لم يكن له كتاب أمثالهم لذلك بقي أهل الحق على شريعة النبي محمد وشريعة أساسه علي.

## مراتب الباطنية

«التوحيد غير «الباطنية»، وإن هو انبثق منها، أو انشق عنها، واشترك في كثير من مراتبها ومناسكها وتعابيرها، حتى ليتبادر الى الذهن أنهما عقيدة واحدة. وسنعرض لأوجه الشبه والافتراق فيما يلي من هذه المراتب الروحية بمنتهى الایجاز والجهد في الإيضاح.

الباطنية تعتبر «العقل» و«النفس» بمثابة الأب والأم للوجود الإنساني. منهما يستمد سائر «الحدود» وجودهم؛ وهم: «الكلمة» المنبثقة من «النفس» بواسطة العقل. و«السابق» المنبثق من «الكلمة» بواسطة النفس. و«التالي» الذي يستمد سلطته وقدرته من السابق. هؤلاء هم الحدود الخمسة.

و«التوحيد» يقول ان العليّ سبحانه أبدع من ذلك الشوق والتضرّع «نفس» الحدود... فصار بمنزلة الأنثى. والعقل بمنزلة الذكر... وجميع الحدود أولادهما. فأراد بالذكر «العقل». والانثى هي «النفس»... فانبعث من العقل «الكلمة». ومن النفس «السابق»... أبوهما النور أي العقل. وأمهما الرحمة أي «النفس»... وان الله «أبدع» من نوره الشعشعاني الكامل العقل الكلي. وأبدع من نور العقل النفس الحقيقي. وأبدع من نور النفس الكلمة. وأبدع من نور الكلمة السابق. وأبدع من نور السابق التالي. وأبدع من نور التالي الارض وما عليها والافلاك... الخ.

ولكن في التقسيم الباطني يطلق نعت «السابق» و«التالي» على الأول والثاني من الحدود، أي على العقل والنفس. فالعقل أصل الوجود. باتحاده بالنفس يتكوّن منطق الحياة، أي الكلمة، أو المعرفة التي تنقسم الى ما سبق

منها وما يليه على توالي الأجيال. بهذه المعرفة يرتفع الانسان نحو «العقل»  
الكلّي، في طريق الكمال، على ممّر الدهور.

وتنال المعرفة بواسطة «الجسد» في طلب العلم، و«الفتح» في ميادينه  
الواسعة، و«الخيال» فيما يمكن تصوّره. وهي ترمز الى متممات الوجود في  
مراحل تلك الطريق.

في شرح هذه العناصر، وهي خمسة في الباطنية وثمانية في التوحيد،  
وَرَدَ: أنّ جوهر «النفس الكلية»، أي الفعل والصورة، جاء من «العقل  
الكلّي»، أي من العلم والقوّة. ومن جوهر النفس برز جوهر «الكلمة» الذي  
منه جوهر «السابق» «فالتالي»، وهما غير السابق الاول وتاليه «النفس»  
الكلية.

ثمّ ظهرت «النفوس الناطقة» من «التالي». فبرزت الهيولى، والهيولى  
جوهر بسيط قابل للصور. هو مادة الوجود.

وورد في شرح «السابق» «والتالي» الأخيرين: أنّ السابق وُصف بالبرودة  
«لأجل سكن العلم واستقراره ببرودة الحلم وهدوء الوضع». ووُصف التالي  
بالحرارة، لما فيه من اليقظة، والحركة، والشوق لأخذ العلم عن السابق،  
ولحاجته لإظهار الفوائد لمن هو دونه أو بعده.

إنّ المراتب الخمس روحانية وجسمانية، لا يدرك كنه ترتيبها إلّا  
الراسخون في علم الباطن. فالرسالة «١٧» تقول:

«لكل حد، في العلو روحاني، حد، في السفلى، جسماني، يقوم  
مقامه. فالناطق يقوم مقام السابق. والاساس يقوم مقام التالي. والامام يقوم  
مقام الجد. والحجة مقام الفتح. والداعي مقام الخيال».

تقول عنهم الرسالة ١٥: «السابق والتالي والجد والفتح والخيال،  
والناطق والاساس والامام والحجة والداعي، كلهم عبيد لمولانا جل ذكره،  
موجودون في عصرنا هذا. مشخّصون...».

في محاولة التقريب الى الافهام بين الباطنية والتوحيد، يُصنّف الداعي والمأذون والمكاسر، في مكان آخر، بانهم الجدّ والفتح والخيال (الرسالة ٣٨) هؤلاء الثلاثة مع الخمسة العلويين هم المقصودون بقول حمزة (الرسالة ١٣) إنهم «حملة العرش الثمانية» المذكورون في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ (سورة الحاقة).

أما بهاء الدين (الرسالة ٥٧) فإنه يصنّفهم كما يلي:

١ - علة الإبداع، العقل. ٢ - المشيئة، النفس. وهو أول الحدود الأربعة الذين يلونه، باعتبار العقل فوقهم جميعاً. ٣ - المُنَى، الكلمة. ٤ - الثلاث، السابق. ٥ - الرباع، التالي.

ويلي هؤلاء: ١ - الدعاة. ٢ - المأذونون. ٣ - النقباء، أو المكاسرون. ثم يأتي بعدهم المستجيبون، الموحّدون، على هذا الترتيب، وإن كانت الرسالة «٢٠» تميّز بين النقباء والمكاسرين حيث يُجعل «المجتبى» أي النفس خليفة العقل «على سائر الدعاة، والمأذونين، والنقباء، والمكاسرين». ولعلّ ذلك التفريق تنظيم جديد أحدث فيما بعد في جهاز الدعوة.

تصف الرسائل السماويين، أو الروحانيين، الخمسة المذكورين آنفاً، بأنهم «خمسة روحانية». ولهم في مواضع كثيرة أسماء وألقاب مختلفة لا مجال لسردها جميعاً. والكلمة «الجناح»، عندما لا يُقصد بأنه أحد الجناحين: الأيمن والأيسر. فالجناح الأيمن - عند التخصيص - هو «السابق»، والجناح الأيسر هو «التالي». ولذلك، من باب التمييز، يطلق أحياناً على «الكلمة» أي ثالث الحدود، لقب «الجناح الربّاني».

الى هذا أشار «المقريزي» في كتابه «الخطط» بقوله إنّ هذا الغموض في الملابس يُوضّح للمستجيب عند بلوغه الدرجات العليا في علم الدين. إذ يُوضّح له في الدرجة الثامنة (كذا) أن السابق سيد الوجود، والتالي منبثق

منه . وهما متلازمان كالعلّة والمعلول ، أو السبب والنتيجة . وأنّ التالي قد يصل في تكامله الى درجة السابق ، كما يستطيع «الاساس» أن يبلغ مرتبة «الناطق» و«الداعي» مرتبة «الاساس» . ولعلّ هذا التداخل يقرب الى الأذهان أمثال نظرية الثالث وما شابهها ، كقول أفلوطين «بالواحد الاحد ، يليه العقل ، فالنفس . ثلاثة في نظام الطبيعة . لا أكثر ولا أقل» .

على أنّ مذهب الموحّدين يقول عن ارتفاع الدرجات أنّ نفوس المستجيبين «تتعالى في درج الكمال» . . . وان أول الحدود الاربعة «هو المشيئة اعظم الدرجات» . . . وقد سُفّوا درجات لأنهم موصولون الى معرفة العقل . وان الدرجات ، أي المنازل العالية في الثواب ، أولها درجة المكاسرة (أي الصرف من التلحيد الى التوحيد) . ونهايتها الامامة . . . «وكذلك الجزء في الثواب ، ما دام في قميصه ، فهو زيادة درجته في العلوم ، وارتفاعه من درجة الى درجة في اللهوات (أي التكرار في الأقمصة) الى ان يبلغ حد المكاسرة» . . . «الى ان يبلغ حد الامامة» . . .

وللإمامة سبع مراتب أو أوصاف نفضّلها كما يلي :

- ١ - حقيقة : لإمام الزمان . إمام الأئمة اخوته الأربعة . «ونصب مولانا جل ذكره ولعيده إماماً» .
- ٢ - مجازية : للباري تعالى «وكل ما يقع عليه من الأسماء مثل الامام ، وصاحب الزمان ، وأمير المؤمنين ، ومولانا ، كلها لعيده» .
- ٣ - اغتصابية : لحدود الشريعة وهم خمسة . «اغتصاباً لهم ولمنازلهم الى يوم الوقت المعلوم» .
- ٤ - ضرورة : للحدود الاربعة . «لان الداعي يمثل بالامام في حال الضرورة . لا حقيقة» .
- ٥ - نيابة : للحدود الاربعة في حضور الإمام . «والأربعة من قبله . كل واحد منهم يقع عليه اسم الامامة» . . .
- ٦ - خلفه : للمقتنى بهاء الدين . «الامام الصادق بالقول الثابت عن قائم

الحق ومسيح الازمان"... «إماماً موجوداً معدوماً عن الخطل والشرك والهوى».

٧ - قدوة: للخلق الصالحين الأبرار. «واقندوا بهم فوقع عليهم عليهم اسم الامامة»... هكذا نرى الباب مفتوحاً للتعالي «في درج الكمال» و«بلوغ حد الامامة».

## أدوار الاعداد للكشف الحاكمي

### ١ - دور ابي زكريا

لما قرب الفرج وهجم زمان الكشف الاخير (في دور الحاكم) أوجبت «الحكمة» ظهور مقام ابي زكريا في وقت الامام الثالث للاسماعيليين احمد بن محمد بن اسمعيل وفي صورته البشرية. ان ابا زكريا هو نفسه محمد بن محمد الملقب بـ «احمد الرضي» الذي اضطهده المأمون الخليفة العباسي فنزح الى تدمر ثم استقر في سلمية ما بين حمص وحماء. في أيامه ظهر اخوان الصفاء برسائلهم السرية، وهم عند الدروز، رجيل من اهل التوحيد الاول الذين كانوا يستمدون شروحاتهم من الامام احمد. وكان حجته في الدين عبدالله بن احمد ميمون القداح. (سليم ابو اسمعيل «الدروز»).

ظهر العقل الكلبي في دور ابي زكريا بصورة أسماها المولى قارون. وظهر النفس بصورة ابي سعيد الملطي. أما سائر الحدود فلا نعرف عنهم شيئاً نظراً لتخفيهم بسبب الاضطهاد.

### ٢ - دور العلي

هو الحسين بن احمد بن اسمعيل، كُتبي بالحسين الوفي ولقب بـ «العلي». لم يبق لشيعه الحسين من القوة ما يمكنها من المقاومة الفعلية، فعمد الحسين الى تنظيمات سرية واتخذ عبدالله القداح مستودعاً له واقامه حجة ظاهرة لدعوته.

### ٣ - دور المعلّ

هو علي بن الحسين بن احمد بن اسمعيل. كان كثير الحذر لا يستقر

في مكان. كان يظهر بمظهر التجار ويجوب صحاري تدمر والمشرق. من معجزاته انه «كان يسافر وحده بألف جمل محملة من البضائع والاموال وليس معه سوى غلام واحد... وكان اللصوص إذا حاولوا اخذ شيء من أي جانب، يجدون المعلن حاضراً عنده. فلم يقدرُوا ان يأخذوا شيئاً (مختصر البيان في مجرى الزمان). ترك المعلن طفلاً اسمه محمد، عُرف فيما بعد باسم «القائم بأمر الله» وكفله «سعيد الخير» الذي عُرف فيما بعد باسم «عبيد الله المهدي» مؤسس الدولة الفاطمية.

#### ٤ - دور القائم بأمر الله

استلم القائم بأمر الله الحكم من عبيد الله المهدي وعزم على الزحف على مصر، إلا ان ثورة الأدارسة كانت تهدد الدولة الفاطمية. فحوّل القائم أنظاره الى المغرب فأحمد ثورتها. واستمرت الحروب بينه وبين الروم طوال عهده. (الدكتور عارف تامر).

#### ٥ - دور المنصور بالله

بدأ حكمه في محاربة الخوارج الذين طوّقوا عاصمة الدولة الفاطمية وكان على رأسهم «ابو يزيد الخارجي» الذي اتخذ القيروان قاعدة لثورته. لقد انتصر المنصور على الثورة وأمر ببناء مدينة المنصورية تخليداً لذكرى هذا الانتصار. (اصل الموحدين).

#### ٦ - دور المعز لدين الله

قضى على الثورات الداخلية كما قضى على دولة الادارسة ودانت له جميع قبائل البربر، وأخضع الخوارج، وشنّ على الروم حروباً طاحنة... وأخذ يفكر بغزو مصر بمعاونة القائد الفاتح جوهر الصقلي. في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، زحف جوهر على مصر فأخضع الاسكندرية واتجه الى الفسطاط ووضع أسس مدينة القاهرة وأزال سلطان العباسيين وعملائهم الاخشيديين. ودخل المعز القاهرة وسكن القصر الذي بناه له جوهر وأصبحت القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية ثم استطاع أن يستولي على بلاد

الشام فامتدت الدولة الفاطمية من المحيط غرباً حتى الخليج العربي شرقاً.

## ٧ - العزيز بالله

تعاظم في عهده خطر افتيكين التركي الذي خرج على الدولة العباسية واستقل بالشام بمساعدة القرامطة. لم يستطع العزيز أن يقضي عليهم إلا بعد جهد طويل. وكان العزيز شغوفاً بالعلم ويكنّ تقديرًا للعلماء. قضى العزيز ببليس واستلم الحكم ابنه الحاكم.

يعتبر الدروز أنّ هذه الأدوار كانت استعداداً للكشف. ويعتبرون أيضاً، على حدّ قول حمزة، بأنّ الحاكم... وهو المعزّ وهو العزيز وهو الحاكم جلّ ذكره، يظهر لنا في أي صورة شاء وكما يشاء. ويقولون بأنّه «لما قام مولانا الحاكم جلّ ذكره بصورة التوحيد، انكشف المكنون... وزال كل مستور، وزهق المغرور. وإنجاز وعده لا يبور». ويؤمنون بأنّ من عرف دور الحاكم استغنى عن الأدوار السابقة، لأن دور الحاكم هو أعظمها وأشرفها وأكملها وتمامها. انه الحاكم على جميع النطقاء والشرائع، المنفرد عن جميع المخلوقات والبدائع. والمقامات كلها تعتبر بمثابة مقام إلهي واحد. كلّها تصوّب نحو «الكشف» النهائي في «الحاكم».

## حدود دعوة التوحيد

حدود التوحيد خمسة. كانوا منذ البدء، وظهروا مع كل ظهور إلهي بصور جسمانية بشرية. «الحدود» من آية قرآنية تقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٣﴾ (سورة النساء)، ﴿الَّذِينَ مَرَّتَانٍ قَامَسَاكُمْ يَعْرِفُونَ بِإِحْسَنٍ وَلَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا إِلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٣٣﴾ (سورة البقرة). و«الحدود» في المفهوم التوحيدي، هم غاية الوجود «وقد تناهت فيهم الكمالات من سائر الوجوه» (الدرر المضية واللمع النورانية). وهم القيمون على كشف التوحيد في مختلف أدوار الكشف، وهم وسائط الله وسفراؤه، وينابيع حكمته.

هؤلاء الحدود وجدوا كما يلي: «أبدع (مولانا) من نوره الشعشعاني الكامل العقل الكلي، وأبدع من نور العقل النفس الحقيقي، وأبدع من نور النفس الكلمة، وأبدع من نور الكلمة السابق، وأبدع من نور السابق التالي. وأبدع من نور التالي الارض وما عليها والافلاك الدائرات والبروج الإثنى عشر والطبائع الاربعة والهيولي». (رسالة سبب الاسباب).

وهؤلاء الحدود مشخّصون في وقتنا هذا في حضرة مولانا الحاكم كما يلي: العقل مشخّص بحمزة بن علي، والنفس مشخّص باسمعيل التميمي، والكلمة مشخّص بمحمد بن وهب القرشي، والسابق أو الجناح الايمن

مشخص بابي الخير سلامة السامري، والتالي او الجناح الايسر مشخص بعلي بن احمد السموقي المعروف ببهاء الدين المقتنى . . .

من عرف هؤلاء الحدود، روحانياً وجسمانياً، وعرف درجة كل واحد منهم، بان له توحيد مولانا القائم الحاكم بذاته (التقض الخفي). اما الذين لا يعرفون هذه الحدود فليسوا من الموحدين. قالت الحكمة: «من عدم معرفة هذه الخمسة حدود لم يعرف التوحيد في وقتنا هذا، وكان توحيده دعوى» (رسالة الشمعة)، أي باطلاً. وقال قائم الزمان: «من كذب على إمامه، أو خالف حداً من حدود التوحيد، فقد خرج من جملة الموحدين، وصار من الكافرين بنعمته».

وبالنتيجة فان معرفة الحدود ضرورة واجبة للموحدين، وقد لا يفوزون بالخلاص إن هم جهلوه.

### العقل = حمزة بن علي

#### ١ - العقل الكلبي

إنَّ العقل الذي تَشَخَّص في مختلف أدوار الكشف بأشخاص عديدين مختلفي الصور والاسماء، ظهر في دور الحاكم باسم حمزة بن علي بن احمد الزوزني الخرساني الفاطمي. ويعترف حمزة بانه كان منذ الدهور، وهو العقل الكلبي، وهو آدم الصفاء، وانه هو الذي دعا الناس الى التوحيد «في سبعين عصراً، ما منها عصر إلا ويظهرني مولانا، جلّ ذكره فيكم، بصورة اخرى واسم آخر ولغة اخرى» (الغاية والنصيحة).

ويقول في المعنى نفسه: «اصطفاني (المولى) وأبدعني من نوره الشعشعاني من قبل أن يكون مكان... من قبل أن يخلق آدم العاصي وآدم الناسي بسبعين دوراً... وما منها عصر إلا وقد دعوت العالمين الى توحيد مولانا...» (سبب الاسباب).

لحمزة صفات العقل جميعها، بل حمزة هو العقل، والعقل هو حمزة

وقد لا نستطيع حصر صفات حمزة كلها، فرسائل الحكمة مليئة بها. وإليك ما يقول حمزة عن نفسه: «الحمد لمن أبدعني من نوره وأيدني بروح قدسه... وأطلعني على مكنون سرّه... أنا صراطه المستقيم، وبأمره حكيم عليم... أنا صاحب البعث والنشور... أنا النافع باذن المولى سبحانه في الصور... وعلى يدي يحلّ بأهل الشرك النقم... أنا مجرّد سيف التوحيد، ومهلك كل جبار عنيد... أنا قائم الزمان وصاحب البرهان والهادي الى طاعة الرحمن» (التحذير والتنبية).

إنّ صفات حمزة تدل على مهامه وأدواره في دعوة التوحيد. فهو يتميّز عن سائر الحدود إذ لا يجوز إلّا له كتابة «الحكمة». وإذا كتب سواء بعضاً منها فبتكليف منه صريح. هاكه يصرّح: «وليس لأحد من الحدود أن يؤلّف كتاب، ولا يقرأ على من استجاب... فان قرأ عليهم كتاباً بغير أمر فقد عصى القاريء والمستمعون جميعاً، لأن الامام ينطق بتأييد مولانا جلّ ذكره روحانياً بلا واسطة...» (رسالة التنزيه).

ويعترف اسمعيل التميمي بأنّه لم يستطع كتابة شيء لولا أمر صريح من قائم الزمان حمزة. وكذلك بهاء الدين يعترف هو الآخر بأن جميع ما وضعه من كتب ورسائل في مجموعة الحكمة هو من «بركات قائم الزمان ووليّ الفضل والاحسان».

ومن مهمات حمزة الرئيسة نسخ جميع الشرائع والنواميس. وقد يكون ظهور حمزة في هذا الدور من أجل ارجاع التوحيد الى اصوله وصفاته، ذلك التوحيد الذي كان قبل ظهور النبيين والنواميس. ولقد عرّفت به الحكمة بأنه «مسيح الازمان وناسخ الاديان وقاتل الابلis والشيطان المنتقم من أهل الكفر والطغيان» (رسالة التعقب والافتقاد).

## ٢ - من هو حمزة

«وجد» حمزة يوم الخميس في ٢٣ ربيع الاول سنة ٣٧٥هـ الموافق ١٣ آب سنة ٩٨٥م وهو نفس التاريخ الذي «وُجد» فيه الحاكم. أصله من زوزن

من بلاد فارس، جاء مصر سنة ٤٠٥هـ وأعلن دعوة التوحيد مع بعض من أصحابه الذين نادوا به إماماً للموحدين وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة. وهو عمره في جميع الأدوار.

وأقام حمزة دوراً للقضاء خاصة بالموحدين وحظي بالتأييد المطلق من قبل الحاكم. وكثر عدد المستجيبين للدعوة فبلغ ستة عشر ألفاً. «ومن الذين استجابوا لدعوة التوحيد عدد كبير من أعيان الدولة، كالشريف فخر الدولة أبي يعلا حمزة بن أبي العباس الحسيني نقيب الطالبين في بلاد الشام، وبعض أمراء آل تنوخ. (عمدة العارفين).

### ٣ - الدعاة

من الدعاة أيضاً محمد بن اسمعيل الدرزي الملقّب بنشتكين، وحسن بن حيدر الفرغاني المسمّى بالأخرم، وعلي بن احمد الحبال، والعجمي وغيرهم... خاطبهم حمزة بقوله: «وما منكم احد إلا وقد نصحته... فمنكم من استجاب ونكث... ومالوا الى الشهوات والأعواق». هؤلاء جميعهم عملوا مع حمزة على اعداد الدعاة وتنظيم الاجتماعات وتوزيع الأدوار والحصول على تأييد الحاكم.

وتوالى اجتماعاتهم في جامع رَيدان المحصّن، خارج اسوار القاهرة، منذ سنة ٤٠٥هـ. إلا أن الدرزي، الذي كلف بنشر الدعوة بين موظفي البلاط، حاز رضى الحاكم الذي «فوّض إليه الامور وبلغ منه أعلى المراتب بحيث أن الوزراء والقوّاد والعلماء كانوا يقفون على بابهِ، ولا ينقضي لهم شغل إلا على يده...» (النجوم الزاهرة).

واستغل الدرزي مكانته في القصر، وتسلطه على بيت المال، واستقل بكتابة الرقاع الى بعض دعاة الاسماعيليين... واعتقد انه اولى بالامامة من حمزة، فباشر الدعوة سنة ٤٠٧هـ ووقع الخلاف بينه وبين حمزة. فكتب إليه حمزة محذراً: «ان كنت تدّعي الايمان فأقرّ لي بالامامة... فإذا فعلت هذا مالت قلوب العالم إلينا وارتفعت ألسنتهم عنا» (رسالة الرضى والتسليم).

إلا أن الدرزي مضى في غيّه وغطرسته ومعاندته، وأصبح بنظر حمزة والدروز من بعده «الضدّ» على الإطلاق، كما أصبح غطريساً متكبراً حاسداً عاصياً. يقول فيه حمزة: «غطريس هو نشكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين... وأبى أن يسجد لمن نصبه المولى جلّ ذكره وقلّده واختاره وجعله خليفته في دينه... فتغطرس على الدين... طلباً للرئاسة...» (رسالة الغاية والنصيحة).

والدرزي بنظر حمزة والدروز هو «العجل» والعجل هو «الضدّ». وقد أصبح كل ضدّ يسمّى «العجل». فجميع الانبياء والساعون وراءهم هم «عجول» لانهم جميعاً اضداد التوحيد. يقول حمزة: «والعجل هو ضد ولي الزمان... وسمي الضد عجلاً لأنه ناقص العقل، عجول في أمره. له خوار». ويسبب أخذ الدروز اسمهم من الدرزي، أتتهمم الجهال من الناس بعبدة العجل. ولكن الدروز يرفضون الدرزي، ويرفضون نسبتهم إليه.

ولعدم حصول الدرزي على شيء من تعاليم الحكمة، كتب إليه حمزة يحذّره من تعاليم يقوم بها على هواه: «ان الذي تطلبه من الكشف ليس لك عليه قدرة، ولا بفعله طاقة... وقد أظهرت أنا من العلم الحقيقي المكنون ما تعجز أنت عنه وجميع العالمين».

لقد عمل الدرزي في نقل رئاسة الدعوة إليه، فحذّره حمزة مرة أخرى بأن الامامة «لا تنقسم في شخصين في وقت واحد، إذ كانت الامامة نوراً شعاعياً، لا يتجزأ ولا يدنّسه ند ولا يغيّره ضد».

وهكذا، كما ظهر العقل الكلي بحمزة بن علي، ظهر الضد الذي هو ابليس «بالدرزي». وهي محنة ابتلاه بها المولى. وكما ظهر ابليس من اعجاب العقل بنفسه، كذلك ظهر الدرزي من «تحت ثوب الامام». وكما كان لابليس معاونون، كان للدرزي أيضاً دعاة أفسدوا التوحيد وعملوا بحسب أهوائهم الشنيعة.

وبسبب تعاليمهم هذه علّقت دعوة التوحيد سنة كاملة، وهي التاسعة

بعد الاربعمائه، وغاب الحاكم، وغاب الامام حمزة، وغاب جميع الدعاة، وانقطع النص. وكانت هذه السنة امتحاناً عسيراً على الموحدين واختباراً شديداً لايمانهم...

نزلت بالدعوة، وهي في مهدها، محنة قاسية. لقد انقسم الدعاة بعضهم عن بعض، فكان الدرزي وجماعته في جهة، وحمزة وجماعته في جهة اخرى. وقام أهل كل الأديان في وجه الدعوة يريدون القضاء عليها. في هذه السنة ٤٠٩هـ غاب الدعاة عن المسرح، وراحوا يعيدون النظر في تنظيم صفوفهم ويختلون بالحاكم ليتداركوا المصاعب والمخاطر. غير أن تعليق الدعوة لم يثن الدرزي عن نشاطه... فمضى في دعواه يستجلب من يستطيع استجلابه... فاشتدت عليه نقمة أهل القاهرة، وتصدّوا له وقتلوا أربعين من اتباعه. لكن الدرزي سعى الى مفاوضتهم، ونجح في إقناعهم بالتصدي لحمزة بن علي الذي كان معتكفاً مع بعض الموحدين في مسجد ريدان. انضم الدرزي الى ما ينيف على العشرين ألفاً من الناقمين لقتال إمام الموحدين. ولم يكن مع حمزة في حصنه إلا نفر قليل لا يتجاوز الاثني عشر. لقد صمد حمزة وأتباعه امام المهاجمين. وعند المغرب بلغوا أشد درجات الضيق فأطلّ الحاكم من على شرفة قصره المشرف على المساجد، فكفّت الجموع عن القتال ورفع عن حمزة بن علي الحصار. (الكاتبة).

#### ٤ - نهاية الدرزي

في رأي الدروز عامّة أنّ الدرزي قتل سنة ٤١٠هـ وهم يعتمدون بذلك على تاريخ الانطاكي. إلا أنّ هناك رأياً آخر يرجح ابعاده الى بلاد الشام وهو رأي المؤرخين غير الدروز، وقد يكون الأكثر صواباً. لقد أكد هذا شمس الدين بن قزأ وغلي في تاريخه مرّة الزمان إذ روى بأنّ الناس ثاروا عليه وقصدوا قتله فهرب الى الشام بمعونة سرية من قبل الحاكم. خرج الى الشام ونزل غربي دمشق فقرأ الكتاب على أهله، وأعطاهم المال واستمالهم الى الحاكم.

## ٥ - غيبة حمزة الاخيرة

في نهاية سنة ٤١١هـ، غاب حمزة بن علي غيبته الاخيرة. وسلم مقاليد الدعوة الى المقتنى بهاء الدين علي بن احمد الطائي. وكانت غيبة حمزة بعد غيبة الحاكم في ٢٧ شوال سنة ٤١١هـ. ثم غالب معهما جميع الحدود، ما عدا بهاء الدين المقتنى الذي عاد الى نشر الدعوة بعد سبع سنين من محنة علي الظاهر.

وفي اعتقاد الموحدين أنَّ غيبة حمزة كانت امتحاناً لهم ولاخلاصهم لدعوة التوحيد، وهو ما زال موجوداً يرأسل الدعاة سرّاً. وبعد غيبة الحاكم بشهرين ارسل حمزة «رسالة الغيبة» رقم ٣٥ على يد ابي يعلا، الى الموحدين في بلاد الشام. وكانت الاخيرة من يده.

### النفس = اسمعيل التميمي

إنّه الحدّ الثاني من حدود التوحيد الخمسة. هو بمقام «النفس الكلية» التي تشخّصت فيه في دور الحاكم، لقد قلّده حمزة مرتبته التوحيدية ومنزلته الدينية إذ كتب له: «إني نظرت إليك... فجعلتك خليفتي على سائر الدعاة... وأسميتك بصفوة المستجيبين وكهف الموحّدين... وجعلت لك الامر والنهي على سائر الحدود وتولّي من شئت وتعزل من شئت».

وفي أمكنة كثيرة من «رسائل الحكمة» يعتبر اسمعيل في الدرجة الثانية بعد حمزة. وفي الرسائل القليلة التي وضعها اسمعيل يعطي نفسه ذات الألقاب والصفات والمهام التي يضيفها عليه حمزة (تقليد المقتنى). ثم يعطينا درجته من حمزة إذ يقول: «أوجدني (قائم الزمان) منه لقوة إبداعه ومادته وجعلني تاليه وحجته وزوجته ومودع سرّه وحكمته. وأفاض عليّ نوره وبركته... فأنا النفس ومنزلي من امام الهدى بمنزلة القمر من الشمس... (الرسالة الموسومة بالرشد والهداية).

لقد وضع اسمعيل في مجموعة الحكمة خمس رسائل من رقم ٣٦ الى ٤٠ في الجزء الثاني منها. غاب مع غيبة حمزة واختفى عن مسرح الاحداث بسبب الاضطهاد، لقد اقتصر عمله على شرح نظرية حمزة وتقريبها للفهم.

### الكلمة = محمد بن وهب القرشي

هو ثالث الحدود الروحانية التوحيدية. إنه «الكلمة» في دور العلي الأعلى. وهو «عماد المستجيبين وفخر الموحدين». مهمته ملاطفة الموحدين وحثهم على الخدمة... لا نعرف عنه انه كتب شيئاً من «رسائل الحكمة» أو من سائر الكتب التوحيدية. من توصيات قائم الزمان الى القرشي: «اجمع شمل الموحدين... ومن رأيت من جميع الحدود والدعاة والمأذونين والنقباء قصر عن الخدمة، فأبدله بغيره... أوصهم بحفظ بعضهم بعضاً... ولا يمشي أحد منهم إلا ومعه شيء من السلاح... قل الحق ولا تستحي منه ولا تفرع... لا تخف عني جميع ما أنت فيه...» (تقليد الرضى وسفير القدرة).

### السابق = ابو الخير سلامة السامري

القليل الذي نعرفه عنه ورد في «تقليد المقتنى» رقم ٢٢. وقد يكون عدم ذكر اسمه كثيراً بسبب المهمة السرية الموكولة إليه: «القوة للسابق مستورة مكتومة». للسامري «اثني عشر حجة لا غير». ليس له أية رسالة في مجموعة «الحكمة». وهو «نظام المستجيبين وعز الموحدين».

### التالي = بهاء الدين المقتنى

بهاء الدين هو بالفعل لسان المؤمنين وسند الموحدين. وقد يكون حمزة اختاره لأجل كونه «صاحب القول المبجل». لقد كان كاتباً بليغاً، ينمق الكلم ويحكم التأليف. وكان يُسرّ حمزة «عند سماع لفظه وأحكام تأليفه». واعتبر ذلك من انعام المولى عليه... لقد فاح نسيم زهرة عقيدته الصحيحة، فاستحق علو المنزلة ورفيع الدرجة. لقد جعله حمزة في آخر مراتب الحدود

بسبب معرفته المتأخرة به . كلفه باكمال الدعوة التوحيدية واعلانها ووضع رسائل في الحكمة . في الأدوار السابقة كان يقوم «النفس» مقام «الامام» عند غيبته، أما في هذا الدور، فالكل غاب ما عدا «التالي» . (مختصر البيان في مجرى الزمان).

وضع حمزة لبهاء الدين جملة موخدين ليكونوا في خدمته وعين له ثلاثة حدود يتمسكون به . وعرف اسمعيل التميمي أهمية بهاء الدين، فاعتبر أن التوحيد لا يقوم فعلاً إلاّ به وعليه . وبالفعل لقد حمل عبء الدعوة بعد غيبة الحدود . وكانت المدة التي تسلم فيها مهامه قاسية جداً بسبب الاضطهاد والتشريد والقتل، حتى عجز في النهاية عن إكمال الرسالة، فأغلق أبواب الدعوة الى الأبد . وكان ذلك سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م . وقد كتب في ذلك رسالته الاخيرة المسماة «بمنشور الغيبة» رقم ١١١ .

بعد غيبة الحاكم، بوبع لابي الحسن علي بالخلافة ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله . بادر الظاهر الى اضطهاد الموحدين الذين لم يعترفوا به إماماً له . فالامامة الفاطمية، حسب معتقدهم، انتهت بالحاكم الذي سلّمها في الاول من محرم سنة ٤٠٨هـ الى حمزة بن علي . لقد استمرت المحنة من سنة ٤١١هـ الى ٤١٧هـ واستمرت دعوة التوحيد معلقة الى ان تسلم المقتنى كتاباً من حمزة يأمره فيه باستئنافها . وكانت أول رسالة كتبها بهاء الدين «الجزء الاول من السبعة أجزاء» وفيها يبشر بالفرج . وكان أمل المقتنى بانتهاء المحنة نابعاً من القاعدة الدرزية العروفة وهي «ان كل شيء إذا بلغ سبعة انتهى ووجب تغييره وحدث غيره» (رسالة الوصايا السبع).

واستمرت رسائل بهاء الدين تتوالى من سنة ٤١٧ الى سنة ٤٣٥هـ، وهي تتّصف بالشمولية والعمق ومثانة الاسلوب وغنى المفردات وصعوبة الرموزات . . . انها تفسّر تعاليم حمزة وتشرحها وتغنيها بالصور والأمثال . وهي تشير الى اتساع معرفة صاحبها بالأديان والعلوم والصناعات .

## خونة الدعوة

سبق الكلام على محمد بن اسمعيل الدرزي الملقَّب بنشتكين، اخطر المرتدّين في عهد حمزة بن علي. لقد لُقّب بحرامي النهار، لأنه حاول سلب الامامة من قائم الزمان في أيامه. والدورز له لاعنون ومنه متبرّثون.

ويلي الدرزي ابو منصور البرذعي الذي حذّر منه حمزة إذ قال: «لم يزل أمر الدعوة جارياً حتى احتال رجل منافق، واتصل على يد الداعي، وعرف جميع الحدود وعلومهم، ثم رجع الى نفاقه ومكره...».

وهناك أيضاً عبد الرحيم بن الياس الذي عيّنه الحاكم وليّاً للعهد، فقد «ظهرت أفعاله وبأن للناس قبح باطله ومحاله» وانقلب على الحاكم، وأصبح من ألدّ أعداء الموحّدين. (تاريخ الموحّدين).

## جهاز الدعوة

«النطقاء» هم الأنبياء واضعوا الأديان المتعاقبة: نوح، ابراهيم، موسى، عيسى، محمد. لكل منهم أساس يتلوه، وينشر ديانته، ويفسرها، ويؤولها. وللأسس أئمة يلونهم؛ عددهم سبعة. ولكل إمام ١٢ حجة في أقاليم الأرض ينشرون تعاليم إمامهم. ويتألف جهاز الدعوة، أو التبشير قبل إغلاق بابه، من دعاة، وماذونين، ومكاسرين:

١ - أما الدعاة، أي المبشرون بالدعوة، لاستمالة الناس إليها، فإنهم، مع المأذونين والمكاسرين، يأتون بعد «الحدود»، في التنفيذ، لا في التقديس. مستمدين سلطتهم من «التالي». وهم ليسوا خالدين في منزلة روحانية كالحدود. لكنهم يتحلون بالفضيلة والمعرفة والتقوى.

بهذا يبدو واضحاً ما تعنيه الباطنية من تقسيم السلطة الروحية، المتحدرة من «التالي»، آخر الخمسة الروحانيين، الى الدعاة أو الرسل الموفدين الى الأقاليم لنشر دين التوحيد كما يُستدل من الاسم الذي يحملونه.

٢ - يليهم المأذونون، «من أذن لهم في الكسر والجبر» (الرسالة ٥٧). يفسر ذلك القول بأن مهمة الداعي إنما هي في استمالة الضالين بأن يكسرهم ويجبرهم ويخرجهم مما هم فيه من الكفر والشرك، تمهيداً لإدخالهم في المذهب.

٣ - ويأتي بعدهم المكاسرون، وهم المرشدون الذين يدلون على الأخطاء، ويبينون الصواب. بهم يبدأ العمل في سبيل الاستمالة الى العقيدة

الباطنية. «فيكسرون» أو يهدمون الخطأ، ويُبطلون الضلال، لتهيئة الناس وإعدادهم للإستجابة.

في زمن السّتر كان يُرمز الى الداعي بكلمة «الجد»: «لانه يجد في طلب علم التوحيد من الامام»، ويُرمز الى المأذون بكلمة «الفتح»: «لانه يفتح للمستجيبين باب الايمان» ويرمز الى المكاسر بكلمة «الخيال»: «لانه يلوّح بعلمه ومكاسرته مثل الخيال، إذ كان له التلويح، بغير كشف ولا تبيان». . . (الرسالة ١٧).

وكان للدعاة رئيس، في الباطنية، يسمّى داعي الدّعاة، له نفس المنزلة التي كانت لقاضي القضاة، في السّنة. يرشد المستجيبين للدعوة العلوية، دعوة الإيمان، ويقوم بين يديه اثنا عشر «نقيباً» يُشرفون على مجالس الحكمة التي يؤمّها «المؤمنون». فإنّ «الموحدين» يقولون: «إنّ الاسلام باب الايمان، والايمان باب التوحيد»، في التطوّر من التنزيل الى التأويل فالتوحيد. والداعي في هذه المراحل «يجهد في أمور المستجيبين حتى يبلغهم الدرجات العالية» (الرسالة ١٧).

في هذا التدرّج يقول حمزة (الرسالة ١٣): «إنّ المستجيب إذا دخل في التوحيد على يد المأذون، يقوم ذلك مقام من دخل على يد الداعي. ومن استجاب على يد الداعي يقوم مقام من استجاب على يد الحجّة، لانهم كلّهم يدعون الى شيء واحد هو التوحيد».

وعلى الداعي، في القيام بمهمة الدعوة، شروط ووصايا أخلاقية وأدبية صارمة. منها أنه، حين يدعو النساء ويرشدهن الى الإيمان، عليه أن يخفض بصره، ويصوّب نظره الى كتابه، وأن لا يتّجه صوبهنّ حين يكلمنه. ومنها أنه لا يُجيب إلّا عما يعرفه. وإلّا فإنه يسأل من هو أعلى رتبة أو أكثر علماً منه.

بالداعي يقصد إجمالاً جميع هذه المراتب الخاضعة كلّها للشروط المذكورة في النصوص. على أن المأذون تابع للداعي، يتقيّد بأوامره. وكذلك المكاسر التابع للمأذون. والمأذونون أكثر عدداً من الدعاة.

قلنا قبلاً إنّ الجد والفتح والخيال عند الباطنيين هم، زمنياً، الإمام والحجة والداعي. إنّ النفس «حجة» الإمام (العقل)؛ والكلمة «الداعي»؛ والسابق باب الحجة. على أنّ لقب الإمام، في كتب الموحّدين، مختص بالعقل.

وفي رسائل أخرى يضاف الجد والفتح والخيال الى الحدود الخمسة الروحانيين، كما ذكرنا. فيصبح الجميع ثمانية. ولكنّ الثلاثة المضافين يُعدّون في منزلة أدنى من الخمسة الأصليين.

فإنّ حمزة في بعض رسائله يسمّي العقل «السابق» والنفس «التالي»، أي تالي العقل. ويضيف إليهما الجد والفتح والخيال، كما في الرسالة ٤١ بحيث يصبح الجميع خمسة لا ثمانية. ولكنه في الرسائل الأخرى (الرسالة ١١ مثلاً) يميّز بين الحدود «العلوية» الخمسة وبين الجد والفتح والخيال الذين يضعهم، كما قلنا سابقاً، في مرتبة أدنى، ويلحقهم بهم، أو يجعلهم بمنزلة الدعاة.

هنا لا بدّ من إلقاء نظرة عابرة على الالتقاء والافتراق، في ذلك، بين التوحيد والباطنية، ممّا يعرفه الملمّ بما بين الإسماعيلية والدروز من التقاء في العقائد. حتى إنّ الدروز يعتقدون أنّ الإسماعيليين إخوانهم؛ ولكنهم يسمّونهم بالتقصير، أو التخلف في بعض الأمور.

## بين التوحيد والباطنية

أدخل حمزة تعديلات في مراتب الباطنية هي:

١ - إنه وضع فوق «السابق» و«التالي» - اللذين تعدهما الباطنية أول وثاني الحدود - ثلاثة روحانيين، أسمى رتبة، هم: «العقل»، و«النفس»، و«الكلمة». وقد سبق شرح مراتبهم وتفسير مغزاها.

٢ - حذف من حدود الباطنية الخمسة ثلاثة، هم: «الجد»، و«الفتح»، و«الخيال»، وألحقهم بحدود التوحيد الخمسة. وقد قلّ ذكرهم في رسائله مع ما رافق ذلك من غموض.

٣ - جعل «الناطق» و«الاساس» ومن حدود، أو أنبياء، التنزيل، أي علم الظاهر في الدين. واستعار بعض نعوتهما لحدود «التوحيد»، منبهاً في الرسالة ١٧ بقوله: «واعلموا، هداكم المولى، أن جميع الاسماء المتعارفة بين المؤمنين - مثل السابق، والتالي، والجد، والفتح، والخيال، والناطق، والاساس، والامام، والحجة، والداعي - تقع على محمود ومذموم... وكلهم موجودون في كل عصر وزمان».

٤ - جعل للحدود ظهورات «بشرية»، حيّة، في الأدوار المتعاقبة. بينما اعتبرتهم الباطنية الأخرى حدوداً غيبية، روحانية غير منظورة. فإنه يقول: «الروح لا تدرك إلا بالجسم» (الرسالة ٩). وبالرسالة ١٥ يجمع بين الظاهر والباطن بقوله:

«ليس كل من عرف باطن شيء وجب عليه ترك ظاهره، فقي الأشياء ما لا يترك ظاهره ولو علم تأويله على سبعين وجهاً. منها الطهارة، وباطنها

البراءة من الالباسة وطهارة القلوب من محبتهم... ويجب على من عرف الباطن أن يزيد في طهر الظاهر...

٥ - في المقارنة بين الباطن، والظاهر، والتوحيد، يقول إِنَّ الحقيقة هي معرفة التوحيد. وتقول الرسالة ٣٦ إِنَّ الدين «الظاهر، من قبله العذاب... والباطن (أي التأويل)، فيه الرحمة (أي فيه مذهب التوحيد).... وهو (أي مذهب التوحيد) المراد بقول القرآن: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ فَيَلَّ ارْجِعُوا وَرَلَّكُمْ فَالْتَسُوا نُونًا فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ يَسُورَ لَمْ يَكُنْ بَابًا بَاطِنًا فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ فَيْلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ (سورة الحديد) «ولم يقل هو الرحمة. وفي الشيء ما أودع فيه، وليس هو الشيء بعينه. فدلَّ بأن الباطن (أي التأويل) يدل على الرحمة (أي التوحيد)».

وفسرت الرسالة ٣٨ هذه الآية بقولها: «السور الشريعة. والباب الاساس كما قال الناطق: أنا مدينة العلم وعلي بابها. الباطن (أي التأويل وهو باطن التنزيل) فيه الرحمة (أي «حكمة» التوحيد) دليل على أَنَّ الرحمة غير الباطن (أي أَنَّ «الحكمة» غير التأويل)... والقائم (أي «العقل») صاحب الرحمة».

وتشرح الرسالة «إخراج الموحدين من الظاهر والباطن الى المسلك الثالث وهو مسلك التوحيد... فأهل الباطن مؤمنون. وأهل القائم موحدون».

وتوضح، ومثلها تفعل الرسالتان ٩ و٢٢، منازل الحدود. فقائم الزمان هو العقل الكلبي. وهو يُستثنى من الحدود الخمسة. لأنه يقوم فرق كبير بين العقل والأربعة الآخرين. فإنَّ العقل يتلقَّى الحقيقة مباشرة من الله. وسائر الحدود يستمدونها منه. أي من العقل.

هؤلاء الخمسة هم العلويون. أما الثانويون فعددهم ١٥٩. فيصبح الجميع ١٦٤. هم أحرف «الصدق» - بالسين بدلاً من الصاد - في مراتب يطول شرحها، وفي حساب يُستَمَى حساب الجُمَّل، يتخذونه دليلاً على التوحيد وعلى عدد السادة المذكورين (س = ٦٠ + د = ٤ + ق = ١٠٠ فيصبح

المجموع ١٦٤ حدًا). وهذا الحساب بشقيّه «الصغير» و«الكبير» كثير ورود في النصوص الرمزية.

وفي «كتاب النقط والدوائر» أنّ الأصلين هما: العقل الكلّي والنفس الكلّية. يليهما: الكلمة، فالسابق، فالتالي. هؤلاء الخمسة هم: «أصول العالم الروحاني. مشتركة الاعلالية والتأثير في النفوس الناطقة (أي الأرواح). والنفوس الناطقة هي العالم الروحاني...»

«والنفس الناطقة عاقلة، عالمة، حيّة، جوهرية شفافة، قابلة للصور. فهي تقبل الجهل، كما تقبل العقل... دائمة الانتقال من جسم الى جسم... لا تستغني عن الجسم طرفة عين. لها فيه مميزات، ومشاركات، وآلات، كالحواس «الجرمانية» المركزة في العقل الطبيعي. وهي: الحس المشترك، ومنه تصوّر. والوهم، ومنه التخيل. والخيال، ومنه التمثيل. والفكر، ومنه التمييز. والحفظ، ومنه التذكّر.

حجاب النفس الجسم الذي منه تظهر أفعالها. والعقل الطبيعي مُستقرّها. فإذا فسدت النفس الحيوانية، ارتفعت النفس الناطقة. وانتقلت وعَدَمَت الأفعال. «اي لا تقدر تنطق بغير لسان»... وعلى ذلك برهان عقلي. وبرهان نقلي:

١ - البرهان العقلي: هو عدل الباري، والجزاء الجاري على القاصر غير المميّز من الناس، بسبب عمل سابق في غير جسمه الحاضر. وما نراه من تفاضل في العقول، وتفاوت في الأفهام، وتباين في الدرجات، ممّا يكون قد اكتسبه المرء، بصالح أعماله واجتهاده، في أجسام سابقة. فإنّ عدل الله لا يخصّ أحداً. ولا يمنع أحداً...

٢ - البرهان النقلي: من النص. قوله: «وكذلك نقلته من قميص الى قميص»... وقوله: «أزل النطقاء هم آخرهم. وإنما يتصوّر في الأقمصة بالتكرار. كما ان الولي قائم في كل عصر وزمان». وقد جاء عن العقل الكلّي: «ينقله المولى سبحانه في كل عصر وزمان باسم وصيغة».

## العقل

جاء في «الحكمة» أَنَّ الله خلق، من نوره الشعشاني، «الارادة»، صورة كاملة صافية. هي هيولى كل شيء. وبها تكوينهم. فإنه إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون. «وسمى تلك الصورة «عقلاً». فكان العقل كاملاً بالنور والقوة. تاماً بالفعل والصورة... وأحصى فيه جميع ما هو كائن... لأنه موجود في كل عصر وزمان. وهو «السابق» الحقيقي» (الرسالة ١٣).

جعله الله علة العلل. وأصل «نقطة البيكار»، المحور الذي تدور عليه جميع العقائد والأفكار... به فخر العالمين، في أمور الدنيا والدين. «وجعل منازلهم على قدر ما يقتبسون من نوره، ويقتبسون من بحر العذب الزلال».

سُمِّيَ السابق «لأنه سابق في الابداع. سابق في معرفة الله. سابق في التوحيد، والدرجة، والعلم»... والمعرفة أساس كل شيء. بها يحتوي العارف كل ما هو حوله وما فيه.

وسُمِّيَ العقل «لأنه يعقل ما يأتيه من وحي الله. ولأنه عقل الكون كله، ومُدَبَّرُهُ. وأحصى أعمال الخلائق كلها. ولأنه يعقل نفسه عن كل ما لا يريد» الله.

قال الله: لا يدخل جنتي أحد إلا بالعقل وبمحبتته. والجنة هنا دين التوحيد والمعرفة الصحيحة.

وقال العقل عن نفسه: «الحمد لمن أبدعني من نوره. وأبدني بروح قدسه وخصني بعلمه. وفرض إلي أمره. وأطلعني على مكنون سرّه».

فلَمَّا أعجبت العقل نفسه، أبدع له الله: من طاعته معصية. ومن نوره ظلمة. ومن تواضعه استكباراً. ومن حلمه جهلاً.

هذه الطبائع الأربع المذمومة هي طبائع «الضد». منبعثة من الغرور. امتحنه الله بها ليظهر له عجزه.

فلَمَّا أَحَسَّ بعجزه طلب من الباري المغفرة. وسأله أن يمنحه مُعيناً على الضد، ينوب عنه لدى الموحدين في الدفاع عنهم، «ليستغني به عن مخاطبة الضد». فأبدع الله تاليه في الرتبة، «النفس». وجعله «ذا مَصْتَه»، أي أنه يمتصّ منه العلوم الروحانية والحقيقة الربانية. ويتلقّى أوامره. ويتمتع «بنصف الحركة والفعل». باعتبار العقل بمنزلة الذكر، والنفس بمنزلة الانثى. وسائر الحدود أولادهما، مجازاً. وهم الكلمة، فالسابق، فالتالي.

هذه العقيدة تقول باتحاد «النفس» مع «العقل». وقيام الوجود منهما بطبيعة واحدة، خاضعة لأوامر العقل ونواحيه. بإرادة إلهية. وهذا ما أفضى به طيماوس الصقلي لسقراط.

من هذه النفس «الكلية» انبثقت النفس «الناطقة» التي بنى عليها افلاطون نظرية «النقلة». أي «التقمص» عند الموحدين. مشيراً بذلك الى خلودها. ولا تختلف عنه بعض العقائد إلا بجعلها هذا الخلود مستقلاً عن الجسد بالوفاة. كما أنّ نظرية التقمص تختلف عن نظرية النقلة الافلاطونية بأن افلاطون يزعم أنّ للنفس كياناً مستقلاً ذاتياً عبر الأجساد. ممّا تنكره فلسفة التوحيد التي تجعل لكلّ من العقل والنفس عملاً خاصاً في الإنسان.

أما العقل فتصف الرسالة ٣٩ كيف خُلِقَ من محض نور الله، وكيف أوجدت فيه الأشياء كلها دفعة واحدة. وعُقِلَت به جميع المخلوقات. وجُعِلَ أصل المبدعات، مؤيداً بالقوة الإلهية والمادة العلوية، أمناً من النقصان.

عن أول ظهوره البشري يقول: (الرسالة ١٤) «المولى سبحانه اصطفاني. وأبدعني من نوره. قبل أن يكون مكان. ولا إمكان ولا إنس ولا جان...» وتُحسب المدة «من وقت إبداعه الى حين ظهور آدم الصفا ٧٠

دوراً. وبين كل دور ودور ٧٠ اسبوعاً. بين كل أسبوع وأسبوع ٧٠ عاماً. والعام ألف سنة مما تعدّون». . . أي أنها ٣٤٣ مليون سنة. وهي البرهة بين الإبداع وظهور آدم الصفا.

مثل هذا الحساب ورد في رواية عن العباس بن عبد المطلب أنّ الرسول قال: «بين السماء والأرض مسيرة ٥٠٠ سنة. ومن سماء الى سماء ٥٠٠ سنة. وكثف كل سماء ٥٠٠ سنة. وبين السماء السابعة والعرش (يفسر يوسف علي، مترجم القرآن الى الانكليزية، العرش بأنه المركز والقوة والمعرفة ورمز السلطة) بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض (أي ٥٠٠ سنة). والله سبحانه وتعالى فوق ذلك. ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم». على أنّ بعض علماء السنّة، ومنهم الشيخ عبد الرحمن حسن حفيد محمد بن عبد الوهاب، يشيرون الى ضعف هذا الحديث. أما الدرّوز فيفسّرونه باطنياً.

وبعد أربعة قرون جاءت العقيدة الدرزية تؤلف بين الصوفية وهذه المثالية. فجعلت العقل «الكلي»، المنبثق من الله، أصل الوجود. ذاهبة بذلك الى أن الله المُعل خلق أولاً العقل، علة الأشياء كلها. وأبدع من نوره الكائنات. يشترك بهذه العقيدة إخوان الصفاء والمعتزلة والاسماعيلية، الذين يقولون بأن العقل البشري، باتصاله بالعقل الكلي، يحصل على الحكمة وإن الصلة بينهما كالصلة بين الطاقة والمادة. لا ينفصلان. بواسطتها يقترب الانسان من الله. وبنسبة هذا الاقتراب يواجه الحقيقة، ينبوع السعادة.

ويروون عن رسول الله ﷺ قوله: «أَوَّل ما خلق الله العقل قال له أقبل، فأقبل. ثم قال له أدبر فأدبر. فقال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك. بك آخذ، وبك أعطي. بك أثيب، وبك أعاقب».

ويقولون إنّ العقل الإنساني هبة الله التي بها يتجاوب مع العقل «الكلي»، ويقتبس منه، ليدرك إرادته تعالى، ويميّز بهديه بين الخير والشر، والحقّ والباطل، قبل سنّ القوانين وإنزال الشرائع.

ولا يزال حكماء الاسلام يقولون بتحكيم العقل. فالإمام الشيخ محمد عبده يقول: «إذا تعارض العقل والنقل، أخذ بما دلّ عليه العقل». أي أنّ العقل يقدّم على ظاهر الشرع عند التعارض، ويُؤخذ بالدليل العقلي القطعي. واشترط شيخ الاسلام ابن تيمية التماس الصحة في المنقول، بقوله: «إنّ صحيح المنقول في الإسلام موافق دائماً لصريح المعقول».

العقل الانساني:

هذا العقل، يرى الفلاسفة أنّه القوّة المفكّرة في النفس. أو الجزء المدبّر لها. لذلك سمّاها «ارسطو» النفس العاقلة. وسمّاها الموحّدون «الناطقة». لتمييزها من نفوس العجاوات. على أنّه مميّز بينها وبين العقل.

في هذا التمييز تفاوتت النظريات الفلسفية. فإنّ أحدهم - ديكارت - مثلاً، عرّف النفس بأنّها أداة الفكر، أو النفس المفكّرة التي بها خُصّ الإنسان. وآخر - لوكه - أضاف أنّها تنطوي، فوق ذلك على الأحاسيس والتصورات والذاكرة.

وبعضهم - لوكريتيوس - يرى، كالموحّدين، أنّ العقل مُوجّه النفس ومُدبّرهما. و«هيوم» يفرّق بينهما. ويقول «سبينوزا»: «الاشياء المتناهية، كالعقل، هي حالات أو ظاهرات من عند الله. فالعقل الانساني جانب من عقل الله اللانهائي». وهو ما يسمّيه الموحّدون «العقل الكلي». إنّها نفس التسمية التي يطلقها «هيجل» بقوله: «ان العقل الانساني امتداد من العقل الكلي».

## مذاهب العقل

حفل القرن العاشر للميلاد بتفشيخ الامبراطورة الاسلامية . وانقسامها الى دول ودويلات متعددة. ففي الاندلس الامويون الذين دامت دولتهم ٧٨٠ سنة. وفي شمالي افريقيا الفاطميون بعد الأغالبة والأدارسة. وفي حلب الحمدانيون. وفي مصر الأخشيديون. وفي العراق الديلم. وفي عُمان والبحرين واليمامة وديار البصرة، القرامطة. وفي بلاد فارس والأهواز، البويهيون. وفي خراسان بنوسامان. وفي الهند وأفغانستان، آل سبكتكين. وفي طبرستان، العلويون.

هكذا تفرق العرب في ذلك العصر كتفرقهم اليوم. حين طلع عليهم، كالיום، فجر النهضة السياسية من مصر... وكانت خصوماتهم، ومنازعاتهم الإقليمية، في أواخر ذلك العهد، تماماً كما هي الآن في بداية يقظتهم القومية... حتى بلغوا من التراخي الخلقي والتفكك القومي أن طلب أبو الفضائل الحمداني الحماية من الامبراطور البيزنطي، والاستعانة به على دولة شقيقة...

من غمرة هذا الانحطاط السياسي برزت فرق سرية أحدثت فورة جدلية، وخضة روحية، بإقحام المنطق والعلم والفلسفة في شأن الدين. والتحرير والتحليل. كما تدلّ الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء وداعي الدعاة بمصر، في شأن أكل اللحم وتحريمه. وكانت حلب تطيع أمر داعي الدعاة حيث شاع فيها مذهب الإمامية على الرغم من خروجها على الفاطميين وزوال سلطانهم السياسي عنها. في ذلك يقول ياقوت في «معجم البلدان» ان الفقهاء

في حلب، سنة ٤٤٠هـ كانوا يفتون على مذهب الإمامية. فكان النشاط الفكري والازدهار العلمي، في ذلك العهد، كما كان قدماً، في تاريخ المدنية اليونانية، نقيض ذلك الانحطاط. إذ انه زخر بالفلاسفة وجاش بالعلماء والكتاب والشعراء. كالشريف الرضي. والمتنبي. والمعري. وابن العميد. وابن سينا. والفارابي. والبيروني. وغيرهم من الذين، كفلاسفة اليونان، لا يزالون مناراتٍ للعقول، ومصابيح للأفهام، الى يومنا هذا.

## ٢ - إخوان الصفاء:

في ذلك الازدهار العلمي والخصب الفكري، ظهرت جماعة إخوان الصفاء. فإنَّ معرَّ الدولة البويهية لما استولى على بغداد، في ذلك الحين، أظهر أمرهم وعطف عليهم، وكان شيعياً. وكانوا، لأنهم من الشيعة الباطنية، يخشون سطوة السنَّة في نزاعها مع الشيعة. ففي عهده عُرفت رسائلهم الاثنتان والخمسون التي كانوا يتداولونها سرّاً.

إنَّ أبا العلاء المعري كان منهم. وليس أدلَّ على ذلك ممَّا هو ظاهر في أدبه، ومن حضوره المجمع الفلسفي الذي كان يأتلف في دار عبد السلام البصري. وهو مجمع سرِّي لجماعتهم لا يحضره إلاَّ الممتنون. لأنه ليس من المجالس الشعرية والأدبية المفتوحة. فكان يجتمع معهم سرّاً يوم الجمعة الذي كان العرب يسمّونه «عروبة».

وفي شعر أبي العلاء وفلسفته كثير ممَّا يدلُّ على أنَّه متأثر بفلسفتهم، ومُرَدَّد للكثير من أفكارهم.

يقول آغا خان، زعيم الإسماعيلية، في كتابه «نور مبین»، إنَّ إخوان الصفاء لا ذوا بالكتمان وحرصوا على إخفاء رسائلهم، صوناً لسلامتهم، وإنَّ هم زعموا أنهم فعلوا ذلك «صيانة لمواهب الله عزَّ وجلَّ». والدروز يقولون إنَّ «إخوان الصفاء» إخوانهم كما صرح كبير أشياخ الدروز.

ويقول البروفسور مكدونلد، في كتابه «اللاهوت الاسلامي»: «حينما استولى المغول على قلعة «ألموت» وجدوها غنيَّة برسائل إخوان الصفاء».

مما يدل على الصلة بين تعاليم إخوان الصفاء والإسماعيلية والدروز.

إنَّ أَوْجُهَ الشبه بينها عديدة كما سنرى فيما بعد. منها تنظيم جماعتهم. وإيفاد دعائهم. والوصايا التي يزود بها الدعاة من حيث قبول المستجيبين، والعطف عليهم، والرفق بهم، والرجوع الى من هم أعلى رتبة منهم في الأمور الصعبة «حتى لا تسكن (نفوسهم) عن المسافرة (الترقى) في درجات التعاليم» (الرسالة ٣٠). والتدرج في الاطلاع على الأسرار. وكتمانها. والفاظهم الرمزية. وتقديس الأديان كلها، وتفسير آياتها باطنياً. وعقيدة التقمص. وفلسفة القدر والتخيير. والحدود. وخلق الوجود. والعقاب والثواب. مما سيتضح في فصول آتية.

وأما أوجه الاختلاف، كتسفيه الدروز للتنجيم والطوابع والتشاؤم والتفاؤل، وإنكارهم لوجود الشياطين والملائكة، فإنها نتيجة لتطور المذهب وتصفيته مع التقدم الفكري ونمو المعرفة.

### ٣ - المعتزلة:

كان «المعتزلة» جماعات من الفلاسفة يحملون، «كالدروز»، اسماً لم يختاروه لأنفسهم. بل أطلق عليهم. لأنَّ واصل بن عطاء، المؤسس الأول، كما يُروى، «اعتزل» مجلس رئيسه الحسن البصري، لاختلاف في الرأي. وقيل لُقِّبوا بالمعتزلة لاعتزالهم، فيما يقولون، فنتي الضلال. يعنون أهل السنة والخوارج. وكانوا كالدروز يطلقون على أنفسهم اسم الموحدون أو «أهل العدل والتوحيد». ومثلهم يقولون بأنَّ للإنسان قدراً، أي قدرة على أفعاله. لأنَّ الله عادل في محاسبة المرء عما له الخبرة في عمله لا على ما هو مجبر به، مكره عليه. ويدافعون عن وحدانية الله في نفي الصفات القديمة والحالات المنسوبة إليه تعالى. بالأدلة العقلية. واللجوء الى التأويل والمجاز في تفسير ظاهر الأقوال والآيات الدينية.

يقولون انهم لا يصدّقون الشرع إلا إذا قامت عليه من العقل حجة واضحة ودليل صحيح. فالعقل أحقُّ أن يقدّم لأنه أسَّ الشرع ودعامته.

و«لولا إيثار العقل وتقديمه لما استطاع نبي أن يأتي بمعجزة على أنها ملزمة لخصومه تصديقاً». في ذلك يقول المعري - وهو وإخوان الصفاء يعتمدون العقل وحده -:

«كذب الظنّ. لا إمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء». و«العقل أولى باكرام وتصديق».

لذلك كانت تسميتهم بالقدرية خطأ. أولى أن تُطلق على القائلين بأنّ القدر كلّه من الله. لا على المعتزلة، الذين كالدرّوز يبرأون من القدرية، وحثّهم في ذلك أنّ عدل الله لا يسمح بأن يقدر على العباد أعمالاً لا يد لهم فيها، ثم يحاسبهم عليها، إذا كان هو خالقها وفارضها جبراً. فإنّ «القدرية» اسم فرقة سابقة، منها غيلان الدمشقي الذي يعتبره المعتزلة واحداً منهم. أخذوا عن هذه الفرقة قولها بنفي القدر. فلزمتهم التسمية وهم غير راضين عنها.

وقد تشعبت نظرياتهم فيما هو قدر الله على العباد، وقدر العباد على أفعالهم بالارادة الممنوحة لهم. أو ما يسميه الدرّوز «التخيير». والله المعين على الصواب. أي أنّ للإنسان جانباً مسؤولاً من «الارادة» العليا التي هي من أسماء «العقل الكلّي» الذي يتصل به العقل الإنساني - وهو جزء منه - في تطوّر الوجود. فبمقدار إرادته وحرية اختياره في أفعاله، يُثاب أو يجازى.

والدرّوز كإخوان الصفاء يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول، فإنهم مثلهم يحاولون التوفيق بين الدين الاسلامي والفلسفة اليونانية. ويعظّمون أولئك الفلاسفة، ويرفعون بعضهم الى أعلى مراتب القداسة. وينفون الجهة أو المكان عن الله. وينكرون الشفاعات والمعجزات. ويضعون في باب المجاز ما «ينقل» عن ذلك جميعاً في نصوص الأديان. ويميلون الى التقشّف والزهد. ويرفضون عطايا الأمراء وهبات الحكام، يعدّونها من المال الحرام. ويمتنعون عن الوقوف ببابهم. ولكنهم يقدّمون العقل في كل شيء في حين تعتمد المعتزلة الشرع الذي يثبته العقل.

ابتسم الدهر لهم في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي كما ابتسم للمعتزلة في عهد المأمون. ثم نُكِبوا مثلهم. فكانت نكبة المعتزلة عبرة ونذيراً لإخوان الصفاء ولمن جاء بعدهم من جماعات التفكير الحر. فلاذوا بالكتمان والاستتار، اتقاء الاضطهاد والعدوان. واستشرت الرجعية. وانحصرت أنوار الفكر في زوايا المجالس، أجيالاً متعاقبة حُرِمَ الناس فيها تفهّم كنه إيمانهم، ونعمة المتعة في سبر أغواره، والخوض في غمار أسرارهِ. واختفت منابر المناقشة والمجادلة. فقلّ المشتغلون بها، العاكفون عليها، حتى تحجّرت العقائد، وفقدت روعة فنتتها، وحيوية روحانيتها.

#### ٤ - الصوفية:

التصوّف متحدّر من عنصرين قديمين: هندي ويوناني. فهو قائم على نظرية «وحدة الوجود» عند الرواقيين أصحاب زينون. هذه الفلسفة، يقول طه حسين، نشأت لما فشلت فلسفة أفلاطون وأرسطو في تحقيق هذه الصلة. والمذهب هندي الأصل يقول بإمكان تحقيقها بين المخلوق والخالق بالرياضة الروحية والفضيلة والزهد في الملذات. كما أنه يقوم على الاشراف. أي أن العقل يستمد علمه من مصدر آخر غير الحسّ.

التصوّف، إذن، ليس مذهباً إسلامياً خالصاً. ولكن مارسه من المسلمين قومٌ بررة، مهما قيل عليهم، ومهما وُيُموأ بالشذوذ عن السُنّة.

ظهر النزوع الى التنسّك والتقشّف في القرن الثاني للهجرة، التماساً للتقرّب من الله بالصلوات والتأملات. وتحوّل الى التصوّف بالتعبّد. وتصفية النفس من الميول الطبيعية. وإخماد الشهوات. والاتصال بالحقيقة. والإعراض عن الأعراض. بالرضى والتسليم. والانقياد الى الحق. والزهد في متاع الدنيا. والتبّع في أسرار الوجود. والتجريد. والتأمّل. فشاركهم في أكثر ذلك، فيما بعد، جماعة الموحّدين الذين لا يزال أشياخهم حتى اليوم يتزملون بالعباءات الصوفية. ويمارسون مناسك المتصوّفة. وتعبّداتها الى حد بعيد. ما عدا «ترك الاختيار». لأنهم بحسب مذهبهم مخيرون فيما يحاسبون عليه، لا مجبرون.

وكان الحاكم بأمر الله زاهداً متقشفاً. يكره اللهو، بل يحرمه كما حرّم الخمرة، ونهى عن الزينة والزهو. ولبس الصوف سبع سنوات. كالتصوّفة تماماً. واتبّعه وحذا حذوه في التحريم والزهد والتعقّف ولبس الصوف أشياخ المؤمنين به الى يومنا هذا.

على أنّ الصوفية، بعدما اجتازت مرحلة التطوّر في اختياراتها الروحية، وممارسة التعبّدات على طريقتها الخاصة، أصابها الجمود، وعراها التقليد، ككل طريقة دينية ملائمة لروح العصر الذي أوجدتها حاجته، ثمّ نضبت موارد وحيه لها، أو وهن إقبالها عليه. ولا سيما أنّ ذلك الإقبال الروحي لم يتخذ سبيل العقل والعلم إلاّ عند القلّة من أعلام الصوفية.

ولكنّها، بتأثير النصرانية والبوذية والنزعة الفلسفية اليونانية، كانت قد أحاطت نفسها بجهاز يشرف عليه رؤساء وأشياخ، فانتشرت في القرن الرابع للهجرة، خصوصاً بين الفرق الباطنية، ومنها الدروز الموحّدون الذين اقتبسوا منها أموراً كثيرة، إلاّ التعبّدات التي يشوبها الغلوّ. وزادوا بأن أمعنوا في الكشف عن المعاني الباطنية. وسلّطوا العقل على خفايا النقل. وهم يعظّمون أعلام الصوفية، لصلاحهم وإخلاصهم وفضائلهم. وإنّ نقموا على بعضهم كالحلاج لقوله بالحلول.

عن مثل الفضائل التي يتحلّى بها الدروز يقول «بورون»: «إنهم يحرمون الكذب، والخمرة، والتدخين، وشهادة الزور، والاغتياب والنيمة. ويؤمرون بالوداعة واجتناب الجشع والحسد...». ويقول بطرس البستاني: «إنهم يمارسون ضبط النفس والعفة. وصدق اللسان. ويتجنّبون السفه والبذاءة. ويرفضون المال الحرام». وبمثل ذلك شهد لهم نوفل نوفل، وفولني، واللورد دفرين وتشرتشل؛ كما شهد لهم أدباء كثيرون من معاصريهم. وتغنّى بفروسيّتهم الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، وأمير الشعراء أحمد شوقي. وكثيرون غيرهم ممّن يضيق المجال عن ذكرهم.

أشاع العباسيون، عن الفاطميين، لعداوتهم لهم، أنّهم أباحوا شرب

الخمور. في حين أنَّ المقرِيزي والمؤرّخين المعاصرين للحاكم، يقولون إنّه منع حتى بيع الزبيب، خشية أن يُصنع منه النبيذ. ولم يسمح للشاري بأكثر من أربعة أرتال من العنب، في وقت واحد، للسبب نفسه.

## ٥ - الموحّدون:

في ذلك العصر، كما وصفناه، طلعت رسائل الموحدين بتعاليمها الباطنية، متأثرة بالمدارس الفكرية التي سبقتها، مستعينة بالسلطة التي آزرتها واستفادت من دعايتها. وهي في الواقع والأصل ثورة وجدانية على سطحية التعبد الديني ومناسكه و«طقوسه». ورغبة عقلية ملخّة بالتوغّل في عالم الروح. بُثّت في العبادة حرارة الوجد والتهافت. ولكن أعوزتها قوّة التجمع، وفاتها استهواء الجماهير.

فإنّ التصوّف الباطني، في نُشدانه الحقيقة وتوحيه مواجهتها، أو الوقوف ببابها، بعث في المتصوّف الباطني شعوراً بالمعرفة، واختباراً روحياً عميقاً، جعله يتمرّد على السلطات الدينية وتقاليدها ويعيد النظر في تلاميذها. ولا يستسلم الى تمسكها بجمودها. حتى أنّهم أصحابها بالكفر والزندقة.

قام في «الدروز» الموحدين نظام مذهبي، مؤلف من الدعاة والمأذنين والمكاسرين، يشمل مناطق مقسّمة تقسيماً دقيقاً. ولكن سرعان ما فقد هذا النظام قوّته الاجتماعية، في مواجهة الضغط السياسي، والتنكّر السُني لكل شذوذ، حتى انزوى وقبع في المجالس السريّة، متهمّاً مدحوراً، بعد إغلاق بابه وتصرُّم أسبابه.

وكان قد سهّل قيام المذهب فقدان سلطة دينية منظمة في الإسلام. فانطلق الفكر، لا يرده عقل، يرود المرامي والمغازي في غوامض النصوص. ويستخرج المعاني من مكامن الألفاظ والرموز. وكل ما أحدثه من اضطراب وبلبله، يبرزه ما قام في الأذهان من تساؤل، قرع باب المجهول، وألحف في طلب الجواب، وحرك شهوة الاستطلاع في عقول الناس. فأخصب باللقاح حرث المعرفة.

يقول بهاء الدين، في إحدى رسالاته: إِنَّ الأرواح المطهّرة، بإيمانها بوحداية الله، وتحليلها بالفضائل البرهانية، تنشُد الكمال الذي فيه سعادتها؛ وهذا هو الدين الصحيح، والغرض من وجود الإنسان. فإنّ الحقيقة، في النهاية رويّة؛ والمادة لا نهاية لها في ذاتها. بهذا يعني أنّ المادة ليس لها وحدة نوعية. وليس في جوهرها رفس ولا نجاسة. بل إنّها قدسية الاصل في الوجود.

لذلك كان أبرز ما في هذا المذهب عقيدة التقمّص، أو تعاقب الأرواح في هياكلها المادية. ومرورها فيها للامتحان والتطهير، في أدوار متواصلة من التطوّر، حتى يوم الحساب، أو الحالة التي تُدعى فيها لتؤدّي حساباً عن أعمالها وسيرتها في عالمها المادي الذي هو من صنعها. . وهو مرحلة من مراحل وجودها.

وأبرز ما في أتباعه أنهم، الى جانب تحكيم العقل في العقائد، يمارسون مناجاةً وابتهاالات يتقرّبون بها الى الله. فيجمعون بين النظريات الفكرية ومجرى الحياة، ما يُعتبر السبب والسُرّ في واقعهم الخلقي الفدّ، وتاريخهم الحافل بمفاخر هذه الجماعة البشرية الصغيرة.

وفوق ذلك، تنطوي عقيدتهم على عنصر إنساني فريد بين العقائد. هو إيمانهم بأنّ الإنسان، في نقلته، يولد في بيت الصديق أو العدو، الغريب أو القريب، على السواء، وأنّ الجنس البشري مختلط بالتقمّص، يتكرّر اختلاطه وامتزاج عناصره، وشعوبه، وطوائفه، في كل جيل، دون تفريق أو تمييز. أو كما تقول إحدى رسائلهم: «والضد قد يظهر من بيت الولي».

ما أقرب هذه النظرية، في شمولها، الى نظرية «وحدة الوجود»؛ وهي: إنّ الحياة، والفكر، والقوّة، والمادة، جميعاً انبعت من اصل واحد شامل، لا تدركه العقول، ولا يحيط به الوصف. وأنّ كل خير، أو شر. وفضل أو نقص. وصواب أو خطأ. كل ذلك لا يُردّ الى صاحبه وحده، ولا يعود عليه بمفرده. بل يُنوّل، أو ينال من الجنس البشري برمته.

إنَّ ظهور الإنسان المتكزّر، بأشخاصه المختلفة وأدواره المتواصلة، في هذا الوجود، يسفر عن تجمُّع اختباراتهِ الروحية، كما تقول كتب المذهب. ويُقصد منه تحقيق الغرض الذي من أجله وُجد النوع الإنساني، بما يشبه ناموس الوراثة الذي يشترك النوع فيه. لا أن يكون الإنسان بمفرده قطعة جاهزة الصنع في النهاية. بل جزءاً من جهاز التمازج والتواصل وتشاجب الأرحام والوشائج. وهو، لعمري، أدعى إلى الإخاء الإنساني من كل دين.

## التقمُّص

تعود عقيدة التقمُّص أو التناسخ الى قدماء المصريين، وتعاليم فيثاغوروس، وبوذا، وغيرهم ممَّن طوى همُّه على كشف الغطاء عن أسرار الروح ومصيرها الخفي. فإنَّ أفلاطون حاول تعليل نمو المعرفة في الأجيال البشرية، وطاقه استيعابها للحقائق، فافترض مرور الأرواح في حياة سابقة، ولعلَّه بنى افتراضه على تدرُّج الروح في معارج الأجيال، وتطوُّر المواهب والوعي، ونمو الطاقة العقلية، لا على تجميع واختزان المعلومات.

«نيتشه» عالِج هذا السرِّ المحيِّر بنظرية «التكرار الخالد» المنبعثة من اعتقاده «أنَّ كلَّ ما يحدث الآن، حدث مراراً لا عدَّ لها من قبل. وسيتكرَّر حدوثه مراراً لا عدَّ لها في المستقبل، دون تغيير أو تبديل». وهي فلسفة هندية النشأة، قبل اليونان. تقول باتحاد العالم بموجده ليعود الى سابق عهده، كل مائة ألف عام. فزاد الدروز على ذلك، في عقيدة التقمُّص، أنَّ التغيير الروحي مستمرٌّ متَّجه نحو مثل أعلى، حتى انتهاء الأجيال.

إنَّ نظرية الخلود لاهوتية بحتة، لا شأن للعلم بها، فليس باستطاعة القائلين بأنَّ الروح تلتزم جسداً واحداً تغليب عقيدتهم هذه على عقيدة انتقال النفس، على الدوام، بالتقمُّص، عبوراً بأجساد لا عدَّ لها.

الإيمان وحده يتولى تصوير الخفايا المتعلقة بمصير الروح كما حاول أبو العلاء في رسالة الغفران. ولكن الفلاسفة أدخلوا على هذه الخفايا عنصر الخلق، إذ ركَّزوا حجتهم الكبرى على الضرورة الأدبية والحاجة الأخلاقية.

جاء في الرسالة ٦٧ أَنَّ البشر، وهم عالم السواد الأعظم - سواء في «العالم العلوي». أعنى الفلك وما فيه من المدبرات والنيرات والاستقصات»، أم في العالم السفلي، «لم يتناقصوا ولم يتزايدوا، من حيث الأرواح التي هي معدودة من أول الأدوار الى انقضاء العالم والرجوع الى دار القرار. تظهر بظهورات مختلفات الصور على مقدار اكتسابها من خير وشر».

وقد جاء في رسالة اخرى أَنَّ الأفلاك تخدم الأرض وما عليها بسبب النور الذي هو فيها.

فالأرواح أو النفوس خُلقت بعد «العقل الكلي»، من نوره الروحاني، محدودة معدودة عند الله، لا تزيد ولا تنقص على مدى الأجيال، والأجساد لا تقوم من القبور بعد موتها وتعود كما كانت قبل موتها، كما تبشر بعض العقائد الأخرى، فإنَّ الأرواح تنتقل الى أجساد جديدة بالولادة، أرواح الموحدين الى موحدين، وأرواح المشركين الى مشركين، مازة في أدوار التصفية والتطهير والتكامل، أو الفساد والشر والعذاب.

في ذلك تقول الرسالة ٥٧: «من سلك الجَدَّ بمسالك الدعاة الأطهار... ثم عَزَبَ عنه، ورجع الى الباطل، من غير إكراه ولا إجبار، فهو مَمَّنْ كان في القدم من شيعة إبليس، وقد رجع الى العنصر الخبيث»...

وتستشهد رسالة اخرى بالآية الكريمة ١٥٨ من سورة الأنعام: ﴿هَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا إِنَّا مُنظَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

وتمضي الرسالة ٣٧ في تعريف الروح أو النفس، فتقول: في الإنسان نفس بهيمية، من شأنها الشهوات الطبيعية، يغلب عليها الجهل، ولما كان الإنسان مركباً من جوهر يفعل ولا ينفعل، وجوهر يفعل وينفعل، وعرض ينفعل وليس بفاعل إلاَّ بآلته... فإنه محتاج الى محرك يستخرج معرفة الجوهر من العَرَض.

فأما الجوهر الفاعل الذي لا ينفعل، فهو العقل المتّحد بالنفس الشريفة. أي غير النفس الحيوانية، الحسية البهيمية، الموجودة في الإنسان والحيوان على السواء.

وأما الجوهر الذي يفعل وينفعل، فهو النفس الشريفة، لأنها عاقلة، عالمة، حيّة، شفافة، قابلة للصور، فهي تقبل الجهل كما تقبل العقل.

وأما العَرَض، الذي ينفعل وليس بفاعل، فهو الجسم الذي تستخدمه الجوارح (الأعضاء أو أجزاء الجسم) في إرادتها وهوياتها.

مؤدّي هذا التعريف، أنّ الإنسان مؤلّف من جسد، ونفس بالاصطلاح العادي، وروح، وإن كانت لفظتا «النفس» و«الروح» تُستعملان في مواضع كثيرة بمعنى واحد إذا كان المقصود بالنفس النفس «الشريفة». مع وجوب التمييز بينها وبين النفس التي تؤدي معنى الحياة. وأما «النفس» و«العقل»، روحانيّان، فهما منزلتان من منازل الحدود العليا حين تُستعملان استعمال أسماء الأعلام.

ونستدل أنّ الروح قد تحطّ إلى المستوى الحيواني وغرائزه البهيمية، أو تسمو باتحادها بالعقل «الكلّي» إلى مستوى الأبرار. ولكنّها - كما تقول الرسالة ٣٩ - «إذا بعدت من الرحمة، وعدمت الغذاء من نور الحكمة، رجعت من نور الحكمة، رجعت ضالّة بعد هداها».

هكذا نرى في نصوص عديدة من «الحكمة» أنّ الجزء والمثوبة للنفس هما بمقدار ما تكتسب من المعرفة والعلوم (الروحية) في أدوار انتقالها من قميص إلى قميص، أي من جسد إلى جسد بالنقلة، «بزيادة درجتها في العلوم، وارتفاعها من درجة إلى درجة حتى تبلغ حد المكاسرة». بل حدّ الإمامة.

## المسخ

المسخ في اللغة تحويل الصورة الى صورة أقيح منها. فيقال مسخه الله فرداً. وهذا، دينياً، حيثما ورد ذكره، مجازي، معنوي، المقصود منه التحقير.

وفي الرسالة ٤٢: «قد مُسختم وأنتم لا تعلمون. فأنتم في غمرة ساهون» يخاطب أحياء في أجساد بشرية. كما يفعل في «مثل ضربه بعض الحكماء» (الرسالة ٤٣) قاصداً بالمسوخ الوحوش، إذ يقول: «أشباه المسوخ والذئاب. لهم أمثال في التشبيه. يعرفهم الفطن النبیه. فبعضهم كالشعاعين. وبعضهم كالاساود والاراقم».

تأمل المجاز في الرسالة ٥٦: «يا أصحاب الاجسام الخالية من الارواح... والهيكل القائمة كظلال الأشباح... عكست نفوسكم، وتقهرت في درج المسوخية، بالانخفاض والانسفال». هذه إذن مسوخية معنوية روحية.

وفي الرسالة ٦١: «... قد اختلطت بطبائع الخائب طبائعكم في المسوخية. وتمازجت أرواحكم بروحه في جحد اللوهية».

وفي الرسالة ٦٣: «... عكست نفوسهم الآراء الخبيثة وأخلدتهم في المسوخية».

وفي الرسالة ٨١: «اللواتي خرجن عن حقائق الديانات، قد مُسحنَ وهنَّ غافلات».

وفي رسائل عديدة، غير التي ذكرت، يرد ذكر المسخ، في معرض الذم والتوبيخ. وهو تعبير مجازي، كما قلنا. وليس حسيّاً على الإطلاق. فإنّ عقيدة التوحيد تنكر المسخ في التناسخ إنكاراً صريحاً، وتنفيه نفيّاً قاطعاً، حتى إنها استبدلت بلفظة التناسخ «التقمّص»، خشية أن يفهم من التناسخ عقاب الأرواح الخاطئة بتناسخها أي مسخها في أجساد حيوانات، فالمسخ من أقسام التناسخ. وهو، و«الرسخ» - أي انتقال الأرواح الى نبات - و«الفسخ» - انتقالها الى جماد - لا موضع ولا موضوع لها جميعاً في هذه العقيدة.

### التقمّص والمصير

الجسد أو الجسم البشري، في عقيدة التوحيد ولغتها المجازية، ثوب للنفس أو الروح. قميص، في اصطلاح المذهب، تتقمّصه الروح عند الولادة. وتنتقل منه بالموت فوراً الى جسد مولود. دون تمييز عنصريّ، أو مكانيّ. وتظل بعد كل موت تخلع به الثوب البالي تلبس ثوباً جديداً، الى نهاية الأجيال. دون أي تعريف أو تحديد لمعنى النهاية إذا كان هنالك نهاية...

هذه الروح أو «النفس الشريفة»، والعقل، تتحدان في الجسد بالنفس الطبيعية أو الحيويّة - أي الروح والعقل والحياة - فتتألف بها الشخصية الإنسانية، وعدد الأرواح لا يزيد ولا ينقص... على هذا الأساس قامت نظرية التقمّص، وبهذه النظرية بُني العقاب والثواب، على قاعدة العدل الإلهي في محاسبة الأرواح بعد مرورها في الدهر الطويل. لا في مدى حياة واحدة. بخيرها وشرّها. وقصرها أو طولها. بحيث يمنحها الدهر الطويل فُرص الاكتساب والتطور، والامتحان والتبدّل. لكي تحاسب حساباً عادلاً على مجموع ما كسبت. فلا تكون الأرواح كياناتٍ مبهمّة، غير واعية، لا علاقة لها بالاختبار والامتحان، يُتاح لبعضها مثلاً مدى حياة واحدة طويلة تنطوي على جميع احتمالات التوبة أو العصيان. ثم تُعتبر مُساويةً لأرواح لم ترَ نور

الحياة مع أجسادها سوى أيام أو سنين معدودة حُرمت فيها فرص الاختبار الواعي والإرادة التي تختار.

وتظهر الشخصيات الإنسانية طهوراً متواصلاً، بصور أو حالات مختلفة حسب استحقاقها. في أدوار قضت الحكمة الإلهية أن تكون مختبراً للأرواح. وامتحاناً لاتحادها بالعقل. وسبيلاً طويلاً الى العقاب والثواب. في يوم الحساب.

إنها في أدوار انتقالها تكتسب من المعرفة والعلوم الروحية ما ينقلها من درجة الى درجة، في مراقبي التكامل، حتى تقرب من درجة الإمامة، إذا كانت مؤهلة لها. وهذا منتهى الرفعة الروحية المتصلة بالإمامة، أعلى مراتب الدين، في آخر أدوار الاختبار المقصود منه بلوغ الكمال الإنساني، بالتطور في سلسلة متواصلة من حلقات الزمان.

بانتظار هذه الغاية من التجارب والامتحانات والاختبارات تكون الأرواح على قدر اتصالها بالحقائق، قد بلغت منازل الأنوار. لتظهر في مجد انتصارها الأخير، مشتركة في مواكب الخلود.

منزلة الأعراف هذه ورد ذكرها في مواضع كثيرة من الحكمة، ووردت في القرآن الكريم: ﴿وَنَادَىٰ أَحْمَبُ الْجَنَّةِ أَحْمَبَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَرَفُوقُونَ كَلَّا بِسْمَتِهِمْ وَنَادَا أَحْمَبُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَرِ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (سورة الأعراف). ففسر بعضهم رجال الأعراف (الأعالي) بأنهم ملائكة أو أنبياء على أعرافهم أي مراتبهم الروحية العالية العارفة بخفايا النفوس، يستقبلون النفوس أو الأرواح الصالحة، وقال آخرون إنهم جماعة بين الجنة والنار يرجون رحمة ربهم. وأقرب تفسير للتوحيد أنهم الحدود يميزون بين الأرواح في حسابها، لعقابها أو ثوابها.

عنها تقول الرسالة ٦٨: إنها «الواردة الى الملأ الرفيع عند استكمالها

لعلو الدرجات. الثابتة بقدس الطهارة ومحل الأنوار... عند تمام الارادة (العقل) وكمال الاقمار، الحاضرة لثواب المحققين، الشاهدة لعقاب الكافرين». وإنَّ «قائم الحق غاب بعد إيجاب الحجة على العوالم في ملكوت باريه. الى اجل يتممه بمعالم حكمته ويُنهيه... إقامة للقسط والحق والعدل، في يوم المعاد والقضاء الفصل».

## المَعَاد عند الدروز

### توضيح عام

بين المعاد الدرزي والمعاد الاسلامي فروقات كبيرة وتباين جوهري . هذا يقول بحياة واحدة للانسان ورجنة ونار ماديتين ، ويوم للحساب والقضاء رهيب ، وبنهاية هذا العالم وزواله . وذلك يقول بحيوات متعددة ، أي بتقميص الارواح وانتقالها من جسد الى آخر ، وبأدوار للخليفة متلاحقة ، ورجنة ونار روحيتين ، وبنهاية هذا العالم بنهاية اديانه ومذاهبه . . .

وتعتبر الدرزية أنَّ الدور الذي نحن فيه هو آخر الأدوار ، في نهايته يتجلى الحاكم بمجد عظيم وغلبة لا تقهر ، وتحشر جميع النفوس في دين التوحيد ، وتكون للموحدين سعادة لا توصف ، وللمخالفين عذابات لن تنتهي .

ولا بد ، قبل النهاية ، من النظر في تحوّل الانسان من حياة الى حياة ، أي نقلته من جسد الى جسد أعني تقمصه المتالي . . .

### نظرية التَقَمُّص

التَقَمُّص هو انتقال النفس من جسد بشري الى جسد بشري آخر . اما التناسخ ، أي انتقال النفس الى أي جسد كان ، فهو ، عند الدروز ، امر باطل مخالف لأسفار الحكمة . «الموحدون الدروز لا يؤمنون بالحلول ولا بالتناسخ بل يؤمنون بالتَقَمُّص» .

فالتقمص إذن أمر مقرر وعقيدة أساسية في التوحيد.

شيخ العقل، محمد ابو شقرا، يوجز لنا مفهوم التقمص فيقول: «الموحدون الدروز يؤمنون بالتقمص. فبه ثبت عدل الله في مخلوقاته، وتتكافأ الفرص وتتاح لكل مخلوق... النفوس لا تفارق الاجسام لحظة واحدة، بل تنتقل بسرعة من جسد بشري الى جسد بشري جديد... والنفوس جواهر والأجسام آلاتها، كالعين آلة البصر، واللسان آلة الكلام... إن خلود النفس لا يكون ولا يمكن أن يكون بالنسبة الى عدل الخالق تعالى، وبالنسبة الى الثواب والعقاب، إلا بواسطة التقمص، وهذا الأمر أشارت إليه كتب الأديان جميعها».

هذا هو مفهوم التقمص كما يؤمن به الدروز وكما ورد في رسائل الحكمة وكما حدّده قائم الزمان: «إن التقمص هو تعاقب الأرواح في الأجساد البشرية للامتحان والتطهير، ولا يمكن للنفس أن توجد بدون الجسد. فالله، عند خروجها من جسدها الأول، يعدّ لها مباشرة جسداً آخر تتحد به. وهذا الاتحاد لا يعني حلولاً، أي ان الجسد موجود سابقاً لتحل النفس فيه. ولا يعني تناسخاً بجميع أشكاله.

وفي كتاب النقط والدوائر، ان النفس بحاجة الى الجسم لتقتبس المعرفة... «فالجسم حجابها ومنه تظهر أفعالها، ولا تدرك إلا منه، ولا غنى لها عنه، ولا تنتقل منه إلا به»...

أضف الى ذلك أن الله قادر على أن يثيب الانسان أو ان يعاقبه في جسد بشري. وليس بحاجة، لكي يثيبه، ان يلبسه جسداً ملائكياً، ولا ان يلبسه جسداً حيوانياً، لكي يعاقبه...

واليك ملخص مبادئ التقمص:

إن الأرواح في العالم محدودة معدودة... فلو زاد العالم كل ألف سنة نفساً واحدة لضاقت الأرض بالناس، ولو نقص كل ألف سنة نفساً واحدة لم يبق على الأرض إنسان واحد...

وهناك نظرية العدل الإلهي التي توجب التَقَمُّص، إذ ليس من العدل في شيء أن يحاسب الله الانسان على فترة من العمر قصيرة. «لذا كان التَقَمُّص، وكان تعدّد الأجيال، وكان على الانسان أن يمر في جميع الأدوار ليُظهر جوهر نفسه... وعندئذ يمكن الحكم عليه، فيستقيم العدل» (التَقَمُّص لأمين طليع).

بيد أنّ بعض التناقض يظهر في آراء بعض المفكرين الدروز حول التَقَمُّص. فبينما الشيخ أبو شقرا يقول بأن الروح الدرزية تتَقَمَّص غالباً شخصاً درزياً يقول الاستاذ النجار بأنّ النفس تنتقل من جسد الى جسد دون تمييز عنصري أو مكاني. أما الاستاذ كمال جنبلاط فيؤكد قائلاً: «لا يقبل الدروز أحداً في دينهم ولا يسمحون لأحد بالخروج منه»... ثم يقول: «إنه في سنة ٢٠٠٠ يفتح الطريق من جديد ويصير بإمكان جميع الناس في كافة أصقاع العالم سلوكها» (هذه وصيتي لكمال جنبلاط).

وقد يعود هذا التناقض في الآراء حول التَقَمُّص، الى الاعتقاد بأن نفوس البشر كلها، كانت في البدء، موحدة. إلّا أنّ بعضها تخلّفت عبر الأدوار المتعاقبة، وبعضها أشركت، وبعضها ارتدت، وبعضها لم تصلها الدعوة... وكلّها، تستطيع، في كشف جديد، ان تدخل الدعوة، وان تعود بتَقَمُّصات جديدة، الى صفاء التوحيد.

أما غاية التَقَمُّص فقد اختلفت فيها كما اختلف حول المبادئ. هل الغاية من التَقَمُّص امتحان النفس وتطهيرها أم ترقيتها في درجات الكمال؟ يبدو أن لبعض الدروز المستنيرين رأياً يختلف عن رأي الحكمة نفسها. فبينما تعتبر الحكمة ان غاية أدوار التَقَمُّص بلوغ النفس حدّ الامامة والكمال، يعتبر الدكتور مكارم والقاضي طليع أنّ الغاية من التَقَمُّص تكمن في الامتحان والتطهير وحسب. تقول الحكمة: «الجزء في الثواب... فهو زيادة درجته في العلوم... الى أن يبلغ حدّ المكاسرة، وينبسط في الدين من درجة الى درجة الى أن يبلغ حد الامامة».

بيد أنَّ الدكتور سامي مكارم يقول «بأنَّ التَقَمُّصَ، في مذهب التوحيد، ليس تطَوُّراً للروح في هذا الدور، بل هو تقلب الروح في شتى الأحوال، لكي يتسنى لها أن تختبر هذه الأحوال» (اضواء على مسالك التوحيد). وهذا أيضاً رأي القاضي أمين طليح الذي يقول «بأنَّ الدروز خلافاً لسواهم لا يرون في تدرج الروح طريقاً الى الكمال أو الامامة، بل اختباراً وامتحاناً».

في العقيدة الدرزية أنَّ التَقَمُّصَ هو ما يجمع بين الناس على اختلاف نزعاتهم وألوانهم ومواقعهم، وهو يفرض على البشر التحلِّي بأنبل صفات الاخوة والمحبة والمساواة بين كل الامم. فالنفس، عبر تنقلها من جسد الى جسد، قد تقوم برحلات بعيدة، وتجتاز حواجز العرق والدين والحضارة... هذه النظرية التي توحد بين أبناء الارض وسكان الكواكب، غنية الأبعاد، شريفة ونبيلة المرمى.

### جنة الموحدين ونارهم

بين المسلمين والدروز اختلاف بارز وتباين كبير حول مفهوم الجنة والنار. فالمسلمون يقولون بجنة ونار ماديتين، فيما الدروز يعتقدون بهما روحيتين. في جنة المسلمين أنهار من لبن وعسل وريح مختم، وأشجار وارفة الظلال.

أما الجحيم فهي مكان معدّ لعذاب الهالكين الذين لم يؤمنوا بالاسلام، أو الذين آمنوا ثم كفروا. فيها نار خالدة... النار من تحتهم ومن فوقهم، جعل الله في أعناقهم أغلالاً من حديد وسلاسل ثقلاً، يأكلون الشوك والزقوم ويشربون الغساق أي القيح والدم.

هذا باختصار حال جنة المسلمين وجحيمهم. أما جنة الدروز فهي روحانية خالصة، تقوم السعادة فيها على التوحيد... أثمارها العلوم الإلهية الحقيقة، التي بها يتخلص الموحّدون من جهلهم من داء الشرك... فالجنة إذن، أي الشواب، الذي هو أفضل العطاء وأشرف الجزاء، هو إدراك المعلومات الإلهية، واقتناء الفضائل البرهانية... وإنها السعادة القصوى

وكمال الإنسان... والكمال... هو العقل الذي أشار إليه الحكماء المتقدمون... (معراج نجاة الموحدين).

اما النار فهي، بحسب الدروز، الشريعة وتكاليفها الابليسية. والشريعة كما هو معروف عنها، هي الكفر والشرك والتلحيد، فتكون النار، بالتالي هي الشرك والجهل والشر.

فالجنة إذن هي الإيمان بالتوحيد، والنار هي رفض التوحيد.

### اليوم الأخير عند الدروز

يوم المعاد، هو اليوم الاخير في هذا العالم، فيه تصير الدينونة وتحاسب كل نفس بما صنعت وفيه ينتهي العالم... في هذا اليوم لن تكون «قيامه عامة للأموات»، كما هو الحال في اليهودية والاسلام. لأن الأرواح لم تبحر هذا العالم، بل هي تنتقل من جسم الى جسم حتى تبلغ تطورها وكمالها. وتتحّد بالعقل الكلي نهاية كل رقيّ وتطوّر. وفي هذا اليوم لن يكون حساب عام للأموات، لأن كل نفس تحاسب عند تنقلها في الأجساد. وينتهي الحساب عند وصولها الى حد الكمال في العقل الكلي. أما النفوس الشريرة والمشرّكة فتستمر في تقمصها الأجساد الشريرة الى الأبد.

وفي اليوم الأخير من هذا العالم يتجلّى الحاكم بقوة لا توصف، ويظهر قبله صفيّة قائم الزمان حمزة ببأس عظيم. وغالب الظن، كما يقول الأمير السيد في شروحاته للحكمة، ان بدء التجلي (سيكون) في مكة، انه يظهر بالعسكر العظيم، فيظهر من الشرق حتماً، ويسحب ذيله قاصداً بيت مكة فتلاقيه ملوك الدنيا من مشارقها الى مغاربها، كما قال قائم الزمان.

«ومن حين ظهوره بالشرق، يقع الذعر والهيبة في قلوب الملوك الكفار. ويقع الفرح الشديد وإلهنا والابتهاج والاستبشار في قلوب الصادقين الأبرار...»

إنّ هذا النص، الذي دبجته يدٌ جلييلة، لها مكانتها في المجتمع

الدرزي، هي يد الأمير السيد جمال الدين التنوخي، فهو يوجز بوضوح ما ورد في الرسائل حول اليوم الأخير... يوم المعاد هذا يكون إذن في مكة، حين يجيء حمزة «لاستيفاء الثأر لدماء الموحّدين». فيه يعلن التوحيد جهاراً على جميع البشر، ويبدأ دور «كشف» جديد تكون الغلبة فيه للموحّدين، فيخضعون كل مخالف مشرك. ويبقى الحكم فيهم الى الأبد.

## النطق

نظرية التَّمْصُص تربط الفكر بالعقل . فلا تعزو الى النفس معرفة ذاتها أو تذكر ما مرّ بها . إنّ معرفة الذات هذه في نصوص التوحيد لا تتاح إلا مرة واحدة بواسطة العقل . يحدّد موعدها المذهب . ويحصره بيوم القيامة ، حين ترتفع الحجب . فيُعْطى المرء قوّة يدرك بها جميع ماضيه .

في هذا الحصر إنكار صريح للتذكّر قبل ذلك الموعد . وأرسطو يقول ان النفس «ليس لها كيان ذاتي إلا باتحادها بالجسد . اما العقل فهو قوّة الفكر العاملة فيه» . ومثله تصرّح فلسفة التوحيد بأن النفس إذا انتقلت من الجسم احتجبت عليها جميع المعارف التي اكتسبتها فيه . الى أن تنشأ في الجسم الثاني ، فتبرز منها المعارف بقدر ما تناله من التوفيق . . . فليس للنفوس الناطقة إدراك ما مضى من الزمان . . .

يؤيّد ذلك اللاهوتيون . إذ يقولون : إنّ الإدراك والذاكرة والتصوّر والإستيعاب ، أمور خاصة بالدماع ، لاصقة به ، لا انتقال لها . والعقل البشري المتناهي - يقول سبينوزا - امتداد من العقل الإلهي غير المتناهي . فالتذكر هو من تفاعل العقل مع الجسد «لا يُستطاع تصوّر أو تذكّر شيء ممّا مضى إلاّ معه» .

يجرّنا هذا الى ما يقول به بعض الغلاة ، ممّن ليسوا من علماء المذهب ، فإنهم يؤخذون بما يتواتر بين السّدج من العامة ، عما يسمّونه «النطق» . أي ان الروح ، على زعمهم ، حين تنتقل من جسد الى جسد ، تحمل معها أحياناً معلومات عن «الدور» أو الجيل الذي كانت فيه . «فتنطق» ،

أي تحدّث عنه بما تعيه الذاكرة. كأنما الذاكرة جهاز روحي، لا عقلي مكتسب... ويروون قصصاً و«وقائع» عن ذلك، محيرة، مدهشة. يكاد لا يرقى إليها الشك. مع الاعتراف بأن أولئك «الناطقين» كانوا يبدون مخلصين صادقين بما يعتقدون أنّه وقع لهم في «حياتهم الماضية».

ولعلّ المصدّقين وجدوا، أو أرادوا، من ورائه، إثبات نظرية التقمّص، من أقرب السبل والعيان. ذلك شأن من أرادوا إثبات النبوءات أو القداسات، الى يومنا هذا. فقضّوا على الناس ما ردّده الصحف، إرواء لغلل المتعطشين للخروج من قيود الواقع الجاسي الى سرحة الخيال في رياض المجهول. وتحدياً للموت بتحويله الى مرحلة تجديد للوجود.

إنّ عامة «المتكلمين» يرون الخبر أصلاً من أصول الإستدلال. ومعظم الشرائع والديانات تقوم على الأخبار. ولكن «الموحدّين» لا يثقون إلا بالعقل. أمّا التواتر فلا يسلم من مطاعن العقل، كما نجد له في كتبهم نقداً شديداً حين يتعارض مع العقل.

في القرون الخالية شاع «علم» التنجيم. وانتحله علماء في ذلك الزمان سفهتهم رسالة «الرد» في «الحكمة». واعتبرته من فنون الشّرك، بالرغم من روايات بضع الأديان لظواهرات فلكية اتخذتها دلالات وبشائر، لأحداث ومصائر...

هذه الظاهرة لا يشبتها العلم، وإن كان «انتقال الأفكار» من عناصر الإيحاء فيها. وربّما كانت تسميتها «النطق» مستخرجة من لفظة «النفس الناطقة» التي تعني شيئاً مختلفاً يقصد به التمييز بينها وبين النفس «الحيوانية» والنفس «الكلية». و«الناطق» نعت لواحد من النطقاء الخمسة، واضعي الشرائع الدينية.

ونثبت هنا، بالنصوص من «الحكمة»، صحة ما نقول. ففيها الحجّة القاطعة لكلّ تأويل وتضليل. والنصّ هو المرجع الأصيل للموحدّين إذا كانوا به مؤمنين، ويحكمه راضين مقتنعين:

١ - تقول الرسالة ٦٧ :

«فإن قال قائل ما لنا لا نعرف ما مضى من الأدوار؟ قال له المحتج بالحقيقة (بهاء الدين): إنك لو ذكرت، وعرفت، لشاركت المبدع في غيب حكمته، ولكان ذلك عجزاً من الباري، ولكان يفسد النظام...»

«لأنك لو عرفت نفسك، وما كنت عليه في الأدوار الماضية، لعرفت غيرك، ولكنت أيضاً عارفاً بمبدعك الذي ردّدك في الأشخاص. ولو عرفته لعرفت جميع العالم... ولتساوى فيه العالم والجاهل، والناقص والفاضل.»

٢ - وتقول الرسالة ٧٠ :

«إن النفس لا تنفرد بفعل وهي بائنة عن شخص. لانه إذا انحَلّ وصدر عنها، عدمت الالفاظ... فأما ما قاله الشيزري من انفرادها في المنام، وتذكّر ما تشاهده وتخبّر عنه من الاحلام، فانها إنما تحكي صورة المحسوسات، وتمتدّ هذه النفس مع المزاج، فتتصوّر ما تكون قد شاهدته من المراتب... فإذا كان المولود أعمى لا تقدر نفسه على الانفراد فتتصوّر في المنام شيئاً سوى ما عهدته.»

٣ - وتقول الرسالة ٦٩ :

«لقد شهدت مناظرة بضع المموهين، ممّن اخذ دينه عن داع يدّعي علم الفلسفة. فانه أسهب أنّ النفس تتحد بمعلوماتها في معادها على الانفراد! وكان أنفس ما استشهد به، ممّا أخذه عن داعيه المموه المحرّف، أو شيخه الخرف المزخرف! ان النفس تنفرد بأفعالها...»

٤ - كتاب «النقط والدوائر» :

«فما تقدر النفس الناطقة على الذكر إلا بالقوة المذكّرة التي في الجسم (وهي فيه)...»

«ولا تقدر على تخيل الأشياء إلا بالقوة المخيلة التي في الجسم...»

«ولا تقدر على التفكير إلا بالقوة المفكّرة التي بالجسم...»

«ولا تقدر على التمييز إلا بالقوة المميّزة التي في الجسم...»  
«ولا تقدر على الحفظ إلا بالقوة الحافظة التي في الجسم الذي هي فيه أيضاً...»

«القرب والبعد في انتقالها سواء. إذا فارقت جسماً اتصلت بسواه فوراً.  
«والعقل الطبيعي خاص بالنفس الحيوانية (أي الحياة التي يتساوى فيها  
الانسان والحيوان). فإذا فسدت هذه النفس الحيوانية، ارتفعت النفس  
الناطقية. وانتقلت الى جسم جديد (فيه عقل طبيعي ونفس حيوانية تتحد  
بهما). بزوالها عن هذا الجسم وفراقها له تعدم الافعال أي لا تقدر النفس  
تنطق بغير لسان. ولا تنظر بغير عين. ولا تسمع بغير أذن. ولا تفعل بغير  
آلة. إلا بالجسم الذي هي فيه. يؤيد ذلك ويؤكدده، ويقوّي برهانه ويشدّده،  
براهين عيانية، وإيجاب حكمة ربّانية».

«وأما بعد القيامة فترتفع الحجب عن النفوس، فتُعطى قوّة تدرك بها  
جميع معارفها وأعمالها السابقة، من البداية حتى يوم القيامة، وتصبح الأزمنة  
الماضية عندها كأنها يوم واحد تتذكر فيه جميع ما علمت وعملت. و«يوضح  
لها بأيّ ذنب أخذت، فتُجازى كلّ نفس بما اقترفته، بعد التذكّار والبيان، يوم  
يتذكر الانسان ما سعى».

«وأما في دار الدنيا فليس للنفوس الناطقة إدراك ما مضى من الزمان».

## التخيير

مذهب التوحيد ينفي القدر الحتمي أو الجبر، بالرغم من أنه جرى على ألسن العامة من أتباعه، وشاع عنهم قولهم بالمقدّر لجهلهم فلسفة المذهب، وحرمانهم ممّن يشرحها لهم. وما أقل من يفهمها منهم، وأبعده عن الناس.

كما أنّ المذهب ينكر «القدريّة» المطلقة، فهو ليس مع الأشعرية في أن كل شيء مقدّر محتوم، ولا مع المعتزلة الذين نُسبت إليهم القدريّة بمعنى أن الله قدّرنا على أعمالنا. أي منحنا إرادة العمل ولم يُعَيّن لنا نوع العمل خيراً كان أم شراً. إذ أنّ المقدّر الجبري يتعارض مع الإيمان بالعدل الإلهي، وبالتخيير الذي يجعل المرء مسؤولاً عما يصدر عنه بإرادته واختياره، عند مواجهة العقاب أو الثواب في ميزان العدل والحساب. وعلى هذه العقيدة، القائمة على التخيير، يسمّي الدروز أنفسهم، كالمعتزلة «أهل العدل والتوحيد».

فإذا كان القول بالجبر قائماً على أنّ لكلّ عمل علة. ولكل نتيجة سبباً. والله المُعل والمُسبّب. وقدرته تشمل كل شيء. فإنّ القول بالاختيار لا يستثني ذلك من قدر الله المانع له، وعلمه المحيط به، منذ الأزل. بل يجعله منطبقاً على العدل الإلهي.

على عقيدة التخيير تقوم فلسفة التقمّص. إذ يكون تكرار الروح في مدى أجيال البقاء البشري، بمرورها في أدوار الاختبار والتجريب والامتحان إعداداً لها وتطويراً، قبل وصولها إلى الآخرة التي تنتهي إليها. فإن لم يكن المرء مخيراً فكيف يحاسب، إذا كان ثم حساب؟ هذا هو منطق القدريّة، من حيث أن للمرء قدراً على أفعاله.

ولكن عقيدة التخيير ليست في الغلو كالقدرية. إنها تحدّد وتحصر قدر المرء فيما يُسأل عنه، وفي نطاق ما له يد فيه. ولا تُخرجه على كل حال عن علم الله الأزلي. و«القدرية» تسمية ملتبسة، أولى أن تطلق على القائلين بالقدر الإلهي. أطلقت على المعتزلة خطأ. أحقّ بها من اعتقدوا أنّ القدر من الله، خيراً كان أم شراً. والمفارقة ظاهرة.

بين الجبر و«القدرية» يعتقد الموحدون أنّ الله وهبنا العقل ومنحه القدرة على تكييف ما لا قبّل لنا بتغييره من أحكام القدر الإلهي. وعلى مقدار تحكّمه فيما خُيّر فيه تكون التبعة والحساب.

ينفون الجبر، لأنّه حنلٌ على الفعل، وعلى ترك الفعل، لا مجال فيه لطاعة، ولا لعصيان، وإكراه لا يستوجب عقاباً ولا ثواباً، وحاشا الله أن يجبر العباد على معصية يعاقبون عليها. أو يشيهم على حسنات لا يد لهم فيها.

يعتبر عن ذلك، الإمام الرازي، مع أنه كان ينتصر لمذهب الجبر، بقوله:

«إنّ القول بأنّ العبد ليس له قدرة ولا اختيار، جبر محض، والقول بأنّ العبد مستقل بأفعاله، «قدر» محض. وهما مذمومان. والعدل أن يقال: إن العبد يفعل الفعل. ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله فيه».

ويحتجون بالآية: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَأُزِرْ وَذَرَّ أَخْرَجْ وَمَا كُنَّا مُعْذِرِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝﴾ (سورة الإسراء). أي أن الله يبعث رسولاً للهداية. وهذا دليل على أن «لا وجوب قبل الشرع» كما يقول البيضاوي في تفسيره لآيات القرآن الكريم. ومثله يفسّرون الآية: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝﴾ (سورة الإسراء) بقولهم إنّ الأمر بالطاعة. وعبرة الآية أشبه بقولك «أمرته فعصاني»؛ وهي صياغة اجتزاء. وقاعدة العقيدة هي أنّ الخير يدفعنا نحو الكمال، والشر يؤخّرنا عنه. لا مكان معه للشفعات، ولا إغفال للتبعات. وما جاءت الرسل إلّا للهداية والإرشاد.

هذا فيما يتعلّق بالأفعال الإرادية التي يُسأل عنها الإنسان، ويقدر أن

يُمْتَنَع عنها أو يأتيها. لأنه مزود بالعقل يُمَيِّز به الحق من الباطل، والخير من الشر، اختياراً هو «أهمُّ فارق بين الانسانية وبين الحيوانية» كما قال أحد الفقهاء. وهو مخالف للجهمية القائلة بأن الإنسان مجبور في كل شيء دون استثناء. وهي فرقة ظهرت قبل المعتزلة. وقالت بالجبر وخلق القرآن. تنصّل من اسمها المعتزلة كما تنصّلوا من اسم القدرية. مع انهم ينفون القدر الذي تغالى به الجهمية الجبرية حين تنكر هذه ان للمرء قدرة على الفعل وان الله خلق فيه أفعاله كما خلق الثمر في الشجر والحركة في الجماد. من هذا النفي أُلصِقَ بهم اسم القدرية.

ورافق هذه العقيدة إيمان بالحظ أو المصادفة تفسّر بهما أمور هي بين حتمية القدر وحرية الاختيار. ويتوقّع بهما تفريج لكرب، أو ترفيه من بلاء.

وجاء التخيير مثقلاً بالتبعة الأخلاقية في ما يصدر عن المرء من أعمال يُسأل عنها. فلا يعزوها الى القدر، وإن كان التخيير منحة الله وتقديراً على العمل، حتى لا يقوم في الأذهان ان الشر مفروض من الله.

هذا هو الفرق بين سابق علم الله، وبين سابق قدر الله. فليس عند الله ماضٍ، ولا مستقبل. بل كل ما حدث، وما سيحدث، «مجموع في حاضر علمه السرمدى». والأعمال الإرادية، من الإرادة التي خلقها. فإنّ «الله وحده حرية الاعلال».

أما كيف يوضح المذهب نظريته، فذلك بفصل الأعمال ذاتها عن التكوين الخُلقي في الإنسان، بحيث يُفسح المجال للإرادة. أي أنّ بعض الأفعال يمكن تجنّبها إذا تبَيَّن شرّها. وهي مهمة الرسائل الدينية والتعاليم الأخلاقية. وبعبارة أخرى، إنّ الله خلق عناصر تكويننا وأتاح لنا استعمالها حسب استطاعتنا. وإنّ الدين وعلم الأخلاق ضروريان حيث يفسح الله للإنسان إرادة الاختيار في مجال الأقدار. وبذلك يبطل شمول الإجبار على أفعال تحاكمه عليها العدالة الإلهية.

يجمع القرآن الكريم ذلك بقوله: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْقِمْ ۖ وَمَا

نَسَآءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ (سورة التكوين). مشيراً الى حرية الاختيار، وحدودها. فلا إطلاق في الجبر ولا في التفويض، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (سورة الكهف).

ويستشهدون بالآية: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ أَسَنَتُمْ لَأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا النَّبِيَّ﴾ (سورة الإسراء). فإن للإنسان يداً في مجرى التاريخ، وفي الوراثة، وفي التطور. له نصيب في كل ذلك، مهما يكن ضئيلاً. وهو داخل في علم الله. تماماً كما يعرف الغارس نوع الثمر الذي ينتظره، وإن تباين الحمل واختلفت الجودة.

فلننظر في كتب «الحكمة» كيف وردت نظرية التخيير:

جاء في الرسالة ٥٣:

«... أعيروني أفهامكم... إنَّ الباري جلَّتْ آلاؤه منزَّه عن الظلم... لم يهمل بريته. ولم يُخلهم في كل وقت وزمان من داع الى كلمة التوحيد والهدى... لتقوم الحجَّة على جميع الأمم...»

«إنَّ أمر الباري عرض وتخيير. ونهيُّه عظة وتحذير. لأنَّه لو كان أمره حتماً واجباً، ونهيُّه جزماً لازماً، لم يشك في توحيدِهِ من البرية أحد. وتساوى الكافة في الدين والمعتقد. وعند تساويهم يبطل الثواب والعقاب.»

هكذا أخذ الميثاق على الموحدين.

إنَّ الدين قائم على الإيمان والإرادة. لا معنى لهما بالإكراه. يُمتحنان بوجود الخطيئة والشر في العالم. وبالخيرة لا بالإكراه.

وفي الرسالة ٤٢:

«... قد أوقفكم موقف التخيير. فهل في العدل سوى التخيير؟...»

فإن قال قائل: إنَّ أمر الباري لا يقدر الخلق على رده. (نقول له) إن كان قد أمر ونهى، ولم يُقبل الأمر والنهي، فهذا بعض الضعف أو كَلَه. لقد جهلت أمر الباري ونهيه. إذ لو كان أمره حتماً، ونهيه جبراً لم يشك فيه أحد. وأطاع الخلق بأسرهم. وإذا كان ذلك كذلك، سقط التفاضل. وعند سقوطه يبطل الثواب والعقاب. وتحلّل معاهد الديانات. وكان الخلق سدى. وحاشا الله. بل أمره تخيير. ونهيه تحذير. ليقوم العدل بالتخير في الخليقة. ويصح الثواب والعقاب الموعودان في يوم القيامة... ليحقّ عليكم العذاب بما أُمِرتُم به وأغفلتموه. وتقوم الحجة عليكم بما صدقتم عنه من الحق وبهتُموه... يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً... لتكون الحجة قائمة بالعدل الذي هو التخير».

وفي الرسالة ٧٠:

«... نقول عرّفونا سبب تفاوت هذا العالم في منازلهم وارتفاع درجاتهم. وفي شرف الأنفس، وقبولها للعلم، وضعتها، واختلاف آلائهم... حاشا الله أن يجعل في بعض قوة واستطاعة، ويمنع البعض... فان كان قد جاد على بعض بالمعونة، وحرّم البعض، فهذا هو الجبر. ولا ثواب للمُجود عليه، إذ هو مجبر بما أفيض إليه وجعل عنده من قوة القبول. ولا عقاب على الذي بُخل عليه. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً... بل الجزاء بعد التخير. وما تفضّل عليها من التمييز... ومجازاة الانفس بما كسبت».

وفي الرسالة ٧٤:

«العقاب مرفوع عن المكْرَه والمُجْبَر... فباختيار الناس للجدد والانكار يعاقبون. وباختيار أهل الطاعة والصبر على المحن، يثابون».

وفي الرسالة ٦٧ عن الغيبة الثاركة لهم الخيرة في العبادة:

«لو لم يرغب لكانت العبادة جبراً وقسراً. ولتساوى في ذلك أهل الأرض. ولكان العالم مجبراً، لا مُثاباً، ولا معاقباً. لأنّ الجبر لا يُثاب ولا يعاقب».

## العقاب والثواب

لكي نُثَلِّمَ بمعنى العقاب والثواب عند الموحدين لا بد لنا من إلقاء النظر الى تعريف إخوان الصفاء لهما. فإنهم يقولون إِنَّ الجحيم عالم الفساد حيث يقيم الأشرار في الإثم والعذاب. والنعيم جنة الأرواح الطاهرة الخالية من الألم والندامة.

ينكرون وجود جهنم نارية، في مكان ما من الأفلاك السماوية، بين عوالم في مجراتها أشبه بذرات الغيوم، تبدو أرضنا بينها كشرارة تافهة من شعاع الأكوان. وينسبون الى جهل الأقدمين تصوّرات مثلها عن بدء الخليقة، والتكوين، والنهاية في الجنة والجحيم. وصور أرض مبسوطة مسطحة، تضییء لخدمة الإنسان شمسها، وتهديه في سُرَاه نجومها.

والموحدون يصفون النعيم والجحيم بقولهم (الرسالة ٣٧) إِنَّ الجنة هي توحيد الخالق. والجحيم هو الجهل والشر. وثمار الجنة المعرفة الحقيقية. ويتساءلون (الرسالة ٦٧) كيف نُؤمّر بمعرفة الله إذا كان مستویاً على عرش فوق سموات سبع، ونحن نجهل ما وراء أقرب جدار إلینا؟

تقول (الرسالة ٦٩...):

«إِنَّ الثواب، الذي هو أفضل العطاء وأجزله، وأشرف الجزاء وأكمله، هو إدراك المعلومات الإلهية، واقتناء الفضائل البرهانية. وإنها السعادة القصوى. هذه السعادة هي الغرض في وجود الإنسان. وهي كماله الذي لا يُبقي لنفسه شوقاً الى غيرها. ولا هي مما يُطلب لئِنال بها سواها لأجل

تمامها وكمالها... هي الكمال الأخير للنفس... إنَّ المعنى الواجب الوجود، لذاته لا لغيره، هو العقل... وما دون السعادة التي هي العقل، إدراك المعلومات الإلهية. فهي الواجبة الوجود بالاضافة الى العقل... فإنَّ المعلومات الإلهية لا توجد معرفتها وتحصل إلا بالعقل...

«وأما العذاب فهو النقلة من درجة روحية الى درجة دونها والثواب زيادة وارتفاع في الدرجات. ذلك هو الثواب والعقاب».

وعن الجنة والنار تقول، معرّفة ناقدة (الرسالة ٣٧):

«توحيد الله هو النعيم السرمدى... والكفر والجهل والغي هو الجحيم».

ولما كانت الجنة، من حيث الحسّ، أشجاراً مثمرة، ومياهاً جارية، تعلقت بها أوهامهم... ولو عرفوا الجنة (التوحيد) لسارعوا إليها، وكانوا فيها مخلصين، وعلموا ان الله ما أحالهم على عدم... وأما ان الجنة عرضها السماوات والارض، فقد جهلوا معنى هذا القول... الجنة هي الدعوة الهادية. وثمارها العلوم الإلهية الحقيقية التي بها يتخلصون من جهلهم. وأما معنى طولها فهو «العقل الكلي». وعرض كل شيء غير منفصل عن طولها. كذلك «النفس» غير منفصلة عن العقل لقبول المادة الإلهية. فمن تغذى وروى من علوم هذين الاصلين، فقد أكل من ثمار الجنة وشرب من مائها، بالحقيقة والمعرفة.

وأما النار الكبرى فهي غَلَبَةُ الشقوة وهوى النفس البهيمية الغالب عليها الجهل».

### يوم الدين

يوم الحساب في هذا المذهب ليس يوم قيامة. إذ ليس فيه موت للأرواح، ولا قيامة لها، ولا بعث. فالأرواح لا تموت لتُبعث، ولا تنام لتوقظ. بل إنَّ يوم الحساب أو الدينونة نهاية مراحل الأرواح وتطوّرها. إذ

يبلغ التوحيد غايته من الانتصار على العقائد الشركية. ويستمرّ الإنتقال والمرور في «الاقمص» المادية، لتتصل الأرواح الصالحة بالعقل الكلي، على مقدار تكاملها. ولقد تبلغ من الطهر درجة الكمال.

ذلك هو الثواب يوم الحساب. وهو نهاية النهايات. أمّا العقاب فهو عذاب التقصير عن بلوغ تلك المراتب والغايات. وهما الجنة والنار في لغتهم الرمزية التي تتحدث عن «ظهور جند الله من الشرق» و«إطلاق سيف الحق في عنق الباطل والشرّ في الخلق»...

فالرسالة ٥٦ تقول:

«... إيقاظ لأهل الثقل النفسية، الغافلة نفوسهم عن بعث المعاقبة العاصية، اللاهية عن ثواب المطيعة، المتبلّدة عند العرض والحساب... بما احتقبت به بعد عدل التخيير في الأزمان الخاليات».

والرسالة ٦٠ تقول:

«هنالك ينكشف صبح الحق عن غيب الظلام... ويتجلّى العدل بظهور الهادي الامام. القائم لجزاء الأرواح... فاغتنموا... قبل ختم الأفواه وقطع الكلام، وطّيّ الصحف وجفاف الأقلام».

«عندما تغلق الأبواب. في يوم العرض والحساب. فتجازي كل نفس بما اقترفته، بعد التذكّار والتبيان...».

## التوحيد

وحدانية الله لا جدال فيها. إنها قاعدة جميع الديانات. تؤمن بها الشعوب، وتعلنها على المنابر والمذابح، مهما تختلف التعاريف والتعابير. ومعرفة التوحيد غاية الفئة المختارة، على مشقة بلوغها، والاستغراق في متعة نعمتها. فالصوفيون يقولون ان التوحيد هو الحقيقة التي تُمحى عنها النقوش. وتبدو منها معرفة الله للعارفين. وهو «فناء المحب في المحبوب». وله وجهان: حالة التوحيد، وإيضاح التوحيد.

١ - حالته، كرحمته، وسعت كل شيء. وهي سرمدية الوجود. الأزل والأبد فيها.

٢ - إيضاحه، من عمل الأنبياء ورسالتهم. على مقدار ما أوتوا من علم وطهر ووصول.

والتوحيد كالشمس. وإيضاحه كالسراج الذي يختفي ضوؤه أمام نور الشمس. وهو خمسة أقسام:

١ - توحيد القول، أي الشريعة للسواد من الناس المؤمنين بنبي واحد ورسالته.

٢ - توحيد الأفعال.

٣ - توحيد الأحوال.

٤ - توحيد الصفات.

٥ - توحيد الذات.

هذا المذهب التوحيدي يفسر آيات «التنزيل» تفسيراً باطنياً خاصاً، يخرجها عن باطن «التأويل»، ويجعلها أحد المذاهب الموصوفة بالغلو. إنه يخالف أهل التنزيل في أنه ينظر نظرة خاصة في ما تنطوي عليه الألفاظ من معاني ودلالات روحانية. ويخالف أهل التأويل، ويسميهم أهل الباطن، في تفهّم رموزها الخفية. ويخصّ بهذه التسمية الإسماعيلية، أقرب المذاهب إليه. وقد اشتهر في عصرنا الحاضر زعيمه الأكبر آغا خان.

وتعرض الرسالة ٧١ لنظرية المعتزلة وغيرهم في خلق القرآن بقولها: «إنّ القرآن كلام الله. منزل. غير مخلوق ولا معجول».

إنّ علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم كتبوا الشيء الكثير عن وحدانية الله. ولكن المعتزلة كانوا أكثرهم عناية بتعريفها وشرحاً لها وشجراً لمن يخالفهم فيها.

وفلسفة التوحيد هذه تلتقي في بعض الأمور مع المعتزلة وتخالفها، في بعضها الآخر. فإنها تنفي عن الله الصفات والأسماء والحالات والجهات والقَدَم والتشبيه. بمعنى أنّ الله هو الجمال، لا الجميل. والقدرة، لا القدير. والحياة، لا الحيّ. والعلم، لا العليم. إلخ... فإنّ الجميل لا يستغني عن الجمال. والقادر تلزم له القدرة. والحيّ تلزمه الحياة. والعالم بالشيء لا غنى له عنه. كأنما هذه جميعاً أمور أو أجزاء منفصلة عنه متبعة له. أو كأنها غير ذاته.

تقصد بهذه وحدانية الله. لا تركيب. ولا تأليف. ولا انقسام. ولا أجزاء. فحيث تذكر الصفات أو الأسماء أو الحالات، في الأديان، تفسرها بأنها معاني، تقريباً لها إلى الأذهان. وأما عبارات التعظيم والتجسيم والتشبيه وما إليها من صور مألوفة لمخيلة البشر، فهي مجازية رمزية. وكالمعتزلة تقول ما لا يدرك لا يُسمّى، وإنّ الأسماء وسيلة لمحاولة فهم إرادته، لا لمعرفة جوهره. وهكذا جعلت للألفاظ مغزى خفياً باطنياً ينفي عنها ظاهر مؤداها. إجلالاً للباري «وإقراراً بالعجز عن إدراك كنهه».

كما إنها تنفي عنه الانتقال . لان الانتقال يحتاج الى حيّز . والى حركة ، والحركة عرض وانتقال من حيّز الى حيّز . وتنفي عنه السكون . لان السكون عجز . والكون لا يمكن أن يكون صادراً عن سكون .

فالرسالة ١٣ تقول :

«إِنَّ المولى سبحانه، لا قديم ولا أزل . لأن القديم والأزل مخلوقان . وهو خالقهما . . . حقيقة لاهوته لا تُدرك بالأوهام والحواس . ولا تعرف بالرأي القياس . . . ليس له مكان معروف ، فيكون محصوراً فيه ، وتخلو بقية الأمكنة منه . ولا يخلو منه مكان فيكون عاجزاً القدرة . ولا هو بأول ، فيحتاج الى آخر . ولا بآخر فيكون له أول . ولا بظاهر ، فيحتاج الى باطن . ولا بباطن فيكون مستراً بظاهر .

«لا أقول بأنّ له نفساً ولا روحاً ، فيكون يشبه المخلوقين ، ويدخل تحت الزيادة والنقصان . ولا أقول إنّ له شخصاً . ولا جسماً . ولا شبحاً . ولا صورة . ولا جوهرأ . ولا عَرَضاً . لأن كل اسم منها لا بُدّ له ، ضرورة ، من شبه ستة حدود - وهي فوق وتحت ويمين وشمال وخلف وقدام - وكل ما يقع عليه اسم الشبه يحتاج الى شَبْهِه . . . والباري العليّ سبحانه يُجَلُّ عن الأعداد . . .

«ولا أقول إنه شيء ، فيقع به الهلاك . ولا أقول إنه لا شيء ، فيكون معدوماً مفقوداً . ولا هو على شيء ، فيكون محمولاً عليه . ولا هو في شيء ، فيكون محاطاً به . ولا متعلق بشيء ، فيكون قد التجأ إليه .

«ولا هو قائم . ولا جالس . ولا نائم . ولا ساهر . ولا له شبه . ولا ذاهب . ولا جاي . ولا لطيف . ولا كثيف . ولا قوي . ولا ضعيف . . .

«منزّه عن الصفات . والأجناس . واللغات . والأشياء كلها .

« . . . من نوره أبداع الأشياء . . . والى عظمته وسلطانه يعود كل شيء . حقيقة لاهوته لا تُدرك إلّا صورة وهمية . لا حقيقة مرئية .

إننا نعرف من التجليات عشرة. وهي مذكورة تحت موضوع «المقامات».

أما التجلي فيقول فيه المذهب مناقشاً: إنه سبحانه أظهر لنا «حجابه» ومقامه رحمةً منه ورأفة (الرسالة ١٣) «فإن قال قائل: كيف يجوز أن نسمع كلام الباري سبحانه من بشر، أو نرى حقيقته في الصور؟ قلنا: أنتم تعتقدون أن الله عز وجل خاطب موسى من شجرة... ومن جبل... وسَمِّيموه كليم الله... فإن كان الشجرة «حجابه»، فإن من يعقل ويفهم أحق أن يكون حجاب الله مما لا يعقل ولا يفهم. وكيف يجوز للباري سبحانه أن «يحتجب» في شجرة يخاطب كليمه منها، ثم تُحرق الشجرة ويتلاشى «حجابه»؟».

تقول الرسالة ٣٦ إنه «تَقَرَّبَ إلينا بنا. وأنس عقولنا بصورنا. وظهر لنا بجميع أفعالنا. لتقبله أفهأئنا. فلا نقول إن هذه الصورة المرئية هي هو، فنجعله محصوراً محدوداً. بل نقول هو هي، استتاراً وتقرباً وتأنيساً، بغير حد. ولا شبه، ولا مثل. أو كما نطق القرآن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْلَتْهُمْ كُتُوبُ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُ الظَّالِمَانَّ مَاءً حَيًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة النور) كمثل الناظر في جوهر المرأة. فهو يرى نظير صورته بغير لمس ولا إدراك كيفية ولا تحديد ماهية»...

«إن الله لو كان موجوداً على صورة مخالفة لبريته. أو ظهر لهم بمعنى يليق لعظمة ألوهيته، لم يشك فيه أحد من البرية، وارتفع التفاوت والتفاضل، وسقط الثوب والعقاب» (الرسالة ٦٩). ولذلك «ظهر في حد الطفولة. ثم الكمال. ثم اعتلّ في ظاهر الأمر. لئلا يكون عاجزاً عن ذلك (عن الاعتلال). فإن العجز (إرادة العجز والقدرة عليه) من القادر قدرة» (الرسالة ٦٧).

«كذلك مولانا جلّ ذكره، بظاهر ناسوته عرفنا بلاهوته. ومن حيث نحن ومن صُورنا خاطبنا. وإلّا فما عرفناه ولا أدركناه... وسلطان لاهوته لا يدرك ولا يُعرف» (الرسالة ٩).

ثم يقول: «فأي عدل يقتضي أن يكون فوق سبع سموات. على كرسي. فوق السماء السابعة وقد كلّفنا، مع هذا، عبادته ومعرفته؟... والمرء ليس في وسعه أن يعرف ما خلف الجدار القريب إن لم يكشف عنه... فإنّ ظهور الله نفس العدل... فلمّا صَحَّ أن ابن آدم أفضل المخلوقات، وجب أن يحتجب الباري في أشرف المخلوقات» (الرسالة ٦٧).

«إنّ الباري سبحانه لا تخلو الدار من وجوده طرفة عين. ولو خلت الأرض منه لزالَت الحُجّة عن المخلوق في تلك اللحظة» (الرسالة ٧٥). «ظهر بالشكل البشري لأن حكمته قضت بذلك إشفافاً على جهل العالم المتمسك بالمحسوسات. وامتحاناً لهم. لتكمل عليهم الحجة» (الرسالة ٤٤). فظهوره «إنسيّة لعقولنا. وشفقة منه علينا» (الرسالة ٢٤).

## أسفار الخليفة

ليست فلسفة العقيدة، المستند الروحي الوحيد لأنباع هذا المذهب. فهنالك مستند آخر قائم على أسفار، بعضها منسوب الى زمن غارق في مجاهل التاريخ، اصطلاح العرب على تسميته زمن الفِطْحَل؛ لم يكن قد خُلِق فيه البشر بعد.

تصف الرسالة ١٣ كيف كان الوجود عند بداية «العقل الكلي» بعبارات نوجزها بما يلي:

ولم يكن عند ظهوره (ظهور العقل) أيام. ولا أنام. ولا شهور ولا أعوام. ولا ناقص ولا تمام. ولا حواس ولا أوهام. ولا زمان. ولا مكان. ولا دهر ولا أوان. ولا ليل ولا نهار. ولا غامر ولا عُمار. ولا بحار ولا قفار. ولا فلك دوار. غير مولانا البار العلي الجبار. . . سبحانه لا يدخل تحت الأسماء والصفات واللغات. . . لا قديم ولا أزل. لأن القديم والأزل مخلوقان جميعاً. . . والبار خالقهما.

١ - «آدم الصفا» أي صفّي الله، خلقه الله «بيده» أي أبدعه من النور المحض، و«نفخ» فيه من روحه. و«حاشا الله ان يخلق صفّيّه من التراب». . . ظهر في عالم يقال لهم الجنّ. كانوا يعبدون العدم. وخدم في دعوة التوحيد في الأعصار، قبل الدور الذي لُقّب فيه بآدم. وكان اسمه شطنيل. . . جعله الله إماماً وأمر الملائكة، أي الدعاة، أن يسجدوا له، أي أن يطيعوه. فأطاعوه، إلا «حارت». فإنه أبى واستكبر. (إشارة الى الآيات من سورة الأعراف): «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ .

«إن الباري خلقه كصورته، أي فرض طاعته على العالمين كطاعته»...  
والخروج من الجنة هو الخروج من الدعوة. وقيل أبو البشر. وهم  
الموحدون. قبلوا منه التوحيد فصار أباهم في الدين...

٢ - وتمضي الرسالة فتقول: وأما «آدم العاصي»، ويسمى الجزئي،  
الثاني الذي نطق القرآن به انه عصى ربه، فهو «أخنوخ»، حجة آدم الصفا.  
و«أخوه» الذي انتقل الى هجر للخدمة في دعوة أخيه... سُمي العاصي  
لعصيانه باغواء الشيطان. ولقبه «حوا»...

٣ -... «آدم الناسي» هو «شرخ»، ثاني حجة آدم الصفا. إسمه الآخر  
«شيت». لقبه الناسي، إشارة الى الآية: «وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ  
وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾» (سورة طه).

### قصة الجنة

اختار شطنيل أخنوخ وشرخ. وجعلهما مقامه في الدعوة. وأسكنهما  
«الجنة». «فصار أخنوخ بمنزلة الذكر. وشرخ بمنزلة الأنثى. وأوصاهما بأن  
لا يعبدوا غير مولانا البار». والبار هو اسم الله الذي تجلّى به في شكل  
الناسوت البشري في وقت شطنيل. وقال لأخنوخ: «اسكن أنت وشرخ الجنة  
(أي دعوة التوحيد). وكلّما منها (أي نالا المنزلة الرفيعة). ولا تقربا هذه  
الشجرة (أي لا تدعيا منزلة شطنيل) فتكونا من الناكثين». (إشارة الى الآية من  
سورة الأعراف: «وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اشْقَنَ أَنْتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ فَمَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ  
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾» .

### الأدوار

هكذا تمضي الرسائل في تفسير ما ذكر في الآيات والتوراة تفسيراً باطنياً  
فتقول مثلاً الرسالة ٣٦: «إن آدم المشار إليه قد كان قبله أعصار. وهم

الطم. والرم. والحن. والجن. والبن. وتفسر هذه الرموز. فتقول إنها شرائع ما قبل زمن التوحيد... فالبن مثلاً «قوم تخلصوا من الشبهات. وعرفوا المعبود فعبدوه...»... «والجن قد انعكسوا وحادوا عن المولى... الخ.

وإن الأدوار أو العصور هي الشرائع المتعاقبة من وقت آدم الى وقت حمزة. وهي:

١ - دور آدم: استمر ألف ومايتي سنة. وكان قد ظهر بعد التكوين بـ ٣٤٣ مليون سنة. وفي هذا الدور ظهر شطنيل كما ذكرنا.

٢ - دور نوح: ابن لامخ، سبط متوشالح. يفسر الطوفان بأنه شريعته التي غمرت الأرض. والفلك دعوته المنجية. استمر دوره ألفاً وخمسمائة سنة.

٣ - دور ابراهيم: الذي عاش في أور الكلدان بين عبدة الأصنام في حكم «نمرود» الذي ألقاه في النار، فكانت «برداً وسلاماً» (كما تقول الآية ٦٩ من السورة ٢١). وصحف إبراهيم مذكورة في القرآن الكريم.

٤ - دور موسى: كان في مصر ٤٨٠ سنة بعد يوسف الصديق. وكان خروجه بقومه من مصر في عهد «تحوتمس» الأول سنة ١٥٤٠ ق.م. كتب التوراة باللغة الآرامية ثم تُرجمت الى العبرانية (٥ كتب هي: التكوين. الخروج. اللاويين. الأعداد. أخبار الأيام)... وكان دوره أطول الأدوار (١٧٠٠ سنة). عاش ١٢٠ سنة؛ ٣٨٠٠ سنة بعد آدم.

٥ - دور عيسى ابن يوسف ومريم: ظهر ٥٥٠٠ سنة بعد آدم. صلب سنة ٥٥٣٤ شمسية (٥٧٦٣ قمرية) منذ عهد آدم، و٢٨٠ سنة بعد الاسكندر. ولم يُعرف إلا في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته، وقد عاش ٣٣ سنة و٣ أشهر. وطال دوره ٦٢٠ سنة.

وتقول الأسفار إن «المسيح» عليه السلام هو «يسوع» ومعناه المخلص. وتطلق عيه رسائل «الحكمة» أسماء عديدة. منها: «قائم الحق». «إمام

الزمان». «ملكوت السموات» . . . وسنفرد فصلاً خاصاً عنه بوضع نظرية الحكمة.

٦ - دور محمد ﷺ: إن دوره ﷺ، ورد كما هو معروف. تذكر الأسفار أن رفيقه كان سلمان، ابن ملك برهمي، ثقفه راهب أوصاه قبل موته أن يسعى الى نبي اسمه محمد، يظهر في مكة. وأنّ محمداً لما رآه لأول وهلة قال: السلام على من آمن بي منذ ٤٠٠ سنة قبل أن أولد. وكان سلمان الرفيق الأمين للرسول الأمين.

٧ - الدور السابع: به تنتهي الأدوار السبعة. والرقم ٧ له معنى رمزي. فالأدوار ٧. والسموات ٧. والمقامات ٧. والأئمة ٧، ولنأت على ذكرهم فيما يلي، توفية للموضوع.

## المقامات السبعة

المقامات، عند الدروز والإسماعيلية، هي الظهورات أو التجليات. وهي نفس الوقت إمامات.

١ - العليّ: تجلّى في ما تُسمّى الآن القدس.

٢ - البار: تجلّى في هجر. والمدة بين العليّ والبار ٣٤٣ مليون سنة.

٣ - أبو زكريا: ظهر في وقت السماء الثالثة، في آخر عهد البار، في بلاد الشام، سنة ٢٢٠هـ.

٤ - عليّ: ظهر في وقت السماء الرابعة، في بلاد الشام.

٥ - المعلّ: ظهر في وقت السماء الخامسة، في وقت الإمام المستتر عبدالله (السماء السابعة) في بلاد الشام.

هؤلاء الثلاثة الآخرون، معروفون أباً وابناً وحفيداً، من مقامات الستر.

٦ - القائم: كان طفلاً استودعه، مع سرّ إمامته، أبوه المعلّ برعاية سعيد المهدي الملقّب «عبيد الله» (ابن السماء السابعة) سنة ٢٨٠هـ. وكان سعيد في العشرين من عمره. هرب بالقائم من وجه العباسيين الى مصر سنة ٢٨٩هـ. فإلى شمالي أفريقيا غرباً سنة ٣٠٨هـ. فهو مؤسس دولة الخلافة الفاطمية في مصر. وهي امتداد للدولة «العبيدية» التي أنشأها «عبيد الله المهدي»، وسماها المؤرخون باسمه، في المغرب.

تلاه المنصور الذي حكم من ٣٣٤ الى ٣٤١هـ. (٩٤٦ - ٩٥٣م.) ثم

المعز من ٣٤١ الى ٣٦٥ هـ. وهما، مع القائم يُعتبرون، في المذهب، روحياً، ذاتاً واحدة.

٧ - العزيز: من سنة ٣٦٥ الى ٣٨٦ هـ. وأخيراً الحاكم (المنصور). وهما، في حساب المذهب، واحد. كقول الإنجيل: «أنا والآب واحد».

في الدور السادس المار ذكره ظهر الأئمة الظاهرون والمستترون. المستترون هم «السموات» ابتداء باسمعيل وانتهاء بعبد الله، سلالة واحدة خلافية من الأب الى الإبن، ومثلهم الإئمة الظاهرون، لمدة ١٨٠ سنة، وهم:

١ - علي بن ابي طالب، الإمام «المرتضى».

٢ - الحسن «المُجْتَبَى»، ولد سنة ٢ هـ. فلما قُتِل والدُه الإمام عليّ بايعه أربعون ألفاً من أهل الكوفة سنة ٤٠ هـ. ثم بعد سبعة أشهر تخلّى لمعاوية. ومات بالسّم سنة ٥٠ هـ. والإمامة عنده «مستودعة» لا مستقرّة.

٣ - الحسين (شقيق الحسن من فاطمة الزهراء) شهيد كربلاء، وهو بحساب الإسماعيلية، أبو الأئمة السبعة الباقين، ولكن أبو الاثني عشر إماماً، بحساب الموسوية «الاثني عشرية»، أتباع موسى «الكاظم»، أخى إسمعيل الإمام السابع، باعتبار أنّ الثامن هو عليّ «الرضي»، والتاسع محمد «التقي»، والعاشر علي «النقي»، والحادي عشر حسن «الزكي»، والثاني عشر محمد «الحجة» (بالتسلسل) وهو «الغائب المنتظر» أي المهدي الذي سيعود، وكانت مذهبهم جميعاً ٢٥٠ سنة.

٤ - علي، ابن الحسين الأصغر. فإنّ الإبن الأكبر قُتِل في كربلاء. لُقِّبَ عليّ «زين العابدين». مات بالمدينة سنة ٦٤ هـ. عن ٥٨ عاماً. ابنه زيد الذي تنسب إليه الزيدية باليمن.

٥ - محمد الباقر، ابن علي، مات بالمدينة سنة ١١٧ هـ. عن ٧٣ عاماً. إليه تُنسَب «الباقرية».

٦ - جعفر الصادق، ابن الباقر، مات بالمدينة سنة ١٤٨هـ. إليه تُنسب «الجعفرية».

٧ - إسماعيل، ابن جعفر، آخر أئمة الدور السادس. إليه تُنسب «الإسماعيلية» أو «السبعية» (نسبة الى هؤلاء الأئمة السبعة)، وهم القائلون بسبعة أئمة مستورين وسبعة ظاهرين. من هنا نشأت «الباطنية» والقول بأن لكل قول ظاهر وباطن. والموخدون - الدروز - يسمون الإسماعيليين الإخوان المقصّرين بعدما انفصلوا عنهم.

## الفاطميون (الباطنيون)

أقام «المُعَلِّ»، كما مرّ بنا، قُبَيْلَ غيبته، سعيداً المهدي وصياً على ابنه «القائم». وسعيد هذا هو الذي سُمِّيَ في المغرب عبيدالله «المهدي»، وإليه نُسبت دولة العبيديين. وُلِدَ بمدينة «سلمية» بالشام سنة ٢٦٠هـ. ابناً لإمام الستر السابع. فلَمَّا بلغ العشرين من العمر تسلَّم «القائم» وديعة من والده المُعَلِّ، وانتقل به الى المغرب، زاعماً أنه ابنه. هناك استطاع أن ينشر الدعوة في مأمن من الخلفاء العباسيين. وذلك بعد مغامرات كثيرة. ففي مصر، التي وصل إليها في سنة ٢٨٩هـ. كان تاجراً، وفي سلجماسة سنة ٢٩٦هـ. تَسَمَّى عبيدالله وَلَقَّبَ بأَمير المؤمنين، وكثر أنصاره وأعوانه ومريدوه.

تحذراً من العباسيين، وتحصّناً من عمالهم في تلك الديار، انتقل سنة ٢٩٧هـ. الى رقّادة في القيروان، وهي الى الجنوب الشرقي من تونس، حيث بنى مدينة سماها «المهدية»، واستقرّ بها، وهي شبه جزيرة، حصّنها بسور وأبواب من الحديد، سنة ٣٠٣هـ.

منها اتسع ملكه حتى شمل بلاد المغرب وصقلية، بعدما تغلّب على دولة بني الأغلب، عُثَمَالُ بني العباس على شمالي أفريقيا، سنة ٣٠٨هـ. فاستتبّ له الحكم من الأطلسي حتى حدود مصر، وأعلن أنّ القائم ابنه، وكناه «أبا القاسم»، وجعله وليّ عهده.

وكان «القائم» يقود الجيوش، سيّره بها المهدي الى مصر مرتين: سنة ٣٠١هـ. حيث استولى على الإسكندرية والقيوم، ورجع سنة ٣٠٢هـ. وثانية سنة ٣٠٦هـ. إذ استولى على دمياط والرشيد، وعاد الى المهدية.

وكان له في خلال ذلك أشياع في بغداد، والشام، ومصر، وخراسان،  
يوفد إليهم الرسل يدعون للفاطميين؛ متخذاً من الانتساب الى فاطمة الزهراء  
ابنة الرسول الحق بالخلافة دون بني العباس، وطالت خلافته ٢٥ سنة وثيف،  
وله من البنين ستة ومن البنات ثمان، وعاش ٦٤ سنة.

### القائم

انتقلت الخلافة الى القائم، فكانت مدتها ١٢ سنة و٧ أشهر وعاش  
القائم ٥٤ سنة و٧ أشهر، بإمامة ظاهرة، وهي السلطة، وإمامة باطنة في  
التأويل مجازية.

وكان القرامطة، في شرقي الجزيرة العربية، من أنصار القائم، وأشد  
الجماعات تحمّساً له، وكانوا قد ظهوروا في المشرق في عهده، يأتُمرون  
بأمره، على بُعد الشقّة.

يُروى عن هؤلاء القرامطة الذين ظهر مذهبهم في نواحي هجر في  
خلافة المعتضد سنة ٢٨١هـ. أنهم أغاروا على بغداد وقهروا المعتضد.  
وكانوا يقطعون طريق الحج، وينهبون، حتى امتنع الناس سنة ٣١٢ عن الحج  
خوفاً منهم. وأغاروا على مكة سنة ٣١٧ وأمعنوا في الحجيج سلباً وتقتيلاً.

### المنصور

هو الخليفة الثالث، ابن القائم، تولّى الخلافة سنة ٣٣٤هـ. وله من  
العمر ٣١ سنة. باسمه سُميت «المنصورية» التي بناها أبوه في مكان المعركة  
مع مخلّد بن كيداد الزناتي، تلك المعركة التي انتشرت بعدها دعوته واستمر  
انتشارها في خلافة المنصور الذي امتدت «إمامته» ٤١ سنة و٥ أشهر،  
وخلافته ٧ سنوات ساد خلالها الاستقرار في جميع أنحاء مملكته، وكانت  
«غيبته» سنة ٣٤١هـ.

### المُعزّ

تولّى الخلافة بعد أبيه المنصور. اسمه «مَعزّ»، وكنيته «أبو تميم». وُلِدَ

(الموخذون يقولون «وُجد») سنة ٣١٩هـ. ونشأ في «المهدية» الى أن بويع بالخلافة وله من العمر ٢٢ سنة. كان عالماً، له مؤلفات ومصنفات باطنية وتفسير قرآنية وحكم.

مدحه بقصائد من عيون الشعر شاعرُ المغرب الأندلسي «ابن هانيء». أشهرها قصيدته في فتح مصر، فيها تعريض بالعباسيين. فإنَّ المعزَّ، بعد ١٧ سنة من سني خلافته، سنة ٣٥٨هـ. وجَّه قائد جيوشه «جوهراً الصَّقْلِيَّ، فاستولى على مصر في خلال خمسة أشهر. انتزعها من «المطيع لله» العباسي الخليفة ببغداد، وأقيمت الخطبة فيها للمعزَّ، كما أقيمت بعد سنة في المدينة المنورة. بنى جوهراً القاهرة «المعزية»، وهو اسمها الأصلي، فدخلها المعزَّ بعد أربع سنوات من فتح مصر، واحتجب في قصره سنة، تولى خلالها الحكم ابنه «العزیز بالله»، المقام الرابع والخليفة الخامس.

### العزیز

«وُلِدَ» بالمهدية سنة ٣٤٤، وسُمِّي «نزار»، وكنيته «أبو المنصور»، ولقبه «العزیز بالله» عند توليه العهد بعد أربع سنوات من قدومه الى مصر مع أبيه. بُويع بالخلافة سنة ٣٦٥هـ. وبعد أربع سنوات أطاعه واستجاب لدعوته «عضد الدولة» البويهی بمدينة شيراز من بلاد فارس، وهو الملك الذي اشتهر بالقصائد التي نظمها في مدحه «المتني» وهي سبع قصائد من غرر شعره. كان القرامطة تحت طاعة العزیز، وعوناً له في بسط سلطانه على أقطار عديدة مدَّة خلافته التي استمرت ٢١ سنة، حتى سنة ٣٨٦هـ.

### المنصور

تولَّى الخلافة بعد أبيه العزیز، وعمره ١١ سنة. كنيته، «أبو علي»، ولقبه «الحاكم بأمر الله»، وهو سادس الخلفاء الفاطميين وخامس المقامات. اتسع ملكه، ودان لسلطانه معظم الأقطار الإسلامية في حكم استمرَّ ٢٥ سنة، قهر في خلاله بني العباس.

## الحاكم بأمر الله

«ظهر» الحاكم في القاهرة سنة ٣٧٥هـ. وحكم ٢٥ سنة من ٣٨٦ الى ٤١١هـ. في أثنائها لم نجد في سيرته، ولا في أقواله، انحرافاً عن الإسلام اللهم إلا ما تُسبب إليه من أطوار ظهر أغرب منها في بعض الخلفاء الأمويين، بل نجد فيها أدلة اعتزاز بإسلامه ونسبه الى الرسول، وإن هو انحرف عن السُنّة باجتهاد باطني في بعض الأحيان، ومارس فرائضها على طريقة خاصة به.

فمما يَروى عن إمعانه في نشر الإسلام، والغلو فيه، أنّه، خلافاً لما أوجبه الإسلام من سماحة مع أهل الذمة، يهوداً ونصارى، كان يُكرههم على الإسلام، حتى إنه هدم لهم هياكل وكنائس في سبيل إكراههم. ثم عاد فأمر ببنائها من أجل من أصرّ منهم على الامتناع عن الإسلام، وعيّن هوداً اليهودي ويونس النصراني وزيرين. ثم عاد فقلّتهما لأمر ما. كما أنه كسا الكعبة ثم منع كسوتها، ولكنه وقف الأوقاف، وبنى المدارس الدينية، وشاد دور العلم، وأجرى على العلماء والفقهاء والمحدثين الأرزاق والرواتب، وكان ميّالاً الى المذهب المالكي.

يقول «المقرئزي» في كتابه «اتعاظ الحنفا»: إنّ الحاكم أمر «أن لا يزداد على قولهم «السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته». وان لا يُصَلّي أحد عليه في مكاتبة ولا مخاطبة وان يُقتصر في مكاتبته على: «سلام الله وتحياته ونوامي بركاته على أمير المؤمنين». وفي خطبة يوم الجمعة «اللهم صلّ على محمد المصطفى، وسلّم على أمير المؤمنين المرتضى؛ اللهم سلّم

على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين؛ اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك...».

جاء في «السجل الذي وُجد معلقاً على المشاهد»، بعد البدء بعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم»، والدعوة إلى «التوبة إلى الله تعالى، وإلى الخليفة في أرضه أمير المؤمنين» والصلاة «على سيد المرسلين محمد المبعوث بالقرآن»... ما يلي:

«فاشكروا الله ووليّه... إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها. فعشتم في فضل أمير المؤمنين... ثم من نعمه الباطنة عليكم إحياءه لسنن الاسلام والايمان التي هي الدين عند الله... وبنى الجوامع، وعمر المساجد، وأقام الصلاة في أوقاتها، والزكاة، والحج، والجهاد، وعمر بيت الله الحرام. وأقام دعائم الاسلام. وخفر الحج. وحفر الآبار. وأمن السبيل. وعمر السقايات... ويحثكم على طاعته وطاعة رسوله وأوليائه عليهم السلام... وفتح لكم دار علم... فأعرضتم... ورفضتم العلم، وأظهرتم الجهل... إنّ الاسلام والايمان قد شملكم وجمعكم تحت طاعة الله وطاعة رسوله ووليّه أمير المؤمنين سلام الله عليه...».

ويُنهي «السجل» هكذا: «... كتبه مولى أمير المؤمنين سلام الله عليه في شهر ذي العقدة سنة إحدى عشرة وأربع مائة. وصلى الله على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين. وسلّم على آل الطاهرين».

ويصفونه بأنه كان، جباراً، هائل المنظر، مهيب الطلعة، ذا هبة ونظرات نفاذة، وصوت مجلجل مخيف، شديد المراس والسطوة، كثير الرحمة، عظيم الشجاعة والإقدام منذ تولّى الخلافة وعمره ١١ سنة.

كانت انتصاراته منذ حدوثه أشبه بالأساطير، فإنه كان يقهر جيشاً جراراً بفتنة من المقاتلة.

من ذلك ما يروى عن هجوم الوليد بن هشام، الملقّب «بأبي ركة»، بجيوشه على القاهرة بعد انتصاراته المتواصلة. فهزمه عندها «الحاكم» بحامية

صغيرة، هزيمة شنعاء لم يجد لها المؤرخون تعليلاً، كما هزم، بنصر مؤزر،  
جموع القرامطة الأشداء، الذين كانوا قد انقلبوا على الفاطميين بعد موالاتهم  
الطويلة.

الى جانب بطشه وقسوته كان متحلياً بالوداعة والتواضع والسهر على  
الرعية. فقد كان ينتقل وحده في القاهرة وضواحيها من دون مرافقين ولا  
حرس.

ويُروى عنه أنه عَلِمَ سنة ٣٩٣هـ. بأنّ عدوّه ملك الروم باسيل يحجّ في  
القدس متنكراً؛ فبعث إليه برقعة سرّية يُعرّفه بها أنه عالم بوجوده في بلاده  
وفي تناول يده، وأنه مع ذلك يهبه نفسه ويتركه يتم حجّه. فقد اتسم عهده  
كعهد والده بالتسامح؛ فلن «العزیز» رفع الى أرقى مناصب الكنيسة أحد  
المسيحيين من أعوانه، جعله بطريكاً في القدس سنة ٣٧٥هـ. وعين آخر  
مطراناً للقاهرة رقا «الحاكم» فيما بعد الى السّدة البطريركية بالاسكندرية سنة  
٣٩٠هـ. ومنح المسيحيين أماناً جاء فيه:

«هذا كتاب من عبد الله، وليّه المنصور أبي عليّ الامام الحاكم بأمر  
الله، أمير المؤمنين... لجماعة النصارى بمصر... أنتم جميعاً آمنون، بأمان  
الله عزّ وجلّ، وأمان نبيّه خاتم النبيّين... هذا على نفوسكم ودمائكم  
وأولادكم وأموالكم وأحوالكم وأملاككم... أماناً صريحاً... فثقوا به  
واسكنوا إليه... وكفى بالله شهيداً».

كما أنه أصدر قوانين لصيانة الأخلاق، فمنع العيب والمجون وخروج  
النساء ليلاً. ولصيانة الصحة منع مثلاً عجن الخبز بالأرجل، وشرب الخمر.  
ورغبة منه في تنمية الاقتصاد نهى عن ذبح البقر، مدّة، للإكثار من الماشية.  
وكافح الغلاء والاحتكار، وحدّد أسعار المواد الغذائية، وكان يشرف بنفسه  
على مصالح دولته، وينزل أشدّ العقوبات بالمخالفين، ومنع الناس من ذكر  
عبارة «سيدنا ومولانا» في المكاتبات، ومن تقبيل الأرض بين يديه، ومن  
تقبيل يده عند السلام عليه، ومن أن يصلّي عليه في الخطب الدينية، ومن

ضرب الطبول والأبواق حول قصره، ومن إقامة الزينات في طريقه الى المصلّى بجبل المقطم، إذ كان يخرج للصلاة في أبسط المظاهر.

و«عنيّ عناية خاصة بتنظيم القضاء وتطهيره من الرشوة»... وكان زاهداً في مال الدولة برغم ما تكدّس لديه من الأموال والثّحف. كان إذا كثرت أموال أحد رجاله أضافها الى خزائن الدولة.

اختفاؤه:

في اختفائه روايات كثيرة. منها أنه لمّا علِمَ بدنوّ الأجل جمع القضاة والعلماء والفقهاء والأمراء والقادة في قصره وأوصاهم بالطاعة وبموالاة جماعته، مستحلفاً إياهم «بحقّ محمد رسول الله ﷺ». . . وأنه خرج ليلة الاثنين، في السابع والعشرين من شهر شوال سنة ٤١١هـ. وحصل في ذلك اليوم كسوف الشمس. توجّه الى شرقي حلوان، ومعه ركّابان، أعادهما الى القاهرة ومضى.

وبعد ثلاثة أيام من انتظار عودته، وقد تعودوا منه مثل هذا الغياب، خرجت حاشيته الى دير القصر والمكان المسمّى «سلوان»، للبحث عنه، فوجدوا في ظاهر الجبل حماره الأشهب. ثم تبعوا الأثر، حتى انتهوا الى البركة والمقصة شرقي «حلوان»، فوجدوا عندها ثيابه، وهي مزوّرة، لم تُحلّ أزرارها.

أما ما يؤمن به أتباعه وما ورد عن تلك النهاية فإننا نكتفي منه بما ورد في الرسالة ٧٣:

تقول عن غيبة الحاكم بعد «التجليّ»: إنه «احتجب بنوره عن خلقه، فلم يُقتَف له أثر، واستتر لغيبته وليّه وصفيه (أي حمزة)، وخلف دعاة».

وفي الرسالة ٧٦ يُنسب إليه القول التالي:

«... واعلموا أنّ غيبتني عنكم غيبة امتحان لكم ولجميع الأديان، فمن وفى منكم بما وُثق عليه، ولم ينكص على عقبيه، فسأوتي أجراً عظيماً.

## موقف الدرزية من الأنبياء والأديان كافة

للتوحيد غايتان متكاملتان: الواحدة سلبية والاخرى ايجابية. أما السلبية فقوامها كما ورد في «ميثاق ولي الزمان» البراءة من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها. «كل من لا ينصرف عن سائر الاديان ويدير عنها بالكلية بعقله ونفسه وفكره وحسّه انصرفاً كاملاً لم يقدر على الاقبال بالكلية على عبادة الحاكم سبحانه...». ومتى تبرأ الموحّد من هذه المذاهب يصح له الوصول الى التوحيد. لقد كان العمل بالمذاهب في دور الستر مقبولاً لأجل التوحيد الكامن فيها لا لأجل نفسها. فلما جاء أوان كشفه، ظهر الامام المنتظر، قائم الحق، المؤيّد من ربّ العالمين... واستغنى بنفسه عن كل المذاهب كاستغناء الحبة عن السنبلة لان الحبة تحتاج الى السنبلة في أوان نشوئها.

فدعوة التوحيد اذن، «هي آخر الدعوات، وهي ناسخة لجميع المذاهب والانتحالات» (الرسالة الموسومة بواحد وسبعين سؤال).

من هذا المنطلق، يجدر التوقف على معتقد الدروز في الانبياء والاروصياء والاديان ولا سيّما نظرتهم في محمد ﷺ وعلي (عليه السلام) والشرعة الاسلامية.

### بطلان الانبياء والأوصياء والشرائع كافة

من آدم الى محمد بن اسمعيل، مروراً بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) ومحمد بن عبدالله ﷺ، وجميع الاسس من هابيل الى ابن

القдах... «لم يَقم نبيّ أو وصيّ يدعو دعوة التوحيد الحقيقية» (السيرة المستقيمة) لان جميعهم «الناطقاء» (الانبياء) والاسس (الأوصياء) طمسوا معالم التوحيد وخانوا في تأدية أمانته» (تفسير رسالة كشف الحقائق). لقد انتهت أدوار الانبياء، «وبطلت دعاويهم لانها تمويهات على الامم، وغير جائزة إلاّ على أشباه البقر والغنم» (رسالة السفر الى السادة). إنّ البارئ تعالى أمر قائم الزمان بأن يترك الموحدون كل ما جاء به الانبياء المتقدمون.

وقد علم كل ذي لب أنّ أصحاب الشرائع قد قطع كل منهم شريعة من تقدّم قبله... وقد حلّلوا سبي بعضهم بعضاً وهلاكهم واستئصال شأفتهم». «علم كل ذي لب ان الاختلاف ليس للامم، وإنما هو لأصحاب الشرائع، لان كل واحد منهم أمر أمته بجهاد الامة الاخرى وقتل بعضهم بعضاً» (رسالة التبيين والاستدراك).

وبالنتيجة، إنّ الأوصياء هم، كما تسميهم «الحكمة» أبالسة الزمان وأبالسة الأدوار، وأبالسة الدين، ودجاجة العصور (التقريع والبيان). وجاء حمزة قائم الزمان «لتنكيس اعلام الباطل، وهتك عقائد الملبّسين، والقاطع لشِرْع الفراعنة والابالسة المكذّبين... الجاحدين» (القاصعة للفرعون الدعي).

جميع الملل والنحل والمذاهب باطلة من أساسها. وعلى قائم الزمان أن يقضي عليها وينقضها بتمامها. وإن لم يتمكّن منها في هذا الدور من التاريخ، فإنه سيكون له ذلك، بعون الله، في نهاية الازمان: «في اليوم الاخير، إذا تبلّج صبح الليلة الغراء، وانقشع ظلامها... وتهدّمت أركان النواميس... عند ذلك تهتز الممالك» فيتم، بالقضاء عليها، خلاص العالم (الايقاظ والبشارة).

لَمّا ظهر قائم الزمان، جعله البارئ تعالى «قاطعاً لمضلات النواميس، وماحقاً الشرائع في أقطار الأرض». يقول الأمير السيد: «إنّ الشرائع كلّها ماتت لَمّا طلعت روحها، وروحها هي الحكمة التوحيدية التي كانت مدفونة

فيها» وهذه الشرائع الناموسية الشريكية ولّت وانقضت زمانها والشرعة التوحيدية أقبلت وأضاء شهابها (تفسير كشف الحقائق). لذلك لا بد من الخروج منها ومن ظلمتها الى النور والحقيقة وفسيح التوحيد. فلا يمكن لإنسان أن يعرف الله وما في الوجود من خير ان لم يمتنع عن الشرائع كافة.

اليهودية في العقيدة الدرزية:

اليهود بحسب ما تصفهم «الرسالة الموسومة بالاسرائيلية الدامغة لأهل اللدد والجحود، أعني الكفرة من أهل شريعة اليهود» (٦٢٣/٧٢ - ٦٣٥)، لم يؤمنوا بمجيء المسيح المنتظر، وقد تكلم عليه أشعيا وأرميا وملاخيا وسفر المزامير. فلذلك هم ما «هم عليه من الالحاد والبلس». لقد قصروا عن معرفة التوحيد، وما فهموا ما جاء في التوراة من كلام على المسيح الحق، لذلك يقيم عليهم بهاء الدين المقتنى الحجة، «وبين عوار مقالاتهم من أصول متعبداتهم» ويتهمهم بقوله: «وهل لكم حجة في غير التوراة إلا بما تكذبوه، وتصوّروه لأنفسكم، وتختلقوه! ويؤمّوه به رؤساء ضلالكم على ضعفائكم ويخرفوه».

وتستخف رسائل الحكمة باليهود، لانهم لم يعرفوا التوحيد الصحيح، ولانهم كبّلوا أنفسهم بعبادة لا تنفع ولا تجدي، ف«مبلغ أفهامهم في معرفة التوحيد كمبلغ المضغة من خلق الانسان».

وإذا كان اليهود يعتقدون بشيآت شريعة موسى ودوامها، وانه لا شريعة بعدها، فعليهم أن يفهموا بأن العلة التي أوجبت إرسال موسى بعد نوح وإبراهيم توجب أيضاً إرسال أنبياء بعد موسى. فلماذا يعجزون الله في إرسال الرسل بعد موسى؟! علماً بأن موسى نفسه وعدهم بمجيء أنبياء عديدين بعده. «اليهود يتحققون من التوراة ان موسى عزّهم ويشرهم بمجيء المسيح عيسى ودلّهم عليه... وقد دلّتهم التوراة على ذلك، ودلّهم أشعيا وأرميا وحزقيال... فجحدوا ذلك، وعموا عنه، وأنكروه، وتبرأوا منه، ففضحهم ملاخيا وسفهمهم ولعنهم».

وهكذا، عل هذا المنوال، يذهب بهاء الدين المقتنى الى القول بأننا «ندحض حجة اليهود، ونبيّن عوار مقالاتهم، ونقيم الحجة عليهم من أصول متعبداتهم»، ونبيّن ما هم عليه من الإلحاد والبلس من التوراة التي زعموا انهم يتعبدون بأوامرها ونواهيها»، «فإلى أي مذهب ترجعون، وبأي حجة تحتجون، وبأي دين تتدينون».

«والحق أولى انكم تعرفون انكم تحت غضب الباري الى يوم تعاقبون، وتحت القهر واداء الجزية والذلة والمسكنة، وليس لكم رئيس ترجعون إليه، ولا وزير تتكلون في أمر دين ولا دنيا عليه. فانتم في أحوال الدنيا أذلاء مقهورين، وبسبب الدين تحت الباري ملعونين». «أنتم أيها اليهود وجميع الامم قد قامت عليكم حجة الولي المنتظر (أي حمزة)، وأنتم في الاجابة محيرون، وعن قليل ترون عين اليقين وتندمون... وقد بلغت الغرض، وأدبت المفترض».

بهذا الاسلوب العنيف ينقض بهاء الدين على اليهود الذين جحدوا الحق، وضلّوا السبيل، وبيّن ومن شريعة موسى وتقصيرها. ويفند أقوال الانبياء الذين «كانوا يشيرون الى توحيد العدم، ولا يعرفون المولى جلّ ذكره».

سأل الجاهل: «وموسى بن عمران كيف نستقر به انه نبي؟ وهل هو نبي أم لا؟» أجاب العاقل: «انه رجل ذو عقل ثاقب، ورأيه صائب. أهدي أمته بعقله، لانه كان يطيع كلام مولانا، ويكتب ما يرده منه، ويفهم ما هو محرّر عندنا، ويسدق (يصدق). وكانت أمته تحت أمرة مولانا» (تعليم الدين الدرزي).

ومع هذا يقابل الدرّوز اليهود ببعض التسامح. ولا يلعنونهم إلا عشرين لعنة. وعذابهم في الآخرة انهم «يقون تحت العسر والتعب عند الموحدين. ويلبسهم الله طرطورا من جلد خنزير، طوله ذراع. وفي أذن كل واحد منهم حلقة من الزجاج الأسود بالصيف تحرقه مثل النار وبالشقاء تبرده كالثلج».

## المسيحية في العقيدة الدرزية

كتب بهاء الدين المقتنى، أحد الحدود الدرزية الخمسة، ثلاث رسائل تتناول موقف الدروز من المسيح والانجيل والدين المسيحي. الأولى تحمل رقم ٥٣ واسمها «الرسالة الموسومة بالقسطنطينية، المنفذة الى قسطنطين متملك النصرانية»، صفحة ٣٨٢ - ٣٩٩ من رسائل الحكمة، والثانية رقم ٥٤ واسمها «الموسومة بالمسيحية وأم القلانك النسكية وقامعة العقائد الشريكية»، ص ٤٠٠ - ٤١٦، والثالثة رقم ٥٥ واسمها «الرسالة الموسومة بالتعقب والافتقاد، لاداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد»، ص ٤١٧ - ٤٣٢... وهناك أيضاً فقرات عديدة في مجمل «رسائل الحكمة»، وفي «تعليم الدين الدرزي»، والقواميس الدرزية، والشروحات الحكمية.

وعلينا أن نعرف ثانياً أن الانجيل الذي وضعه الانجيليون الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، هو من وحي المسيح الحق «الذي هو سلمان الفارسي في دور محمد، وهو حمزة بن علي» في دور الحاكم. وتعاليم الانجيل كلها صدق (أي صدق)، جاء بها المسيح الحق، وهي تتكلم عليه، وتصف حاله، وتبين أفعاله... إلا أن المسيحيين لم يستطيعوا فهمها، ولم يعرفوا مدلولها. لقد غفلوا عما ترمز إليه، وقصروا عن فهمها الحقيقي، وعن تأويل معانيها الباطنية، وتخلفوا عن مضمونها الصحيح الذي يرمز أولاً وآخراً الى حمزة بن علي. وقد قصد بهاء الدين في الرسالة ٥٣، لا الرد على المسيحيين، بل ليعرفهم، من نصوص الانجيل، الزلل الذي ارتكبوه في تفسيرهم المغلوط.

أما الانجيليون الأربعة فيوحنا، وممثوله في الدرزية النفس أي اسمعيل التميمي، ومرقس وممثوله الكلمة أي محمد القرشي، ومتى وممثوله السابق أي ابو الخير سلامة، ولوقا وممثوله بهاء الدين المقتنى. هؤلاء «كانوا يمشرون بقدوم المسيح الحق». هؤلاء أيضاً، مع العقل الذي هو حمزة، هم حدود الدعوة التوحيدية المكثى عنهم في الانجيل بـ«العذارى الحليمات

الخمسة"، فيما العذارى الجاهلات الخمس يمثلن حدود الشريعة التكميلية الابليسية.

والمسيحيون، على ما يبدو، لم يفهموا من الانجيل شيئاً بل لم يدركوا أن كل ما جاء فيه إنما يعني حمزة مباشرة، ولكنهم، لجهلهم، قصروا عن كنه مدلولاته، وتخلّفوا عما يجب أن يأمنوا به، لذلك اتهمهم بهاء الدين بقوله: ان «شرعة ايمانكم تشهد عليكم بالغفلة والتقصير، وتسمكم بسمه أهل التخلف والتعذير، وهي التي اجتمع عليها رؤساء النصرانية» (تعليم الدين الدرزي).

ثم يتوجه إليهم بهاء الدين بقوله، «الى جميع فرق النصرانية، يا أيها الأمة الهالكة لجهلها وعصيانها، والفرقة الخائبة لغفلتها ونسيانها. انتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء اولئك الذين قتلوا الانبياء وأنتم مقيمون على صنعة آبائكم أيها الثعابين، وأنتم أولاد الأفاعي».

وسبب هذا التهجم هو ان المسيحيين، برأي بهاء الدين، لم يفهموا مقصود الانجيل المبنى على حكمة إلهية، باطنها دليل دين التوحيد. على هذا كان على المسيحيين أن يفهموا، مثلاً، قول الانجيل: «من مصر دعوت ابني» (متى ١٥/٢) إنما هو يقصد حمزة ابن علي أيام الحاكم، وأن يفهموا بـ«المذبح» حيث تذبح فيه عقائد النواميس، ونحل المشركين، وأن يفهموا بـ«البيعة ميثاق من استجاب الى دعوة التوحيد التي هي الكلمة المتحدة بالسيد المسيح الذي هو حمزة»، وأن يفهموا بقول الانجيل «ليس لأحد يعمل شيئاً سراً. فأظهر نفسك للعالم» (يوحنا ٤/٧)، إنما يعني ذلك «ان وقت حمزة بن علي المسيح الحق عرف تلاميذه ان وقته الذي يشهر فيه كلمة التوحيد لم يتم ولم يبلغ. أما وقتهم (اي وقت تلاميذه) الذي لم يعرفوا فيه كلمة التوحيد فمهيأ في كل حين»، وأن يفهموا بقول المسيح «ينبغي لي ان اعمل أعمال من أرسلني ما دام النهار، فانه سيأتي الليل الذي لا يستطيع الانسان فيه العمل» (يوحنا ٤/٩). اما دعوة حمزة المسيح الحق الى النهار فهي دعوة التوحيد».

ومثل المسيحيين في فهمهم الملتوي لنصوص حكمة الانجيل كمثل حيوان بهيم في بلهه وعماه. قال عنهم بهاء الدين: «فمثلكم أيها الفسقة في الصمم والبله والعمى كالبهيمة البهماء». وهم، بالتالي، «صم عن سماع الصدق»، و«أشباه بلا أرواح لبلههم. يستحسنون البلادة والجهل، ويستهنون الفضل والعقل». ويتحمل رؤساؤهم مسؤولية ما لفقوه لهم من نواميس كاذبة.

لهذا السبب آن لدولة المسيحيين المؤسسة على الباطل أن تبطل، وحن لشريعتهم ان تنحل. قال بهاء الدين: «قد آن لأيامكم الانقراض والانصرام. ولكم الاجتثاث (الاقتلاع) بما ارتكبتموه والانتقام». و«آن اضمحلال الباطل وتلاشيهِ... وقد حان الانقراض لدولتكم أيها الظلمة، واستئصال شأفتكم لكفركم وفسقكم». ها «قد عصفت بكم على يده (يد حمزة) أرياح الفناء والوبال، وأذنت دولتكم بالبور والزوال، وتهذمت أركان شريعتكم بالنقض والانحلال، المؤسسة على التدليس والسخرية المكذوبة».

وفي الآخرة، سيأتي حمزة، ويضرب المسيحيين ضربة قاضية، هم الذين «اغتروا بالظفر بأجناد الشام»، وأذاقوا الدروز مر العذاب، وأجبروهم «بالصبر على المحن أفواجاً أفواجاً»... «سيحل بهم الذل الشامل، والسيف الصارم القاتل. وتطأهم بأخمصته كتائب الملك المظفر المسعود (حمزة)، ويرجعون الى لبس الغيار، ويكونون بلا رئيس كالمجوس واليهود» هذا معنى قوله في الانجيل «انه مزعم أن يأتي في مجد أبيه ليجزى كل امرئ بحسب عمله».

يعترف الدروز بأن «الانجيل حق من قول المسيح الحق»، وانه «مبني عل حكمة إلهية» ولكن من حيث ان الدروز يلزمهم الاستتار بدين الاسلام، حلل لهم الاقرار به، كما حلل لهم القيام بصلاة المسلمين.

## الاسلام في العقيدة الدرزية

أو

### بين العقل والنبي

في الحكمة الدرزية «الناس ثلاثة أجناس: فأهل الظاهر يقال لهم مسلمون وأهل الباطن يقال لهم مؤمنون، وأهل قائم الزمان يقال لهم موحدون». وورد في مكان آخر: «الاسلام باب الايمان، والايمان باب التوحيد، لان التوحيد هو النهاية الذي لا شيء أعلى منه» (البلاغ والنهاية). وهكذا ينقسم الناس في عصرنا الحاضر الى ثلاثة أجناس او ثلاثة أديان:

١ - أهل الظاهر، سمّوا كذلك لانهم يعتمدون على ما جاء في القرآن على ظاهره، أي دون تأويل أو اجتهاد في فهم حقيقته. هم اذن «اهل السنة»، وأكثر ما تسميهم رسائل الحكمة «النواصب» الذين ناصبوا العداء والشتم لعلي بن ابي طالب.

٢ - اهل الباطن، سمّوا كذلك لانهم يعتمدون على باطن الحقيقة المتضمنة في القرآن. وسمّوا أيضاً أهل التأويل لانهم يؤولون ويجهدون في نقل المعاني الظاهرة في الآيات القرآنية الى معان مجازية حقيقية.

٣ - أهل التوحيد، او الموحدون، او «أهل المعرفة» او «الاعراف» او «بنو معروف». اما اسمهم المعروف في التاريخ وهو «الدروز» فلا اثر له اطلاقاً في الحكمة.

وتنطلق رسائل الحكمة في وصف الظاهر والباطن، وتدعو الى التخلص منهما نهائياً، فتقول ان مولانا «أسقط الظاهر كما اسقط الباطن، إذ جعلهما في الحد سواء فنظرنا الى من يخلصنا من الشريعتين سريعاً ويدخلنا جنة النعيم التي هي دعوة القائم قائم الزمان. الكفر والشرك هما الظاهر والباطن». وأبرز دليل على فسادهما تكفير أصحابهما بعضهم بعضاً: «أهل الظاهر وأهل الباطن كاذبان لا نجاة فيهما، بل النجاة في

الحكمة الاخرى التي هي توحيد الحاكم جلّ جلاله» (تفسير رسالة كشف الحقائق).

### موقف دروز اليوم من الاسلام

إنّ موقف الدروز المعاصرين من الاسلام والمسلمين، لمثير للدهشة والغرابة. فالكتب الدرزية المعاصرة مشحونة بالمغالطات حول هذا الموضوع. إنّ الدروز لا يفتأون يعلنون انتماءهم الى الاسلام ويفاخرون بذلك. وفي ثنايا الكتب الدرزية المعاصرة محاولات كثيرة لتبرئة الدروز من تهمة المروق عن الاسلام، وذلك تبعاً لمبدأ «التقية». وقد تبعهم في هذه المحاولة بعض المسلمين.

فها هو الدكتور محمد علي الزعبي في كتابه «الدروز، ظاهريهم وباطنيهم»، يصرح قائلاً: «ان النحلة المتفرّعة من دين لا تسقى ديناً، بل مذهباً، فالعلوية والدرزية مثلاً، مذهبان من مذاهب الاسلام، لا دينان». إنّ الموحدين فرع من الشجرة الاسلامية، وغصن من الارومة العربية، وإنّ الاكثية المطلقة من الموحدين حافظت على أركان الاسلام العملية... بريئة من التأويل الملتوية. وروح الدكتور يناجي الاسلام: «الاسلام. ما أعظم هذه الكلمة. ما اسمى هذا التوجيه. إنّ الاسلام صديق العقل السليم وزميل المنطق المستقيم... علينا - نحن الموحدين - المتخذين قدوتنا رسول الله ﷺ وأصحابه الاول الذين لا نزال نفتخر بعصر خلافتهم الذهبي...». ولا يتردد الدكتور في نسبة أقوال الى حمزة: «لا خالق ولا معبود إلا الله، لا نبي ولا رسول بعد سيدنا محمد ﷺ». ويتابع الدكتور قائلاً بأنّ حمزة كان لا يبرح «يسهر على القيام بأركان الاسلام، وان إيمان المسلم على مقدار تمسّكه بهذه الأركان. هذا هو الفهم الكامل الذي يطلبه حمزة من مسلمي وادي التيم وغيرهم».

وهناك أيضاً حافظ ابو مصلح الذي يردّد في كتابه «واقع الدروز». إنّ الدروز ينظرون الى المسلمين كإخوان لهم... وكان الدروز بالرغم من كل

الافتراءات التي كان يلقيها عليهم المسلمون الجاهلون لا يتنكرون للاسلام، ولا يحاولون المساس به».

فالدكتور محمد كامل حسين، رغم تأكيدده على خروج الدروز عن الاسلام، يعود في خاتمة كتابه ليعلن مع عارف النكدي «بأن الدروز مسلمون، كانوا ولا يزالون، وانهم لو لم يكونوا كذلك، لصيرتهم عربيتهم مسلمين»، ويعترف مع أمير البيان العربي الامير شكيب ارسلان «بأن الدروز فرقة من الفرق الاسلامية... ويحفظون القرآن» (طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها).

والأخطر في كل هذا، فتوى صدرت عن جامعة الأزهر تعلن حقيقة اسلام الدروز. لقد جاء فيها: «وحيث ان طائفة الدروز، ينطقون بالشهادتين، ويؤمنون بالقرآن... فهم مسلمون... ان اتهامهم بعدم الاسلام يشير الفرقه بين الجماعة الاسلامية...».

يبدو لنا، من خلال ما أوضحنا ان «التقية» هيمنت على الجميع. فالدروز يمارسون «التقية» على المسلمين ليحفظوا كيانهم، والمسلمون يمارسون «التقية» على الدروز ليربحونهم في حظيرة الاسلام.

وبالنتيجة، إن جميع الدروز يتنكرون، في الظاهر، لـ«رسائل الحكمة» التي سماها الزعبي «الرسائل الطارئة» ويعتمدون مثله «الرسائل - السجلات الأربع». وأسهل طرق التنكر، عند الجهال من الدروز، القول بأن هذه الرسائل ليست لهم، وهم لا يتعرفون عليها إطلاقاً.

### العلوية في العقيدة الدرزية

منذ البدء كانت العلاقة بين الدروز والعلويين متوترة وسيئة. فهم على كونهم يؤلفون أقليتين مضطهدين من الأكثرية المسلمة، اضطهدوا بعضهم بعضاً، منذ نشأتهم. وشَرَّ الاضطهاد هو القائم على العقيدة والدين. هذا لن يستطيع التاريخ محو آثاره، لأنه مسجل في الكتب المقدسة نفسها.

وهي تدلّ على احتكاك مباشر بين الشعبين، وعلى ان كلاً من

الجماعتين اطلعت عن كُثْب على مذهب الاخرى . وقد حدث هذا الاحتكاك في جبال السَّمّاق بالقرب من حلب ، وفي بانياس الجنوبية ووادي التيم . وكان نتيجة ذلك أن هجر الدروز جبال السَّمّاق تاركينها لأعدائهم ، وأن هجر العلويين جنوبي سوريا مخلّين مواقعهم للدروز ، (العلويون النصيريون لأبي موسى الحريري) .

## نتيجة المجابهة بين الدرزية والاسلام

### محنة الدروز وشدة الاضطهاد

إن موقف الدروز من الاسلام والمسلمين أورثهم المحن والاضطهادات. لقد شنَّ المسلمون عليهم حرباً ضروساً بقيادة الخليفة الفاطمي «علي الظاهر». غاب الحاكم الى الأبد، وغاب صفته حمزة وسائر الدعاة، وتحمل بهاء الدين المقتنى عبء الدعوة وقيادتها بصبر وألم ودموع. وقد عبر في رسائله عن مآسي الموحدين والنكبات التي حلت بهم.

لقد شهد حمزة العداوة الشرسة ضد الموحدين يشنها عليهم أهل الأديان والمذاهب كافة فقال: «إن أهل الشرائع يرون محبة الأعداء كافة، ولا يرون محبة رجل موحد».

بيد أن قائم الزمان، قبل غيبته الاخيرة، صرح بضرورة المحنة لانها تزيد الموحدين إيماناً وصفاءً و يقيناً: «من كان مؤمناً بالغاً في دينه، صادقاً في قوله، صحيحاً في فعله، كلما زاد الزمان امتحاناً، زاد في نفسه يقيناً وإيماناً...» (رسالة الرضى والتسليم).

وينصح حمزة أتباعه بالصبر وبأن يكونوا مستعدين، لأن المحنة سوف تنقلب على أعدائهم: «كونوا أيها الاخوان على هبة من أمركم، ولا تظنوا الذي أنتم فيه شراً لكم، بل هو خير لكم...»

أما بهاء الدين المقتنى فإنه يسهب في وصف المحن المريرة، والضحايا الكثيرة التي تكبدها الدروز.

ويتابع بهاء الدين وصف ما حلّ بالموخدين في كل مكان، ويشير الى اتساع الاضطهاد من الاسكندرية حتى انطاكيا. ورغم هذا بقي الدروز صابرين صامدين. «لقد قاتلونا بأسلحتنا من حيث أمنا على النفوس» (رسالة الحقائق والانذار).

ويحدثنا بهاء الدين عما لحق به شخصياً من أذى وشقاء. لقد تهجر عن القاهرة ومُنِع التبرّك بحرّمها. ويتابع قائلاً: «تعذّرت علينا الطرق والمسالك، ونحن من أهلنا على شفا جرف المصائب والمهالك» (رسالة الجبل الانور).

لم تكن هذه المحنة إلاّ لتشدّد من عزيمة بهاء الدين وتزيده صبراً وقوة، فراح يهيب بجميع الموحدين الى الاقتداء به وتحمل الاضطهاد بإيمان ثابت، ضارعاً الى الله بقوله: «اللهم، اللهم... اللهم الصبر لأهل الحق على هرج الشيطان ومتبعيه» (رسالة ايضاح التوحيد).

وبسبب اشتداد المحنة والاضطهاد أغلق باب الدعوة. فمن دخلها بقي فيها الى الابد، ومن لم يدخلها بقي خارجاً عنها الى الابد. والذين صمدوا جلبوا الرحمة عليهم وعلى أولادهم وأولاد أولادهم الى أبد الأبدين. «أيها الاخوان... تقربوا الى وليكم بصالح الأعمال، قبل غلق أبواب الرحمة وختم الأفواه وقطع الكلام...» (تويخ سكين ٧٨/٧١٤).

## التقية

وكما ان الصدق واجب وفرض مقدّس فيما بين الموحّدين، فإنّ الكذب هو أيضاً واجب مقدّس مع غير الموحّدين. تقول الحكمة: «اقبلوا الحكمة يا أهل الحكمة، وأديموا المواظبة على حفظها وصيانتها على غير أهلها» (رسالة الرشد والهداية).

أما الأسباب التي دعت الدروز الى التقية فهي، كما يصرّح عبدالله النجار، «صيانة لأنفسهم من الاضطهاد ووقاية لها من العدوان» أما السيد كمال جنبلاط فيردّ التقية الى عدم توفّر الاهلية الروحية والاستحقاق الخلقي عند عامة الناس، كما ينقل إلينا حذر الكتب المقدّسة في ذلك فيقول: «تحظر الكتب المقدّسة على الصديقين الروحانيين ان يتحدثوا عن الحقيقة كما هي... لأن الحقيقة تتشوّه من جراء ذلك...» (اضواء على مسلك التوحيد). بيد أنّ جنبلاط يعود فيتأرجح بين السرية الواجبة وبين وجوب تجنّب عزلة فكرية فيما بين المشايخ وعامة الناس، فيقول: «وكيف يتسنى لمن لا يعرف شيئاً عن مبادئ دينه العامة أن يسترشد به وأن ينطبع بقالبه، وأن يتسبب روحياً، وحتى اجتماعياً إليه، دون أن يتجاوز أحد حدّ ما لا يحق كشفه إلا للمتعبّدين الصديقين والصالحين المحترزين أي للمريدين». أما الدكتور سامي نسيب مكارم فيعتبر أنّ صيانة الحقائق في مسلك التوحيد هي أصل واسع رئيسي، لا نهج طارئ، أي ان السرية هي بالاصل عقيدة سياسية في مسلك التوحيد. (أضواء على مسلك التوحيد).

يتضح ممّا سبق، أنّ الحقيقة، عند الدروز، تتأدّى من شيوعها. لذلك

فرضت عليها التقية وضرب حولها حصار منيع لكي لا تنكشف على عامة الناس. «فدين التوحيد لا يصح ولا يكمل إلا بالمساترة، كما لا يصح للنظر في المرأة أن يرى وجهه إلا بطمس الجهة الاخرى» (في شرح ميثاق ولي الزمان).

هذه «المساترة» مارسها الدروز عبر تاريخهم، والشواهد كثيرة: منها تصرفات الشيخ سعيد جنبلاط مع مسيحيي دير القمر في حوادث ١٨٦٠. تؤكد المصادر الروسية: «كان الشيخ سعيد يعقد اجتماعات سرية في مقره في المختارة... قبيل وقوع الاصطدامات بين الدروز والموارنة، نصح القنصل الانكليزي الشيخ سعيد جنبلاط بعدم القيام بأعمال سافرة كي لا يفضح نفسه. وقد نفذ الشيخ هذه النصيحة بدقة، فامتنع عن المشاركة بالأعمال الحربية، وحتى أنه أرسل أغذية الى دير القمر... ولكنه كان يقود سراً جميع العمليات الحربية ضد المسيحيين».

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل الاطلاع على أسرار الحكمة يزيدنا غنى أم يفقرها؟ هل من الحكمة أن يكون أصحاب الحكمة مغلقين على غيرهم؟ إن الحكمة تربأ بأصحابها عن أن يمنعوها عن سائر البشر، ويوصدوا عليها الأبواب، ويحجزوها في جهلهم. لمن شأنها أن تضع نفسها في خدمة الجميع وأن تكون لصالح الجميع، لا أن تقتصر على قسم منهم، ويمنع القسم الآخر من ورود مناهلها. ففضيلة إعلان السر تعادل فضيلة كتمانها، بل قد يكون إعلانه أكثر جدوى من كتمانها، لأن الخير العام هو في أن يعرف الناس سر خلاصهم، وأن يتبادلوا هذه المعرفة وينمّوها بتحطيم الحواجز والعوائق فيما بينهم...

لمن الواجب على بني معروف أن يفتحوا أبواب دعوة التوحيد لجميع الناس، مهما كلّفهم الأمر ومهما كانت النتيجة. إنه خير لهم أن ينزلوا الى مستوى الانسان ليرفعوا إليهم كل إنسان يرجو نيل الحكمة والخلاص.

## استعمال الرموز والتأويل

وقد لا تكون التقية كافية لكتمان سر الدرزية وكتبتها، وقد تقع «الحكمة» بين أيدي أناس غير جديرين بها، فأُتي «بالرموز» وقاء آخر وحماية أخرى، يتقي بها الدروز شر «الأضداد».

إنَّ ما سُمِّي في القرآن والانجيل «امثالاً»، سُمِّي في الدرزية «رموزاً». فالمدلول واحد بينما المقصود يختلف بل هو النقيض تماماً. فالأمثال في القرآن والانجيل كانت من أجل ما كان خفياً، أما الرموز في الحكمة الدرزية فهي للتمويه والتستر...

الغاز الحكمة:

إنَّ التقية أوجبت على الدروز التفاهم فيما بينهم بواسطة الرموز والإشارات. وقد تكون الغاية من هذه الرموز تعرّف الدروز على بعضهم بعضاً في حضرة الأضداد.

وهكذا بالرموز يتعارف الدروز، وبالرموز يتميزون، وعلى تفسير الرموز يجتمعون، وبالرموز يتجنبون شر الأشرار وخطر المضطهدين. وقد يكون العلم الحقيقي في الدرزية هو علم فك الرموز، كما أنَّ العلم عند المسلمين هو «علم الكلام».

سيف الانتقام والاخلد بالثار

لمجابهة العداوة الشرسة التي قامت في وجه الدروز، ردّ هؤلاء بطريقة سلبية معتمدين التقية والسرية والرموز والصبر على المحنة.

وكثيراً ما تستهل «رسائل الحكمة» أو تختتم بهذه العبارة التي تصف قائم الزمان حمزة بأنه «هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين والمرتدين بسيف مولانا، سبحانه». ومن جملة وصايا حمزة لمقام الرضى قوله له بتوصية الموحدين بحمل السلاح دفاعاً عن أنفسهم وعقيدتهم. وبهاء الدين المقتنى يذكر الموحدين بأمر من السجل المكرم بحمل السلاح في كل مكان.

وقد يكون السيف هو الوسيلة الوحيدة للدفاع عن دين التوحيد ولتأييده ضد المنافقين. أما من نجا من السيف فتفرض عليه الجزية (رسالة الرضى والتسليم).

أما بالنسبة الى اليوم الأخير، فسيكون السيف علامة القيامة والغلبة. في ذلك اليوم سيقوم جميع الموحدين عند «ضجيج السيد الهادي الامام (حمزة) وشموس القيامة (الحدود) بسيوفهم، ينتقم من أبالسة الأدوار (النطقاء) وأشياهم الفاسقين (رسالة الايقاظ والبشارة). في اليوم الأخير، سيحل بالمنافقين الذعر وسيخضعون جميعهم، للذل الشامل والسيف القاتل، وتطأهم باخمصها كتائب الملك المظفر المسعود» (رسالة التعقب والافتقاد).

هذا السيف، اطمأن إليه الدرزي في تاريخهم السياسي المغمور بالقهر، وبه يؤخذ الثأر لدماء الموحدين المظلومين. والوصية بأخذ الثأر عزيزة على قلب كل درزي موحد مخلص لعقيدته. بها يحفظ اخوانه ويصدقهم، ويتعهد كرامتهم، وينتقم لدمائهم المهدورة ظلماً وقهراً. ومما لا شك فيه أن جميع الموحدين سيقومون بعملية الثأر هذه. وما قائم الزمان، حمزة، إلا «الأخذ بثأر أوليائه الممتحنين الركع السجود من آل السفه والفسق والجهل والجحود» (رسالة ايضاح التوحيد). وفي عودة حمزة، عند تجلي الحاكم في مكة، سيكون استيفاء الحق وردّه الى أصحابه الاصليين، ومعاقبة الاشرار والثأر منهم (رسالة التعقب والافتقاد).

إنّ رسائل الحكمة لتزخر بالحديث عن الثأر. والثأر الدرزي هو الجهاد الاسلامي، مع الفرق أنّ الجهاد في الاسلام هو السبيل الى الله ودفاع عن

الدين، بينما الشار عند الدروز ليس دعوة الناس الى مذهبهم - لأن باب الدعوة مغلق - بل هو انتقام لأخوانهم الذين قتلوا ظلماً في أوائل الدعوة. ولا بد للدروزي من أن يصلي كل يوم، ويذكر في صلاته كل ما يعود الى الشار لدماء اخوانه والانتقام لهم (رسالة الحقائق والانذار).

## تاريخ «التوحيد»

يبدأ هذا التاريخ سنة ٤٠٨هـ. وهي سنة «الكشف» أي السنة الأولى لظهور حمزة بالدعوة. لذلك نجد رسائل المذهب مؤرخة بسنين تسمى «سني حمزة»، لا الحاكم. هكذا في آخر بعضها: «كُتِبَتْ في شهر كذا... من سنة كذا... من سني عبد مولانا جلّ ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين... الخ». أو هكذا، مثلاً، في الرسالة ١٦: «رُفِعَتْ نسختها الى الحضرة اللاهوتية في شهر ربيع الآخر الثاني من سنة عبد مولانا ومملوكه حمزة... الخ». وهي سنة ٤١٠هـ. السنة الثانية من سني حمزة. لأن السنة ٤٠٩ غير محسوبة من سني حمزة إذ أنه لم يمارس سلطته فيها. فقد كان غائباً.

كانت السنة الأولى ابتداء من شهر صفر، ورد ذكرها أولاً في أولى رسائل حمزة، ثم أُرِخت بموجبها رسائل «الحكمة» أو «المعلوم الشريف» تبعاً، حيث يُذكر التاريخ.

في تلك السنة أعلن حمزة ألوهية الحاكم، بعدما ظهر من حماقات نشتكين «الدرزي»، الداعي الذي نُسِب الدروز الى اسمه في ديار الشام. ممّا يدلّ على أن الدعوة بدأت سرية قبل ٤٠٨هـ. في السنة التي سبقتها، على الأرجح، أو ربّما قبلها، إذ بُثَّت الدعاة سرّاً، تمهيداً لإعلانها فيما بعد. فكان السبب في التعجيل بها الفضائح المنسوبة الى نشتكين وسوء تصرّفه واستعماله للسلطة منافسة لحمزة وتمرداً عليه.

ظهر حمزة بالدعوة في خلال ٤٠٨ و ٤١٠ و ٤١١هـ. أما سنة ٤٠٩ فقد

استُثِنَّت من سني حمزة. وبعد غيبة الحاكم عند آخر سنة ٤١١ اختفى حمزة في أوائل ٤١٢ من وجه نقمة طوائف المسلمين عليه.

كان نشتكين من الدعاة الأول. ظهر بمصر سنة ٤٠٧ على الأرجح؛ قبل إعلان الدعوة. أظهر الغلو في الحاكم. وكان من أكبر القواد. نُسِب المذهب إليه لسبقه بالقوة. أقرّ أولاً بإمامة حمزة. ثم تكبر عليه، وادّعى منزلته، وأنكر إمامته بعد سنة من الإقرار بها.

في سنة ٤٠٨ دعا نشتكين «البرذعي»، أبا منصور، الى التوحيد. ورد ذلك في رسالة حمزة ١٦: «وأما البرذعي فأنا أرسلت إليه ودعوته الى التوحيد... فأقسم انه لا يدخل في هذا المذهب إلا بتوقيع من مولانا. فلما أرسل إليه الدرزي رسوله ومعه ثلاثة دنانير وأوعده بالمركوب والخلع، مضى الى عنده، وفتح له أبواب البلايا والكفر».

كانت سنو حمزة حافلة بالدعوة، والارتدادات، ومكافحة المرتدين بعد استجابتهم، ومواجهة المقاومين للدعوة. ونجد حمزة يقول بالرسالة ١٩:

«الى معاند ومن معه في الاعتقال. المصابين من عالم الضلال، أما بعد فقد وصل إليّ رقعة من أبي القاسم مبارك (أحد الدعاة) انه التقى ولد معاند وغلّامه، ومعهما رقعة بالسؤال غني، وتذكّارهم للحضرة اللاهوتية التي لا تحتاج الى تذكرة، ولا تخفى عليها مخبرة... ثم يشكو بها حمزة ممّن استجاب ثم نكث «مثل علي بن أحمد الحبال الذي كان مأذوناً لي، وعلى يده استجاب نشتكين الدرزي... وأما أنت، يا معاند، وأبا منصور البرذعي، وأبا جعفر الحبال، فما منكم أحد إلا وقد دعوته الى التوحيد. فأبيتم ذلك، إلا أبو جعفر الحبال فانه كان قد أجاب الى مبارك الداعي أيده المولى. والذي منعه ولده علي... وأما أنتم فملتّم الى الحطام الفانية...».

ويروي بالرسالة ١٠ كيف انتصرت فئة قليلة من الموحّدين على جيوش كثيرة في معركة المسجد ومعركة الدار... .

ذلك أنّ نشتكين كان يسعى ليحلّ محل حمزة مستعيناً بالبرذعي وغيره من الدعاة الذين انقلبوا معه على حمزة. وضرب السكة وزيف الدنانير

والدراهم في سبيل الوصول الى السلطة. فردد فيهم حمزة الآية :

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَلَا تَتَكَبَّرُ الْأَنَاسُ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّيحُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ (سورة يونس)...

وقال إن الخطريس «هو نشتكين الدرزي الذي تخطر على الكشف»... وإنه «الضد الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الامام، ويدعي منزلته... كان من جملة المستجيبين، حتى تخطر وتجر وخرج على إمامه حمزة... وادعى منزلته حسداً له... وسمى روحه (أي سمي نفسه. بلهجة مصر حتى اليوم) في الأول «سيف الايمان»... وزاد في عصيانه، فقال أنا سيد الهادين... وأبى أن يسجد لمن نصبه المولى وجعله خليفته في دينه وأمينه على سره وهادياً الى توحيده وعبادته».

في الشهر نفسه، ربيع الآخر «الثاني» (سنة ٤١٠هـ) وجّه رسالة ثانية الى الموحدين (الرسالة ١٦) جاء فيها:

«... وأول ما حذرتكم من نشتكين الدرزي والبرذعي وأصحابهما... اعلموا بأن الدرزي والبرذعي نطقاً بغير معرفة ولا علم، وعملاً بغير وجه مولانا جلّ ذكره، وأعليا البناء بغير أساس، وما أصاب أحدهما (الدرزي) ما أصابه إلا باستحقاق وعدل من المولى سبحانه على يدي... وكان قد سألني مراراً بكثرة أن أدفع إليه شيئاً من كُتُب التوحيد مما ألفته. فلم أفعل. وذلك ممّا تفرّست فيه من العاقبة الردية. وقد قال صاحب الشريعة: «احذروا من فراسة المؤمن فيكم، فانه ينظر بنور الله» (حديث). فنظرت إليه بنور مولانا ولم أفعل ولم أسلمه شيئاً ممّا طلبه. فتردّى بالكبرياء وقال: «أنا خير منه وأقوى وأعلى». ولم يعلم ان الغالب من أعانه المولى جلّ ذكره».

قال حمزة في الرسالة نفسها إنّ الإمامة لا يشترك فيها اثنان في وقت واحد. فإنها نور كلي لا يقبل الانقسام، وأشار الى القصاص الذي أنزل بالمرتدين أمثال علي بن أحمد الحبال، والعجمي، والأحوال، وخطلخ ماجان. وغيرهم.

هذه هي الرسائل التي يذكر حمزة فيها نستكين. أما حيث لا يذكره بالاسم، فإنه يشير إليه بنعوت مختلفة؛ منها «الضد» و«الشیطان» و«الخصم» و«العجل». ففي الرسالة ٩ يقول:

«فلا تكونوا ممن قالوا سمعنا وأطعنا، وشربوا في قلوبهم «العجل» بكفرهم. والعجل فهو ضدّ وليّ الزمان... سُمي الضدّ عَجلاً لأنه ناقص العقل عجول في أمره، له خوار» - إشارة الى سورة طه: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُمْ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَیَّ﴾. ﴿٨٨﴾

### غیبة حمزة

بعد أحداث السنة الأولى ٤٠٨ هـ اختفى حمزة فلم نقف له على ذكر عَظَمِي مدى سنة ٤٠٩ التي وُصِفَتْ في مواضع كثيرة من الرسائل بأنها سنة المحنة أو الامتحان والعذاب، لم يمارس فيها حمزة سُلْطَنَهُ. فقالوا إِنَّ القصد من الغیبة امتحان الموحّدين، كما ذُكِر: «إنه يمتحن الخلق بغیبته في التاسعة». والمحنة هي غیابه الذي عاقبهم به، وقصر اتصالاته في أثنائها على أعوانه من الدعاة، فكان يكتب لهم ویبث الدعوة سرّاً الى مذهبه الجديده في حذر شديد. ولعلّ الغیبة تدبیر سیاسي.

وصفها حمزة بقوله (الرسالة ١٦): - «وقد سمعتم ما تُلي عليكم في مجالس الحكمة من امتحان الامام، وخَفِیَّتِهِ، ونُقْلَتِهِ من موضع الى موضع، نُقْلَةُ الخفية. لا نُقْلَةُ التَغْییر والغیبة... وهي محنة عاقبكم بها المولى... لأنه سبحانه انعم عليكم ما لم ينعم عی أحد في الأدوار. وأعزكم في وقت عبده الهادي ما لم يُعز أحداً في الأقطار».

لم يقصر اتصالاته على المراسلة. بل جاوزها الى انتقاء دعائه الذين وكل إليهم نشر العقيدة. فلننا، مثلاً، نجد في الرسالة ٢١ أنه في شهر شوال قَدْ أبا عبدالله محمد بن وهب القرشي الداعي فرفع درجته الى منزلة «الكلمة» بقوله:

«فرفعت درجتك. وأضفت الى منزلتك، وهي المنزلة التي كانت للشيخ «المرتضى» قدس المولى روحه، وأنت تسلمت علومه و«حَدّه». وواريته في

تربيته. وقد سُلمت إليك جميع كتبه التوحيدية... لا فوقك أحد أعلى منك غير صفوة المستجيبين (النفوس) الشيخ «المجتبى»، أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، هرمس الهرامسة، أخي وصهري، أبي ابراهيم اسمعيل بن محمد التميمي الداعي... فاستخِر مولانا سبحانه. وأخدم حقّ ما يجب عليك من مذهب مولانا، والطف بالدعاة وجميع الموحدين، وأمّرهم بالمعروف، وانههم عن المنكر، واستحثهم على الخدمة اللاهوتية، وأمر النقباء بملازمة خدمتك، ورفع ما يكون من الأخبار إليك، وما يتجدّد بالقاهرة وأخبارها... فمن رأيت طريقه مستقيماً، فأحسن إليه. وقربه منك، وعرفني حاله.

وكان حمزة قد قلّد «المجتبى» المذكور، قبل هذا، كما يُستدل من النص؛ وإن لم يذكر التاريخ في الرسالة ٢٠ إذ قال فيه: «فجعلتك خليفتي... وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الحدود، تولّي من شئت. وتعزل من شئت... من خالفك فقد خالفني، ومن أطاعك فقد أطاعني»...

وكان يُصدر الأوامر من مُعتكفه، كالأمر الذي أصدره الى القاضي أحمد بن العوّام (الرسالة ٢٨) يوبّخه على تسمية نفسه «قاضي القضاة». ويمنعه به من النظر في قضايا الموحدين. قائلاً: «إياك ان تنظر لموحد في حكم... ارسله إلّي لأحكم انا عليه بحكم الشريعة الروحانية التي اطلقها أمير المؤمنين». ممّا يدل على أنه كان للموحدين قانون خاص، كقانون الأحوال الشخصية، في ذلك الحين. وقد يكون هذا الأمر كُتب عند نهاية اعتكافه أو بعدها.

#### عودته

عاد حمزة في السنة التالية (٤١٠هـ.) بقوة ونشاط، يشدّ أزر أتباعه، بما خصّه الحاكم به من التأييد. وفوّض إليه من أمور الرعية. وأطلق يده في شؤون تدبير الملك.

ويفسّر الخفية والظهور قائلاً (الرسالة ١٨): «لما خفّي اخفيناه، ولما ظهر اظهرناه»... فالمولى «ستر توحيده وقت شاء. وأظهره كما شاء»...

الى أن بلغ الكتاب أجله، وجاء الوعد المعلوم، وظهر المكتوم... فأظهرناه عند إظهاره، وسترناه عند استتاره».

ثم يقول (الرسالة ١٦): «... ومولانا جلّ ذكره لا يستر عبده الهادي الى عبادته عن عبده أياماً سيرة (سنة ٤٠٩) إلّا لما يريد من إظهاره على سائر العبيد (سنة ٤١٠) ويؤيده بالقدرة والتأييد». وهي السنة التي أظهر فيها بطشه بقتل الدرزي والبرذعي وعدد كبير من أعوانهما. فقد أطلق الحاكم يده في الحكم حتى قال: «الويل كل الويل لمن حاد عن طاعتي».

منذ تلك السنة (٤١٠) أخذ ثاني الحدود (النفس) يوجّه رسائله في نشر الدعوة. أشهرها كتابه «تقسيم العلوم». وتمّ تقليد المقتنى بهاء الدين، أبي الحسن علي بن أحمد السموقي (الرسالة ٢٢). وتقليد، أو تعيين، سائر الحدود والدعاة. ونستنتج من ذلك انه ليس من المعقول تعيين خامس الحدود، بهاء الدين، قبل رابعهم الذي لم يرد في كتب الحكمة نبأ تقليده في سجل خاص، بل ورد في تقليد المقتنى أنه الرابع، الشيخ «المصطفى»، حيث يقول الكتاب: «فجعلناك الجناح الأيسر، إذ كان الأيمن (المصطفى) قد تقدّمك؛ وهو سلامة بن عبد الوهاب أبو الخير السامري».

### الختام

كان ذلك سنة ٤١١ هـ. وهي السنة الرابعة لظهور حمزة بالدعوة، الثالثة من تاريخه الديني أي من الكشف أو تاريخ نشاطه الظاهر وممارسته السلطة. لم يعلن فيها عن نشاط كبير. فيها اختفى الحاكم في ٢٧ سؤال. وبعد اختفائه أو غيبته وجّه حمزة منشوره التاريخي المسمّى «السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد في غيبة مولانا الامام الحاكم»، المؤرّخ في «شهر ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربع مائة». وقد يكون أولى رسائله في تلك السنة. وهي الرسالة ١ من كتاب «السير»، أوّل كتب «الحكمة».

علّق هذا المنشور في المساجد للتعميم، فقد جاء في نهايته: «حرام حرام على من لا ينسخه ويقرّؤه على التّوابين... حرام حرام على من قدر على نسخه وقصر».

دعا فيه الى الثبات على الإيمان. واستهله بأسلوب غير باطني، وعبارات جلية مختلفة عن رسائل الدعوة السرية. نورد بعضها للدلالة على اختلاف الأسلوب في المخاطبة الظاهرة، الموجهة الى «الكافة».

بدأ المنشور بعبارة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. ودعا الى التوبة الى الله، والى «خليفته في أرضه، وأمينه على خلقه أمير المؤمنين... وصلى الله على سيد المرسلين محمد المبعوث بالقرآن الى الخلق أجمعين... وقد علمتم معاشر الكافة ان جميع ما ورثه الله تعالى لوليه وخليفته في أرضه أمير المؤمنين... فعشتم في فضل أمير المؤمنين سلام الله عليه، رغداً... من نعمه الباطنة عليكم إحياءه لسنن الاسلام والايمان التي هي الدين عند الله... وبني الجوامع... وعمر المساجد... وأقام الصلاة في أوقاتها، والزكاة في حقها وواجباتها، وأقام الحج والجهاد، وعمر بيت الله الحرام، وأقام دعائم الاسلام... وفتح لكم أبواب دعوته، وأيدكم بما خضه الله من حكمته، ليهديكم بها الى رحمته، ويحكمكم بها على طاعته وطاعة رسوله وأوليائه عليهم السلام... فشنيتم... وكفرتم... ونبذتم... فلم يجبركم... واغلق باب دعوته... وفتح لكم دار علم... فرفضتموه وأعرضتم... ومال بكم الهوى... ورفضتم العلم وأظهرتم الجهل... إن الاسلام قد شملكم تحت طاعة الله، وطاعة رسوله، ووليه أمير المؤمنين... و...»

«... لذلك خرج من أوساطكم... فمن دلائل غضب الامام إغلاق باب دعوته، ورفع مجالس حكمته... إن وقفتم على براح من الأرض يكون أول طريق سلكها أمير المؤمنين وقت ان استتر نضو أعينكم... فتوبوا إليه. وتوسلوا بالصفح عنكم. وأن يرحمكم بعودة وليه إليكم... فإذا اطلت عليكم الرحمة خرج ولي الله إمامكم راضياً عنكم، ظاهراً في أوساطكم...».

وأنهَي المنشور هكذا:

«كتب مولى دولة أمير المؤمنين سلام الله عليه في شهر ذي القعدة

٤١١، وصلى الله على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وسلم على آله الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

هنالك رسائل غير مؤرخة قد تكون كتبت بعد هذا السجل؛ فإن حمزة ظلَّ على اتصال سرّي بدعائه، واعدأ بقرب عودة الحاكم كما تدلّ إحدى تلك الرسائل التي كُتبت بُعيد الغيبة، وهي الرسالة ٣٥. كتبها حمزة، وحملها أبو يعلى الى أهل جزيرة الشام، بعد بضعة شهور من غيبة الحاكم أو في آخر ٤١١. وكان الحاكم سنة ٤٠٤ أوصى له بولاية العهد، وهو ابن عمّه، بدلاً من «ابنه» «الظاهر»، خلافاً لتقاليد الإمامة الفاطمية التي تقضي بانتقالها من الأب الى الإبن، ثم غضب الحاكم عليه فأمر إحضاره من الشام فأحضره بهاء الدين في قفص من حديد بعدما كان الحاكم قد عينه والياً في دمشق، فأخذ يدعي القرابة، ويظلم ويسفك الدماء ويحلّل الحرام. لذلك كان غضب الحاكم عليه.

كاتب هذه الرسالة بهاء الدين، وإن كان أسلوبها كأسلوب رسالة «الغيبة» ومطلعها، كمطلع تلك، خالياً من تمجيد حمزة. دليلنا على ذلك ما الحق بآخرها من «الشكر لقائم الزمان». وقد نصّت «الغيبة» على ما يلي:

«... وهي رسالة التحذير بعد الغيبة بشهور عدة... توكلت على مولانا... المنزّه عن العدم إذا استتر... بتقدير أحكامه امتنّ على خلقه بوجود صورته من جنس صورهم... فأنسّت العقول الى ظاهر صورته. واستدرجهم الى معرفته، بلطيف حكمته».

وفيهما من التحذير والتنبيه والتثبيت على الإيمان ما يحسن إيراد بعضه لما فيه من الحكم:

«إنّ حطام الدنيا مناله سهل. ولكنه مضمحل فان، واكتساب الذين صعب، ولكنه دائم باقٍ... معشر الإخوان، من قلّت ثقته بالله، وخشي من بشر مثله، أوقعه باريه فيما منه فزع وحذر... معشر الإخوان، إياكم التفاق، فإنه باب التشتت والافتراق... معشر الإخوان، من خشي بشراً مثله سلط

عليه... لا تصح الديانة إلا عند الامتحان. ففي وقت السلامة والعافية يكون العالم متساوياً، لا فاضل ولا مفضول، وإنما تُنال الدرجات، وارتقاء المنازل المرتفعات، بالصبر في وقت الشدة... فمن صبر على المكاره نال المسرات... معشر الإخوان، الحذر الحذر أن تكونوا ممن يخشون على تمزيق «اقمصتهم» وغيبة صورهم... ارضوا وسلموا في السراء والضراء... وأقلوا الاعتراض فيما يظهر لكم من خير وشر، وإحسان وضرر، يخفف عنكم المحنة، ويكشف عنكم الغمة. فليس بينكم وبين عالم الجهل فرق إلا الرضى والتسليم. والرضى والتسليم غاية العلم والتعليم... من انتسب الى قوم لا يأتي بأفعال أصدادهم... واعلموا، معشر الإخوان، أن الله غني عن عباداتكم، منزّه عن دياناتكم. لا يزيد في ملكه طاعة من أطاعه. ولا يُنقص من ملكه معصية من عصاه. وإنما هي أعمالكم تُردُّ إليكم، وما أتاكم من صعوبة زمانكم فهو من سوء أعمالكم...

«معشر الإخوان، تيقظوا قبل ظهور الصورة. فكلَّ عبادة عند ظهورها مجبورة...»

«معشر الإخوان، قد قَرَّب إليكم ما تباعد عنكم... تَوَقَّوا الظلمة عند طلوع الفجر، فإنها أشدَّ الليل سواداً... تَوَقَّوا المحنة في آخر الفترة، فإنَّ في آخر الفترة يكون ثوران القُدرة...»

«معشر الإخوان، لا يكن مثلكم مثل مسافر من بلدة يريد وطنه، تواني في الحفظ من زاده، ففرغ زاده في الطريق. فرام الرجوع الى البلدة التي خرج منها، فلم يقدر. ورام الوصول الى وطنه، فلم يستطع...»

«معشر الإخوان، احذروا غِرة الشيطان. فإن الضدَّ يظهر من بيت الولي، ظاهره ديانة، وباطنه خيانة...»

«معشر الإخوان، إنَّ أعلى ما يكون الباطل، يأتي عليه الحق فيُخمد. إنَّ عبد مولانا ومملوكه قائم الزمان قد أوفاكم الحجة، وأرشدكم الى المحجة. فتيقظوا من رقدتكم، وأفيقوا من غفلتكم... حينئذٍ توفون أجوركم وأنتم لا تُظلمون...»

## دعائم دين التوحيد

### أولاً - صدق اللسان

أولى هذه الخصال التي ذكرها قائم الزمان في «رسالة بدء التوحيد لدعوة الحق»، هي الصدق بل «الصدق هو الايمان والتوحيد بكماله والكذب هو الشرك والكفر والضلالة». والصدق من الايمان كالرأس من الجسد. ولن يكون في النهاية خلاص إلا للموحدين الذي صدقوا القول: «ولا رفعة في المعاد إلا لمن صدق لسانه». أما الكذب فهو دليل على شخص ابليس اللعين». والكذب لا يكون كذباً إلا على إخوان التوحيد، أما مع «الاضداد» فلا يُسمى كذلك. «فالكذب على أخيك المؤمن هو الكفر». «ومن كذب على أخيه المؤمن فقد كذب على داعيه، ومن كذب على داعيه فقد كذب على إمامه، ومن كذب على إمامه فقد كذب على مولانا جل ذكره وجحد نعمه واستوجب سخطه».

فالصدق إذن لا يكون إلا مع «الاخوان». أما مع «الاضداد»، فالكذب والحذر والحيلة والمصانعة والمدارة هي خير وسيلة. والاعتماد على الصدق هو أعظم أركان الدين، تماماً كالصلاة عند أصحاب الشرائع فيما الكذب على الاضداد هو أعظم وسيلة للحفاظ على الحق عند أهل الحق. بيد أن الموحد يستطيع الكذب على أخيه إذا كان بينهما ضد، إنما لا بأس بالصدق فيما لا يضر عند الاضداد. وهكذا لا يجوز الكذب بين الاخوان اذا كان مجتمعهم خالياً من الاضداد. (الرسالة ٣١٢/٤١).

### ثانياً - حفظ الاخوان

إنه الدعامة الثانية من دعائم التوحيد، وهو عند الدروز «عوض الزكاة»

عند المسلمين. ولهذا يشدد قائم الزمان على حفظ الاخوان في كل رسالة. وفي وصية حمزة لسفير القدرة قوله: «احفظ الاخوان، وأعضدهم في السر والاعلان، واجمع شمل الموحدين... وإن خالف موحد ايمانه، على سفير القدرة تأديبه وضربه». و«الحفظ، في لغة الدروز، معناه الصيانة والحراسة والرعاية... ولا يجوز لأحد منهم أن يميز نفسه على غيره، ولا يتعدى طوره، ولا يرى لنفسه فضيلة على أخيه بنسب ولا بمال ولا بجاه، إلا بالعلم والفضيلة والعفة عن الزلل... وإذا أخطأ أخوه وعظه وعاتبه، وإن تهادى لاهمه وعُفِّفه... وإن دام على غيئه، أبعدته وتبرأ منه...» (كتاب النقط والدوائر).

ولم يدع بهاء الدين المقتنى فرصة إلا توجه فيها الى الموحدين لحفظ بعضهم بعضاً وتوحيد كلمتهم.

### ثالثاً - ترك عبادة العدم والبهتان

ثالثة الخصال التوحيدية هي ترك عبادة العدم والبهتان... فالعدم هو الذي لا وجود فيه ولا فائدة له، والبهتان هو الكذب الذي لا صدق فيه. وبالجمل، فكل مذهب خارج عن مذهب التوحيد هو عدم. وباختصار الكلام «إن كل من ذكر عن نفسه انه موحد وهو متمسك بشيء من الشرع، فقد أبطل وكذب في قوله، بل هو ملحد كافر» (رسالة الشمعة).

### رابعاً - البراءة من الأبالسة والطغيان

رابعة الخصال: «البراءة من الأبالسة. اما التبري فهو «البراءة من شرائعهم الدارسة وعقائدهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة وأقوالهم الكاذبة وأفعالهم القبيحة...» «وكل من ادعى التوحيد وهو يقول بالظاهر والباطن كان كاذباً في قوله». ومن تبرأ منهما نال حظوة عند رب العالمين» (رسالة الشمعة).

### خامساً - توحيد الحاكم جلّ ذكره

التوحيد يعني أنّ «الباري سبحانه منفرد عن جميع مخلوقاته بصفات الربوبية التي لا نهاية لها... انفراد بالوجود عن العدم... وبالتنزيه عن

التحديد... وبالقدره عن العجز...» والتوحيد هبة من الله للموحدين، كشفه الله على يد قائم الزمان حمزة وحدوده الأربعة. ولئن كان كل دين يدعو الى التوحيد فان الدرزية وحدها عرفتة واقتنت منه الحكمة، وبقي غيرها في ضلال. والدروز هم «الموحدون» لانهم وحدهم «عرفوا» الله ظاهراً مكشوفاً. ومن لم يرَ الله بهذه الحالة لا يكون «موحداً»؛ بل إلهه هو «العدم» (رسالة الغيبة).

### سادساً وسابعاً - الرضى والتسليم

الرضى والتسليم هما الفرضان الاخيران في دين التوحيد، وهما نتيجة الخصال السابقة. لأن من صدق بلسانه وحفظ إخوانه وترك العدم وآمن بالتوحيد لا بد من أن يرضى بفعل البارى ويسلم أمره إليه سرّاً وجهراً. وقد يتميز الدروز عن سائر البشر بهاتين الفضيلتين: «معشر الاخوان... ليس بينكم وبين عالم الجهل فرق إلا الرضى والتسليم. والرضى والتسليم هما نهاية العلم والتعليم» (رسالة الغيبة).

## حمزة

كان حمزة فارسيّاً. ولد بمدينة زَوْرَن في خراسان من بلاد فارس سنة ٣٧٥هـ. مساء الخميس في ٢٣ ربيع الأول. وهو اليوم (والتاريخ) الذي ولد فيه «الحاكم» بمصر. ولعلّ ذلك كان السبب في أنّ الموحّدين يقيمون الصلاة الاسبوعية مساء كل خميس أي ليلة الجمعة. إذ أنّ الحساب القديم كان يُتبع الليل النهار الذي يليه.

في العشرين من عمره في السنة العاشرة من خلافة الحاكم جاء الى مصر، وتبع الحاكم، وصار يلقَّب، بالفاطمي، بعدما كان «الزوزني»، ويشار إليه في رسائل «الحكمة» بعبارة «عبد مولانا ومملوكه». ذُكرت أكثر من مئة مرة. وهي عبارة تبجيل وإجلال أُطلقت كذلك على سواه.

تنمّ على فارسيته تعابير دخيلة على أسلوب الإنشاء العربي. مع أنه كتب ببيان بليغ يغلب فيه السجع. فإننا نجد له في رسائله عبارات مثل «العليّ الأعلى» و«تعالى سلطانه علوّاً عالياً عليّاً» (الرسالة ١٧). و«جلّ ثناؤه» و«جل اسمه» «الحاكم الحكيم» (الرسالة ٣٩) وتعابير فارسية مُدخلة، مثل «بارخُذاي» و«كرديو بكرديو» و«حق ميزة بترديو». وهي على قلة ورودها لها دلالاتها. ولا غرو فهو فارسي من خُرَيجي جامعة «جنديسابور» في بلاد فارس.

بظهور حمزة بن علي بن أحمد بدأت الدعوة «التوحيدية»، وبها بدأ تاريخ من يسمّون اليوم «الدروز»، سنة ٤٠٨ هجرية.

فإن حمزة قبل أن تُقْب بالامام سنة ٤٠٨هـ. كان قد أخذ يوفد دعائه ويوجه رسائله سرّاً الى البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، استعداداً لإعلان الدعوة في تلك السنة التي فيها حدث السخط على نشكين الدّرزي بعدما افتضح أمره واشتدّت النّمة على أعماله، ممّا أدّى الى فتور في بثّ الدعوة تلك السنة، ومهدّ للتخلّص منه فيما بعد.

في أوّل محرّم سنة ٤٠٨هـ «ردّ سبحانه الامامة التي كان متظاهراً بها الى صاحبها الامام الأعظم حمزة ابن علي ابن احمد» الذي اجتمع عنده الدعاة يمدّهم بعلمه. ويفيض عليهم من حكمته. ويرتّبهم في منازلهم. وفرّق من أراد منهم في الأقاليم والجزائر لينشروا دعوته. وقيموا حجّته. فانتشرت الدعوة في أقطار الأرض تلك السنة. أمّا إمامة التنزيل والامامة الباطنة التي للتأويل فقد قلّدهما لعلّي الظاهر (الذي كان في ظاهر الأمر ولده) آخر سنة ٤١١ قبل غيابه بعد استخلافه أن لا يقيم محنة على الموحدين.

استغرق نشاط حمزة بدعوته الظاهرة ثلاث سنوات، هي ٤٠٨ و ٤١٠ و ٤١١هـ. أمّا السنة ٤٠٩هـ، فكانها، كما سبق ذكرها، كانت سنة استتار له، زاول فيها اتصالاته سرّاً. وسُميت سنة الامتحان والخفية. فقد كان، بعلم الحاكم، وبموافقته على الأرجح، ينتقل في خلالها خفية، من موضع الى آخر، ربما تجنّباً لثورة الشعب عليه، أو استعداداً للظهور بقوة التنظيم والتحضير لسنة ٤١٠ التالية الحافلة بالأحداث العقائدية.

بعد سنة ٤١١هـ. التي اختفى فيها الحاكم ثم اختفى بعده حمزة، مرّت سنوات من الكتمان لم يظهر فيها حمزة. حتى أزيح الستار قليلاً عن نشاطه، برسائل أرسلت الى سواه وذُكر فيها، أو وُجّهت إليه، بعد قرابة عشرين سنة من غيابه. منها الرسالة ٧٩ التي كتبت على الأرجح سنة ٤٢٧هـ. إذ تقول: «فقد أقمنا عليكم حجج الله من مدة سبع عشرة سنة»... ومنها الرسالة ٨٨ التي يتبيّن منها أن حمزة كان لا يزال على اتصال سرّي بدعائه، على الخصوص «بالمقتنى» بهاء الدين كاتب الرسالة وهو يدّوها «بالسلام على الامام» موجّهاً إليه «عبيده الزائرين... رسل العبد الذليل». ومنها الرسالة ٩٠

الموجهة «من المستقر بالحضرة الطاهرة الشريفة». وبها يشجعهم على احتمال الأذى والضيق يحثهم على التمسك بالإيمان وبعد «بالاجتماع عند ظهور ولي الحق... وقد شاعت أخباره... وتباشرت بها كافة الموحدين... وهجمت الليلة التي نحن فيها ننتظر الصباح... ولو أمكن لشرحنا ما هو أكثر...» وردد الجواب (الرسالة ٩١) بشرى عودة الإمام: «فالفخي قد ظهر الى الاعلان، واشتهر بظهور قائم الزمان، باليمن الأقصى، وقرب ما كان نائياً... فلتكن الكلمة واحدة، والالفة مجتمعة، والمذاكرة دائمة»...

غيبية حمزة هذه الثانية النهائية سُميت غيبة الامتحان، كما يقول بهاء الدين في الرسالة ٦٨ مخاطباً «الموحدين المظلومين الممتحنين... المؤمنين الطهرة المسلمين». وكما سُميت في مواضع كثيرة من «المعلوم الشريف» أي كتب «الحكمة». بقصد دعوة الموحدين الى الإيمان برجوع حمزة. والى «طاعة ولي الحق الامام القائم المنتظر» كما تقول الرسالة ٦٨ التي كتبت بعد ١٩ سنة من غيبته أي سنة ٤٣٠هـ. وهي السنة الثانية والعشرون من سني حمزة.

والرسالة ٤٣ تصوّر غياب حمزة بأنه سفر أو رحلة يعود منها. وفي الرسالة ٤١ «إشارة الى استتار الامام... (الذي) لما غابت صورة المعبود. وامتنع قائم الزمان عن الوجود (الظهور). أبست كثير من النفوس، من عدم العيان المحسوس... فتأملت كتاباً وصلني من مولاي قائم الزمان...».

حمزة نفسه بالرسالة ٣٤ يعلن هذا الاستتار، حاثاً أتباعه على الثبات على العقيدة والولاء للمذهب، والمناصحة، والمؤالفة والارتباط. متحدثاً عن غيبته العتيدة المقبلة بُعيد اختفاء الحاكم، وعن رجوعه هو قريباً. محذراً ممن سيدعون الإمامة في غيابه. ويقول: «اعلموا أنّ غيبيتي عنكم غيبة امتحان... فسوف يرد إليكم أمر ترونه عن قليل... فقد أَرَفَ الظهور، وحن الوقت المقدور. وقد أنفذت الى أهل طاعتي، ومن هو متمسك بإمامتي، هذه الرسالة، إعذاراً وإنذاراً، وهدي واستبصاراً؛ فكونوا أيها الإخوان على أهبة من أمركم»...

يُستدل بالرسالة ٧٦ على أن حمزة كان بهذا «الاعذار والانذار» يحذر من ابن البربرية المدّعي الإمامة. وقد نعت بهاء الدين في الرسالة ٧٦ بأنه «المعتوه» الذي حذر العالم من أفكِهِ قائم الحق قبل غيبته. يقصد رسالة حمزة ٣٤ ورسالته ٣٣ التي مهّدت لها وتضمّنت اعتزاز حمزة بما أولاه الحاكم من ثقة وسلطان وإطلاق يد في حكم الرعيّة، بالرغم من محاولة أخصامه الفاشلة، وفي مقدمتهم مزاحمه «ابن البربرية».

كان حمزة يعيّن معاونيه «الحدود» الأربعة، بموجب مرسوم تعيين يسمى «التقليد» أي تقليد السلطة. من ذلك «سجل المجتبي» (النفس. إسماعيل التميمي) و«تقليد الرضى» (الكلمة. محمد القرشي) و«تقليد المقتنى» (التالي. علي السموقي) ولم يرد نصّ تقليد ثالثهم «المصطفى» (السابق. سلامة بن عبد الوهاب السامري).

وكان المقتنى، بعده، يعيّن معاونيه من الدعاة. مثل «تقليد لاحق» و«تقليد سكين» و«تقليد أبي الكتاب»، والأمير معضاد. وبني جراح.

هنا لا بدّ من كلمة عن هؤلاء الدعاة المعتمدين في ديار الشام. فالأمير معضاد التنوخي كان في «فلجين» وهي من ضواحي عاليه. يشرف بالدعوة على «الغرب» و«المتن» و«الجرد» والبلاد الواقعة بين البحر والجبل وكسروان والعرقوب. وآل تراب في لواء الجليل. وآل سليمان في وادي التيم وهو أول مراكز الدعوة في لبنان. وشيوخ البستان، أي الغوطة، بدمشق.

من التّوّخّيين الأمير عيسى الذي جمع ١٠٧ من رسائل الحكمة. والرسائل الأربع الباقية ضمّها الأمير السيد عبدالله جمال الدين التنوخي الذي شرح ثلاث رسائل بثلاثة عشر مجلّداً. وقال بنبذ الحشو فاضطرّه المتزمتون لمغادرة لبنان الى دمشق. ثم تابوا الى رشدهم وطلبوه. فعاد بشروط. منها: دراسة القرآن. وتعليم البنات. ومنع النواح.

يُشير التقليد الى المهمّة الموكولة الى الداعي. ويأمر بالدعوة الى التوحيد، وأخذ الميثاق، ونصب الدعاة والمأذنين، والحذر من الفتن،

وحفظ اللحظ واللفظ . وجعل اللسان بقول الحق هادياً ودليلاً . . . وما الى ذلك من الوصايا والتعابير .

ويقسّم جهاز الدعوة الى مناطق . فتقليد سكين يشمل بالدعوة جزيرة الشام العليا، والأردن، وبلاد الشراه وعمان، والبلقاء، وحمص، وحماء، وتدمر، وسلمية، وحواران . ويأذن بتعيين الدعاة والمأذونين، ويحذّر «من الاستكثار ممن لا خير فيه» .

وتقليد الأمير معضاد يشمل عين صوفر، والمروج، وعين عار، والبيهر، وكفر سلوان . إلخ .

## حمزة والمسيح

ليس لي فيما أدون رأيي خاص. إنما أنا أسرد موضوعياً ما انكشف لي من أسرار قد يكون الكثير منها خافياً، حتى على أبناء المذهب. والخفاء جفاء، ولا سيما إذا كان فيها تواصل بين الأديان، يفيد معه الإعلان. (العقيدة الدرزية، أنور ياسين)

أشرت الى النظرية التوحيدية المتعلقة بدور عيسى. إنها تقول إن عيسى هو الذي فرّ به والده الى مصر، رضيعاً، وعاداً به بعد ست سنوات الى الناصرة، وإن حياته محاطة بالغموض كولادته، إلا مدة رسالته وهي ثلاث سنوات بعد سن الثلاثين. فلا تختلف سيرته خلالها في هذه الأسفار عن جملة ما ترويه الأناجيل.

لكنها تقول إن «الممّد» لعيسى هو يسوع، إذ أن لكل ناطق مُمّداً. ويسوع هو «السيد الإمام العظيم، صاحب البرهان والمعاجز، الذي أشارت إليه الرسل. وهو الذي تبعه الحواريون، إخوته الأكرمون، فلما صُلب عيسى ودُفن اجتمع يسوع بتلاميذه... فإن يسوع كان يُشبه عيسى في جسمه، وزهده، وعصمته، كما تقول تلك الأسفار التي تؤيد اتصال المسيح بتلاميذه. وهذا القول بحدّ ذاته مشاركة جوهرية.

الرسالة ٥٣ المنفذة بتاريخ ٢٢ صفر سنة ٤١٩هـ. (أي السنة ١١ من سني حمزة) الى الملك قسطنطين (الثامن أخو باسيل الثاني)، تبدأ بتمجيد «الامام السيد المسيح». أي «العقل». وهو حمزة في زمن الحاكم. وتصفه بأنه: «المسيح الامام المتأله لطاعة المولى الإله». وتفسّر قوله: «اهدموا

الهيكل وأنا أقيم في ثلاثة أيام»، بأن اليوم الأول هو دعوته. والثاني ظهور الفارقليط (محمد) الذي تنبأ عنه إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٥). واليوم الثالث هو قيام حمزة بالتوحيد في زمن قسطنطين. فالثلاثة أيام هي رمز لثلاثة أدوار.

ثم تقول الرسالة: «فها هو قد ظهر لأهل التوحيد كما وعد... لكم سوابق في الدين الصحيح، فلا تنكروا بعد المعرفة رجوع المسيح».

والرسالة ٥٤ الموجهة الى: «جميع من تقرب الى اللاهوت بحقيقة القربان، وتمسك به من كل أهل الحق، قسيس وبطرك ومطران، أهل التوحيد والدين، المقتفين لآثار الطهرة الحواريين» كغيرها من الرسائل، تردّد أنّ المسيح هو «العقل». وفي عهد الرسول هو سلمان الفارسي. وفي دور «الحاكم» هو حمزة. وأنّ الحاكم بمثابة «الأب» لحمزة كما كان الله بمثابة «الأب» للمسيح. فإن الرسالة ٥٥ تقول: «ونسيتم نص الانجيل في قول الرب على لسان النبي اني دعوت ابني من مصر. ولم تكن هذه الدعوة التي دعا بها الرب ابنه من مصر في ضعف ذلك الزمان. وإنما هي اليوم في وقت القوة ليصح قول النبي القائم لتحقيق الأديان والله ليجمعن الله شملي بمصر كما جمع شمل يعقوب. يعني به هذا العصر والوقت المعين الوجوب... وإنما هي كلها بشارات بالوقت السعيد الميمون عند رجوعه الى ملكوت أبيه في اليوم الجديد».

وتردّد قول يسوع: «كل من آمن بابن البشر اعترفت به أنا أيضاً امام ابي الذي في السماء.. تبارك الابن باسم الرب».

ولا بدّ أخيراً من الإيضاح أنّ المذهب يحترم ويكرّم جميع الأنبياء. كما يفعل القرآن الكريم. ويعتبر النبوة قداسة لا تنبؤاً بما سيكون. ويأمر بأن لا يوجّه الدعاء في الصلاة إلّا الى الله، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «لا يسْتَغاث بي. وإنما يُسْتَغاث بالله». أما الشفاعات والوساطات فغير واردة في المذهب. ولا سلطة لرجال الدين إلّا بالموعظة والإرشاد.

## رسالة حمزة

من أشقّ الأمور شرح رسالة حمزة، أو دعوته الروحية، لما تضمّنته من رموز كثيرة الغموض، وإيضاحها في فصل واحد، مع التزام الإيجاز، والتقيّد بنصوص العدد القليل من الرسائل المتوفرة.

فيما يلي خلاصة مبسّطة من تعريف حمزة المسهب لعناصر الوجود الإنساني، وتفاعل الروح والعقل والمادة في التكوين.

١ - الباري هو الإله العالّ. وكل شيء معلول بعلّته. وعلّته هي «العقل» المُبدع.

أما العالّ فإنّ العقول تقف حسرى عن إدراك لاهوتيته.

وأما المُبدع فهو الجوهر الأزلي، محرّك الحركة، وهما متلازمان، وهو المسمّى عالم العقل السابق لكل فعل ومفعول.

ثم انفعّل الفعل. ففعل فعلاً هو دونه. فكان ذلك عالم النفس الشريف، المتحرّك بالمحرّك، القائم بالحركة، الثابت بالعظمة، أي عظمة عالم العقل، لأنّه أبسط الأنوار وألطفها. وعالم النفس دونه.

ذلك تباينا، وبالجنسية تمازجا، ولم يزالا متمازجين، ومتحرّكين، أحدهما دائر على الآخر، وهما أوّل محرّك ومتحرّك بألوهية العالّ لجميع المعلولات.

من هذين الأصلين (العقل والنفس) ينبثق «الكلمة» البسيطة. والنور البسيط («السابق»). والحكمة اللطيفة («التالي»). أي سابق العلم والمعرفة الإنسانية وما يتلو منهما.

فيكون «العقل» محور، أو نقطة بيكار، أربعة جوانب. هي «الحدود» الأربعة (النفس، الكلمة، السابق، التالي) لعالم الوجود الروحاني. أركان الوجود وأصوله. فقد ذكر أن الدائرة عادت الى نقطة البيكار أي الكشف. و«النقطة إمام الزمان».

٢ - أما تعريفه للعالم الجسماني. أي الطبيعة المادية. فهو أنها بدء حركة وسكون من ذاتها المضافة الى عالم النفس (أو الروح) الحاوي لها، الحاكم عليها.

والطبيعة إنما تتم أفعالها بالحركة؛ ليخرج كل ما هو بالقوة (أي الطاقة) الى الفعل بالحركة. فإذا تمت فعلها من نحو شيء، سكن فعلها في ذلك الشيء. «فتكوّن» من الحركة حرارة، ومن السكون برودة، وتولد بينهما رطوبة ويبوسة. وتولد من الحرارة واليبوسة النار. وتولد من البرودة واليبوسة الأرض. وتولد من الرطوبة والبرودة الماء. وتولد من الحرارة والرطوبة الهواء.

٣ - تفاعلت الأصول الروحانية - العقلية، والنفسية (الروحية) - ودخل فِعْلُهَا في الجسمانيات؛ فارتفعت الأنوار بقوة الحركة، وتكوّنت الأفلاك، والنيرات، والمجرات، و«الاستقصات»، المتحركة.

امتزج اللطيف بالكتيف، وتكوّنت الجمادات، والنبات، والحيوان والإنسان الناطق الفاضل. تم خلقه من نفس وجسد. من لطيف روحاني، وكتيف جسماني.

أوضح رسائله من هذا القبيل، الرسالة ١٤ آخر رسائل الكتاب الأول من «المعلوم الشريف»، وهي شرح لمهمة العقل، وعلاقة العالمين والدعاة به. كتبها جواباً على استفسار وجهه إليه أحد الدعاة. نلخصها بما يلي:

ليس علم التوحيد كعلم الفلاسفة. فلا الإحدانية كالواحد، ولا العال، الذي لا يُدرك، كعلّة العلم. بل الحقائق من المُعِلِّ الأحد، تُمنَح لعبده علة العلل الواحد، الذي يفيد العالمين، بما أيّده الله من حكمته، في كل عصر

وزمان. والناس بمنزلة التلاميذ. كل صبي منهم عليه طاعة أبيه أكثر من طاعة المعلم. ويحبّه أكثر منه.

إنّ الأب فوّض أمر ابنه الى المعلم. على أن الأمر الحقيقي الكلّي للأب. ولكن المعلم هو الذي يعلّمه الخير، وينهاه عن الشر... فإذا كان للمعلم خصال مذمومة كان الأب خصمه... كذلك «إمام الزمان»، عبد المولى جلّ ذكره؛ فهو مؤدّب العالم، ومرتبهم بالعلم الحقيقي. فوّض الله أمور عبيده الدينية إليه. وجعله علة لهم. وبه ثوابهم وعقابهم.

والمولى سبحانه المعبود. لكثته منزّه عن المشافهة والمخاطبة. وعن التربية والإفادة. فجميع أمور الدعاة والمأذونين والمكاسرين والمستجيبين راجعة الى الإمام (العقل) في كل عصر وزمان. يعزل، وينصب من يريد، ويُعطى من العلم الحقيقي. ليس له أن يدعو الى نفسه في العبادة... الإمام هو الأمير، وسائر الحدود بمنزلة الجنود، والمستجيبون بمنزلة الرعية، فُرِضت طاعته عليهم... جعل الله العقل إماماً - «لا إمام سوى العقل» - يصلون به الى معرفة الباري المُعِلّ المبدع الذي أبدع العقل.

علة العلل هو القائم بأمور الحدود. والحدود محيرون فيه. بعضهم يشكّون فيه، ويُنقصون من منزلته. وبعضهم يُغالون فيه، ويجعلونه المعبود الكلّي...

فمن أقر له بالإمامة، وبأنّه لا حول له ولا قوّة إلاّ بالله، زالت عنه الأمراض الدينية الحقيقية التي منها الموتة الأبدية. والله معلّل هذه العلة أي مبدعها... وهو العلّي الأعلى، بلا بداية، ولا نهاية، سبحانه وتعالى عما يصفون...

هناك علة عِلْم لا غير. لا ذات نطق ولا سمع، ولا شخص وقع عليه عيان، ولا إحاطة بتحقيق مكان...

وحزمة في الرسالة ١٧ يعرف الإمام وحدوده: يُسميه «السابق الحقيقي» الذي أبدعه الباري قبل جميع الحدود، وهو العقل الذي خلقه الله قبل الأشياء

كلّها، الإمام الذي أحصى فيه كلُّ شيء. يعرف العالمين ولا يعرفونه. نصب «التالي» من قبله. سُمّي تالياً لأنه يتلوّه في العلم. وقيل له «أساس» المستجيبين. أي أصل بنائهم. يجب عليهم طاعته، ما دام هو طائعاً للمولى، ولالإمام الذي نصبه. والإمام سُمّي «السابق» لأنه أوّل من سبق الى معرفة المولى سبحانه، ونطق بالحق ودعا الى توحيد الله. وسُمّي الثالث «الجد» لأنه جدّ في طلب العلم من الإمام. والرابع «الفتح» لأنه يفتح باب العهد على المستجيبين. والخامس «الخيال» لأنّه يلوّح بعلمه، بغير كشف ولا تبيان...

هؤلاء الخمسة مغيّبون عن عيون الجاهلين. من «العقل» يؤخذ العلم، وهو الوسيلة الى رحمة الله. و«الباب» الذي يدخلون منه الى توحيده. وهو يرَبّي «الحدود» بالمعرفة والحلم... ينطق بتأييد الله روحانياً بلا واسطة. والحدود يتكلمون من علمه هو...

## المجتمع الدرزي

أولاً - طبقنا المجتمع : عقال وجهال

ينقسم المجتمع الدرزي من الناحية الدينية الى قسمين : عقال وجهال، ومن الناحية الاجتماعية الى أمراء وفلاحين، ومن الناحية السياسية الى جنبلاطيين ويزبكيين، ومن قبل الى قيسيين ويمنيين. وما يعنينا الآن قسما المجتمع الديني : العقال والجهال.

أما العقال فهم القِيمون على دعوة الحق، والمحافظون على سريتها وسرية كتبها، والناسخون لرسائلها والشارحون لعقيدتها، والتمسكون بقواعد الأخلاق والسلوك النبيلة. هؤلاء يمسكون عن التدخين، وشرب الخمرة، واحتساء القهوة، ويمارسون الزهد والتقشف في المأكل والملبس والسكن، ويرفضون اخذ قرش واحد من الحكام والموظفين لظنهم بسوء مصدره، ويتجنبون الرذائل والشهوات، ويمتنعون عن الحرام من الطعام، ويصدقون في القول ولا يختلي أحدهم بامرأة، ولا يرد تحيتها إذا حيته، إلا إذا وجد بينهما ثالث.

يتميزون بزِيهم عن سائر المؤمنين. «فالعمامة المدوّرة لا يلبسها إلا المؤمنون الذين حفظوا جميع كتب «الحكمة». والأجاويد، الذين لهم لحى طويلة، يرتدون العباءات القصيرة ذات الكم النصفي والمخطط باللون الاحمر أو اللون الأسود. أما الأجاويد، الذين ليس لهم لحى، فيرتدون العباءات الحمراء المخططة بخطوط بيضاء صغيرة» (واقع الدروز لحافظ أبو مصلح).

يرنس الدروز اليوم شيخ عقل واحد، يسمّى بشيخ العقل، أو شيخ المشايخ، فيما كان لهم في الماضي، شيخان أو ثلاثة، تبعاً لاختلافاتهم السياسية.

ينقسم العقّال الى طبقتين: الطبقة الدنيا وهم الذين يحقّ لهم معرفة رسائل «القطن» والطبقة العليا وهم الذين يعرفون رموز الحكمة. وهناك قسم من العقّال يسمّون «الختامية»، أي الذين حفظوا الرسائل في ذهنهم. هؤلاء يعيشون منعزلين عن المجتمع الدرزي العادي، وهم يلجأون عادة الى خلوات؛ ذلك لأن المجتمع البسيط لم يعد بإمكانه تحمّل ما حصلوا عليه من الحكمة.

أما الجهّال فهم عامة الناس الذين لا يحقّ لهم سماع شيء من الحكمة أو من شروحاتها. بل يحقّ لهم أن يسمعوا «السجلات» الأربعة الأولى من مجموعة الرسائل. وهذه، كما نعلم، لا تمت الى العقيدة الدرزية بصلة. هؤلاء يحضرون المجالس الدرزية التي تقام مساء كل خميس لسماع الوعظ والارشاد العام، وأخذ بعض تعليمات خاصة، بحسب المناسبات السياسية والمواقف الموحّدة التي يتخذها الدروز حيالها.

لا يتميّز الجهّال في الدين أو في الزي بشيء، فهم يجهلون عن الدين كل شيء. ولكنهم، قبل بلوغ سن الأربعين بسنتين، يتدربون على استلام الدين، بممارسة الزهد والأعمال الصالحة... فان كان منهم من هو جدير بقبول الدين، سلّموه آياه، ولكن على درجات. وينصحون بلبس السراويل وارتداء ألوان غير زاهية.

ويكون التدرّج بقدر حفظهم الحكمة ومقدرتهم على صونها.

والنساء أيضاً، كالرجال، عاقلات وجاهلات، وشروط الانتقال هي نفسها كما عند الرجال.

### ثانياً - المرأة والزواج

في مجموعة الحكمة، عدد من الرسائل تفيدنا عن المرأة. فالمرأة،

عند الدورز، هي «عرض الرجل» وصيانتها أعزّ من صيانة النفس، يستमितون في الدفاع عنها، ويفاخرون به الشعوب. (مذهب الموحدين الدورز).

يشدّد الدورز جداً في الحفاظ على المرأة وتصرفاتها وأخلاقها... ويغارون عليها من أن تكون عرضة لكل ناظر... فيأمرونها بالحجاب والتستر والتعقّف وملازمة دارها... وبالبغون في الحصانة عليها «مبالغة أصبحت مضرب الأمثال. فليس في الانام جماعة كالدرور ظلّت ألف سنة لم يصبها الخلاط» (مذهب الموحدين الدورز، عبدالله النجار).

«ولا يعرف المجتمع الدرزي شيئاً من الزنا أو الخيانة الزوجية، أو ما شابه ذلك من المفاسد الاجتماعية... ولا يزال الحجاب الى الآن مضروباً على نساء الدورز، بل حجاب المرأة من صميم عقيدة الدورز». «وعقّة المرأة شرط لسلامة الزواج، وبتولية الفتاة شرط لعقده. ويفسخ إذا هي لم توافق عليه» (طائفة الدورز).

«لا يُسمح للدرزي بأن يتزوَّج أكثر من امرأة واحدة مهما كانت ظروفه الشخصية والدينية. وإنه من المحرم والممنوع على المرأة الدرزية المطلقة ان ترى زوجها أو أن تحضر في مجلس يضمّه» (واقع الدورز لحافظ ابو مصلح). والزواج محصور بين الموحدين والموحدات عملاً بشريعة قائم الزمان. وينتهي الدورز عن زواج «المتعة» المعروف عند الشيعة، أي الاستمتاع بالمرأة لوقت محدّد أما زواج درزي من غير درزية (يهودية أم نصرانية - لا مسلمة) فغير جائز. وأولادهما دروز. وزواج درزية من غير درزي (غير مسلم) فهو باطل. بل تحرم من الارث. والاولاد غير دروز. والشواذ اليوم حاصل. من ينهي نفسه عن الزواج وعن الشهوات فهو أفضل من الملائكة. وقد مارس هذه الفضيلة بعض مشايخ العقل، فانقطعوا، في تعقلهم، عن النساء والطيبات.

أما مساواة المرأة بالرجل فهو أمر طبيعي في الدين الدرزي... حتى أنّ المرأة المطلقة تحتفظ برتبتها الدينية التي كانت لها مع زوجها الاول. بيد

أنّ هذه المساواة لم تكن في جميع الأمور. فالمرأة لم تحظ بنفس الحرية، بل هي مقيدة بلبسها وخدرها ونظرتها الى الحياة. وأغرب ما في الدرزية كبت عاطفة المرأة كبتاً مرضياً رهيباً. وقد عبّرت عن ذلك «الآنسة عفيفة صعب» الدرزية أحسن تعبير، فقالت: «أخذت الرجل عنجهية الحفاظ على العرض فاستنكر العاطفة، وشدد من محاصرتها والحجر عليها، حتى تجاوز مسلك المرأة في ذلك حدّ الاحتشام والتحقّظ الى الرهبة والخوف...» (الواقع الدرزي). وتعبّر الادبية الدرزية «الآنسة نور سلمان» عن مرارة في نفسها حيال الوضع التعيس للمرأة الدرزية. فهي تخاطب أمها بألم وحزن مريرين، وكأنها تخاطب جميع الامهات، فتقول: «صوتك يا امي يعميني: «ابنتي دعينا والتهوّر... ابنتي التعقل... التعقل... احذري خداع الزمان... احذري المحبين... احذري احذري احذري... يا امي اتركي يدي... دعيني أطيّر... لا تقولي انتظري... الغد يناديني» (الواقع الدرزي).

### ثالثاً - اخلاق الموحدين وصفاتهم

يعتبر الدروز أنفسهم أفضل الامم وخير عباد الله. «فأنتم أفضل الامم وخير من وطىء الأرض بقدم، لأنكم عبدتم الموجود، وانعكفوا هم على عبادة العدم المفقود...» (رسالة الاعذار والانذار).

نظراً الى هذا الاختيار الإلهي منذ البدء، اضطرّ الدروز «الى أن يكونوا شديدي المحافظة على تقاليدهم القديمة، ولم يخلطوا بغيرهم من الشعوب... لذلك ظلّت اخلاقهم وعاداتهم هي نفس الاخلاق والعادات التي ورثوها جيلاً بعد جيل دون أن تتأثر بمؤثرات خارجية» (طائفة الدروز).

نتيجة ذلك، تحصّن الدروز في جبالهم، وتمسّكوا بتقاليد مجتمعهم المتوارثة، وانكمشوا عن سواهم: «ان حقيقة الدروز وواقعهم الصارخ لا نجدهما إلاّ حيث كثرتهم المنكمشة في حيث تقطن النصور».

هذا الانكماش، فرض عليهم، جملة مزايا:

أولها: التعقّف: «إنّ العفاف وقمع الشهوة أمر عظيم... فالله، عزّ وجلّ، ما خلق هذه الشهوة إلّا لأجل النسل لا غير. فالأولى والأليق والأجدر بالموحد انه لا يجمع زوجته إلّا للولد فقط... والجماع محرم أيضاً في حال الرضاع وفي حال الحمل...». وعلى الموحد «أن يكون غضيض الطرف، خاشع اللحظ، وآلاً يصغي الى غناء امرأة... لأن الاصفاء الى ذلك يحرك الشهوة...». فالمذهب الدرزي إذن يفرض على اتباعه الامتناع عن التمتّع بما أباحه القرآن الكريم للمؤمنين، وما أجاز من ملذّات الدنيا الحسية. ويعتبرها مناقضة للفضيلة أو للجودة التي ينميها التعقّف... (مذهب الموحدين الدروز).

وثانيها: الصبر والاحتمال: وهي فضيلة نشأت معهم في محتنتهم واستمرّت فيهم عبر تاريخهم. ويقدم بهاء الدين المقتنى جملة نصائح يحثهم فيها على الصبر: «اثبتوا فان العاقبة لمن ثبت وصبر وأغضى». «ومن صبر على برد القرّ نال خضرة الربيع» وعيدهم الأكبر في ذكرى النبي أيوب مثال الصابرين.

وثالثها: التمتّع عن المال الحرام. وهو أمر بالغ الأهمية في سعي الدرزي العاقل نحو الكمال. ومن المحرمات أيضاً أخذ الرّبا من بعضهم بعضاً، وإن كان جائزاً أخذه من الاضداد. «أما إذا كان لأحدهم عند أخيه مال، وعلم إعساره، صبر عليه. وإن سأله الزيادة دفع إليه».

ورابعها: العصية: قد يصعب الكلام على العصية في أيامنا هذه، لأن كل طائفة من الطوائف تتبرأ منها وتلصقها بسواها. وهذا شأن الدروز أيضاً. بيد انهم يقيمون الارض ويقعدونها إذا ما انتقص من حقهم. كما انهم يلومون أنفسهم إذ لم يكونوا على مستوى تعصبي مواز لسائر الطوائف. يقول عارف النكدي: «ليس من جماعة ضائعة فيه (المعترك الطائفي)، غائبة عنه، إلّا نحن بني معروف. ومرّد هذا الى عوامل، أهمها في رأينا أربعة: التساهل المزري، الضعف المخزي، الوحدة الممزّقة، القيادة الممزّقة» (الواقع الدرزي).

وفيما الجميع يشيد بمواقف المرحوم السيد كمال جنبلاط التقدمية المنفتحة على الشرق والغرب والفلسطينيين والمسلمين، ينسب حافظ ابو مصلح قوة جنبلاط الى جحافل الدروز الداعمة له، إذ كان «يستطيع أن يجمع حوله في ساعات معدودة عدة آلاف من الرجال من أجل القيام بحركة ثورية».

خامسها: الشجاعة. لا تقرأ كتاباً أو مقالاً في مناقب الدروز إلا وتجد في رأسها الشجاعة. بها عرّفوا أنفسهم وبها عرفهم الناس. عرّفنا رسائل الحكمة بحمزة قائم الزمان على أنه صاحب سيف الانتقام، وأنه في آخر الزمان سيحمل سيفه لقطع رقاب الملوك والجبابرة الملحدّين، وأنه أوصى «كلمته» ليوصي الموحدّين بحمل السلاح وأقلّه سكين. والدرزي اليوم، كما كان من ألف عام، يد على المحرّاث، وأخرى على السلاح. (الدروز وحنمية التطور).

هذه الشجاعة لم تكن يوماً لاقتحام الصعاب، والمغامرة بالمال والحياة لكسب عيش أفضل، اللهم إلا عند القليلين في أيامنا هذه. بل كانت شجاعة نادرة في الصبر والاحتمال. كثيراً ما يتغنّى الدروز بشجاعتهم نتيجة إيمانهم بالتقمّص. ففي اعتقادهم أنّ الدرزي لا يهاب الموت، لأن هناك حياة ثانية تنتظره، وهي قد تكون أفضل من الأولى، إذا ما كان صالحاً. أما إذا ما مات في سبيل الحكمة والعقيدة التوحيدية، فمما لا شك فيه، ان الحياة الثانية أحسن من الأولى...

## الفرائض

المذاهب الاسلامية، اختلفت في قضايا الإيمان والدين، أو العقيدة النظرية وممارستها الفعلية.

فكان علم الكلام أو الفلسفة اللاهوتية، وهي مزيج من المنطق والتحليل الفلسفي اللاهوتي، مبني على قواعد وأساليب يصعب الأخذ بها وإثباتها علمياً. إنه دخيل، نشأ مع المذاهب، لتبريرها أو لتسفيهاها.

وقد نشأت الفرق بعد وفاة معظم الصحابة، وعلى أثر الاستقرار السياسي، والفراغ من الحروب وفتوحاتها الكبرى. وقيل إن تلك الفرق بلغت ٧٣ فرقة.

ورافق علم الكلام ممارسة الدين، أو تطبيق النظرية الدينية على الحياة. فكان الشرع، من أجل سلامة المجتمع ضد الانحرافات والقلق والحيرة، ومن أجل طمأنينة الفرد وصيانة حقه.

فالصلاة، في ظاهرها، يرافقها معنى عميق. منه «أنها صلة بين المستجيبين والامام» عند أهل الباطن. وأنها «صلة القلوب بالتوحيد» عند الموحدين. وللأعياد معنى الخشوع والطاعة.

وتقول الرسالة: «إن الزكاة - في الحقيقة - تزكية القلوب، وتطهيرها». وكان للزكاة معنى آخر باطنياً أسقط «منعاً عن أذية أحد من النواصب، وقُريء بذلك سجل على رؤوس الأشهاد بأن لا يُلعن أحد» من الصحابة. في ذلك يقول المقرئ إن حظر السب لرفاق الرسول كان سنة ٣٩٨هـ. إذ منع

الحاكم ذلك السبّ الذي كانت تمارسه الشيعة الباطنية.

وللمصوم باطن هو الرياضة الروحية والتعبّد، بقول الرسالة ٧: «باطن الصوم الصمت». هنا، في قول ابن عباس، الصوم يعني الصمت، وفي قول ابن عبيدة: «كل ممسك عن طعام، أو كلام، أو سير، فهو صائم».

وللحجّ والجهاد كذلك جانب باطني آخر يضاف الى الظاهر، كما تضاف الى جميع الفرائض القرآنية «فرائض توحيدية» اخرى تضمنتها الرسالة ٦ وهي:

«أولها: وأعظمها صد اللسان.

وثانيها: حفظ الاخوان.

وثالثها: ترك عبادة العدم والبهتان.

ورابعها: البراءة من الأبالسة والطغيان.

وخامسها: توحيد المولى جلّ ذكره في كل عصر وزمان.

وسادسها: الرضى بفعله كيفما كان.

وسابعها: التسليم لأمره في السرّ والحدثان.

إنّ مذهب التوحيد يوصي بممارسة الفرائض القرآنية. وإثباتاً لقولنا نقتطف من الرسالة ١٥ ما يلي:

«ليس كل من عرف باطن شيء وجب عليه ترك ظاهره. وفي الأشياء ما لا يجب ترك ظاهره. ولو علّم تأويله على سبعين وجهاً. منها الطهارة، وباطنها البراءة من الأبالسة، وطهارة القلوب من محبتهم. فلا يجوز لأحد، ولا يستحسن العاقل إذا عرف باطن الطهارة، أن يدخل الخلاء، ويخرج ولا يغسل، ويقول إنه قد عرف. فإذا ترك طاهرها يتوسّخ ويقع عليه اسم النجاسة. بل يجب على من عرف الباطن أن يزيد من طهره ونظافته بدنه... كذلك أيّ رجل عرف باطن ثوبه ولبسه. وهو التقية والسترة، وإقامة الشريعة مع أهلها. واللفظ بهم».

هذه الثقة التي كثر القول عليها، يقول معها حمزة في الرسالة ٢١: «... واجمع شمل الموحدين. وكن لهم في نفاسهم، وأعراسهم، وجنائزهم، على السنة»...

وفي الرسالة ٣٣ من أجل التجاوب، في الفرائض الدينية، مع السنة، يوصي بقوله: «صونوا الحكمة عن غير أهلها... واستتروا بالمألوف عند أهله... فأنتم ترونهم من حيث لا يرونكم... وهم عما في أيديكم غافلون. وعما اقتبستموه من نور الحكمة محجوبون... لقد جهلوا وعرفتم».

لذلك جاء في رسالة المذهب الأولى المسماة «السجل الذي وُجد معلقاً على المشاهد» أنّ الحاكم أنعم على الناس «باحياء سنن الاسلام والايمان، التي هي الدين عند الله... وبنى الجوامع وشيّد بها، وعمر المساجد وزخرفها، وأقام الصلاة في أوقاتها، والزكاة في حقها وواجباتها، وأقام الحج، والجهاد، وعمر بيت الله الحرام، وأقام دعائم الاسلام. وأيدكم بما خصّه الله من حكمته، ليهديكم بها الى رحمته، ويحثكم على طاعته وطاعة رسوله... وفتح لكم خارج قصره دار علم حوت من جميع علوم الدين وآدابه... فواظبوا على ذلك قبل أن تحقّ الحاقة، وتقرع القارعة، ويغلق باب الرحمة... وقد أعذر من أنذر»...

وأنهت الرسالة بهذه العبارات: «وصلّى الله على محمد سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين، وسلّم على آله الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

أما الزمن الذي نشأ فيه هذا المذهب، كما ذكرنا من قبل، فقد كان زمن نهضة فكرية جامحة. جال فيها العقل جولته، وصال صولته، وأقبل الناس على العلم يسلطون الأنوار، على كل خفيّ من الأسرار، يستكشفون بها ما وراء كل عصيّ من الأسرار. حتى إن «الرشيد» أمر أن تُلحق مدرسة بكل مسجد، وكانت مكتبة القاهرة تحتوي مئة ألف مجلد. وفي الأندلس

سبعون مكتبة عمومية، في إحداها ستمائة ألف مجلد. ولم يخل بيت عربي في اسبانيا من مكتبة خاصة. ومن أغرب ما يُروى أن سلطان بخارى دعا إليه طبيباً أندلسياً شهيراً فأجابه أنه يحتاج الى أربعماية جمل لحمل كتبه التي لا يستغني عنها. كل هذا قبل عهد الطباعة.

ولم يكن التنافس بين العباسيين في المشرق، والأمويين في الأندلس، والفاطميين في مصر، مقصوراً على بسط السلطان وتوسيع رقعة المُلْك. بل عداهما، وكاد ينصرف عنهما، الى نشر العلم. وها إنَّ جامعة الأزهر لا تزال مزدهرة حتى يومنا هذا.

وامتدت يد العلم الى حرم الدين وسننه. ممَّا أثار غُلاة النقل على غُلاة العقل. حتى أصبح الرمي بالزندقة من بدايات الغاضبين للدين. وعُدَّ كلُّ مُحدث بدعة في رأي الناقليين. لم ينج من ذلك عدد من الإئمة العظام، كالغزالي الذي أحرقت كتبه في غرناطة وأشهرها كتاب «إحياء علوم الدين». وغيره، كابن تيمية، والأشعري، والباقلاني، والإسفراييني، والأصفهاني. وابن العربي، والطبري. وغيرهم كثيرون.

## الأخلاق

«الجودة» أي الصلاح، في فلسفة المذهب، ليست وسيلة لغاية وحسب. إنها حالة عقلية مستمرة في تطوير الروح الإنسانية نحو الكمال. وخلافاً لفلسفة اللذة «الهدونية»، تقوم هذه الجودة بترويض النفس على الحرمان والشظف و«قهر» الذات وتقويمها، من أجل تجويدها.

يفرض المذهب على أتباعه الامتناع عن التمتع بما أباحه القرآن الكريم للمؤمنين، وما أجازته من ملذات الدنيا الحسية. ويعتبرها مناقضة للفضيلة أو للجودة التي ينميها التعفف. حتى إنّ المفرقين في «الجودة»، كثيراً ما يُسمعون مستغفرين ربهم من طعام استطابوه، أو راحة استساغوها.

فالسعادة عندهم هي في التوجه الى الله مهما كانت السبل شاقة مشقية. وهذا هو التداخل والتشابك بين اللذات الروحية والآلام الحسية. أو بين ما يسميه الاخلاقيون مسرات صالحة ومسرات خاطئة، بإدخال عنصر الحكمة بالتوجه. في هذا التوجه سرّ زهدهم في المأكل والمشرب، والموسيقى، والغناء، والتصوير، وسائر ما يُصافح العين من فنون.

مقياس فضيلة الحرمان عندهم، ما تشيعه من الخير في إيجابيتها، وما تنشره من النفع في امتدادها، وفاقاً لفريضتهم الثانية من الفرائض السبع، «حفظ الاخوان». وهي، عدا فائدتها للآخرين، مرتبطة بالمعرفة.

يقولون إن اللذة الحقيقية تنبجس من إشباع التشوق الى المعرفة.

إنّ الرواقيين يقتصرون، في تقدير الفضيلة، على إيجابيتها وتطبيقها

علمياً. أما «الحكمة» فتعتبرها ناقصة إذا لم تنبثق من المعرفة التي توجهها في امتدادها منها. بحيث تضل إذا انفصلت عنها. فتفقد الضابط العقلي. وتحدد الرغبة بالروح عن مسالك الصواب.

المؤمنون بهذه الحكمة يتقبلون الفرح والحزن، واللذة والألم، بالرضى والتسليم. ويعذونها تجريباً وامتحاناً لقوة الإرادة والاحتمال والثبات على الإيمان في مراقبي تطهير الروح. فإنهم يتقبلون الألم آمليين أن يسفر تغلبهم عليه عن نشوة روحية. وتبلغ المسرة أوجها عند زوال الألم. وهم فوق ذلك يقصدون سعادة الحصول على الثواب الروحي. وفي ذلك تقول الرسالة ١٨: «من صبر على قضاء الله عبر به قضاء الله وهو مأجور. ومن جزع من قضاء الله عبر به قضاء الله وهو مأثوم».

يشهد لهم كل من يعايشهم، بالعزوف عن المسرات واللاهي، وبالإعراض عن شهوات الجسد. فإنهم يعتبرونه عنصراً غريباً، أو ثوباً يجري فيه امتحان الروح واختباراتهما، عبر الأجيال حتى يوم الحساب. ولكنهم ينكرون العزوبية مرددين: «لا رهبانية في الاسلام». ومع ذلك تقول الرسالة ١٥: «لو أن رجلاً مؤمناً عاش مائة سنة ولم يتزوج ولم يعرف حراماً لم ينقص ذلك من منزلته في الدين شيئاً. وكذلك المرأة»...

أما وصاياهم الأخلاقية فأهمه الحث على الصدق والعدل. والصدق، كما رأينا آنفاً، أول الفروض.

في ذلك تقول الرسالة ٩:

«ألزمتكم بصدق اللسان، وحفظ الاخوان... فمن لم يكن صادقاً بلسانه، فهو بالقلب أكذب يقيناً، وأكثر نفاقاً. واعلموا أن الصدق هو الايمان والتوحيد بكماله... إن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور».

وتقول الرسالة ٢١:

إحذر من الزيادة في الألفاظ والنقصان منها... وقل الحق. ولا تخش إلا ذنبك».

وتنهي الرسالة ٧٧ عن الزور والافتراء، وتقول:

«من قال في أخيه ما ليس فيه، أو حَرَفَ قوله، أو حَلَلَ شيئاً ممَّا حرَّمه الامام... فقد جحد الايمان».

ويوصي حمزة في الرسالة ١٠:

«على كل مستجيب أن يكون قوله بالعمل ممزوجاً، وقلبه بالرضى والتسليم مدروجاً، وبيته بالعدل والتوحيد منسوجاً. ومن دخل الى التوحيد ميلاً الى الراحة والإباحة وكان مذهبه قولاً باللسان بلا تصديق بالجنان، كذَّبتَه شواهد الامتحان... اصبروا وصابروا في البأساء والضراء... والزموا ما أمرتكم به في كتبني من صدق اللسان وحفظ الاخوان والرضى والتسليم...».

إنَّ الرسالة ٣٥ تأمر بقول الحق دون خشية. فإنَّ «من خشي من بشر مثله، سُلَّطَ عليه». وهو ما يرذِّده أتباع هذا المذهب.

وتخاطب الرسالة ٦٣ الأبناء بما يلي:

«أيها الولد، عصمك الباري من نزعات الأبالسة والشياطين، وجنِّبك مهاوي الغاوين المارقين، وجعلك لأوامر وليِّ الحق متبعاً مُصَدِّقاً... ولقُمُصِ العُجْب والاستكبار خالِعاً مَمْرَقاً... وحماك من التلبس بأهل التمويه والسخرية، الذين عكست نفوسهم الآراء الخبيثة... وأوردتها حياض العقوق... واستلذاذ المآلف البهيمية... فالنفوس النفيسة تتعالى عن الرذائل، آتفة من الانسفال، منزَّهة عن اللدد... فاقتد أيها الولد الصالح بمآثر أهل الدين والفضل، وزن فعلك بقسطاس الحق والعدل...».

إنَّ كتب الحكمة تفيض بمثل هذه الرصايا. وما أوردناه منها كان مثلاً موجزاً لها ننهيه بما ورد في الرسالة ٧٨:

«يا إخوة، إنَّ من يعتقد ان الله حق، يتحقق انه لا يستخلف على العالم إلاَّ عادلاً منصفاً... فأنصفوا نفوسكم بالتفكُّر بالحق ومعرفة أهله... وتقرَّبوا الى الله بصالح الأعمال».

يقول الإمام عليّ كرم الله وجهه: «الدين المعاملة». والدروز اشتهروا بأنهم في معاملتهم ألصق الناس بعقيدتهم. يترفعون عن الدنيا. ويجتنبون المال الحرام، ويبتعدون عن أبواب الموسرين والحكام، زهداً في متاع الدنيا، والمكاسب المتهمة بالابتزاز.

المعاملة والأخلاق عندهم مقياس الدين. على أن الزمان يدور بأهله، ويصهر أشتاتهم في بوتقته. إنه عدو العزلة والتفاوت والانفراد. وقد دار بالدروز دورته، وسار فيهم سيرته، فهم اليوم غيرهم أمس. وغداً غيرهم اليوم. ولكنهم لم يفقدوا ما تميّزوا به من المناقب والسجايا. وما زالوا مبرزين في الأمانة والوفاء، والكرم، ورقة الشماثل والشمم.

## الخلوات والمقامات الدرزية

لا مساجد ولا جوامع في الدرزية. ولئن كان منها شيء فهو «جوامع أثرية». ويصرّح بذلك المرحوم كمال جنبلاط بقوله: «وليس لدينا كنيسة ولا مسجد بالمعنى المعروف للكلمة».

أما أمكنة التعبّد في الدرزية فهي على ثلاثة أنواع: المجلس، والخلوة، والمقام. أما المجلس فهو مكان لاجتماع العموم يوجد منه، على الأقل، واحد في كل قرية أو مجموعة درزية. وأما الخلوة فهي مكان خاص بأحد المتدينين، يختلي فيها الموحّد العاقل التقى المتعبّد لربّه. وأما المقام فهو مزار مخصّص لأحد حدود الدعوة في ظهوراتهم المتعددة عبر التاريخ، أو لأحد الأنبياء الصالحين. يأتيه الدرّوز، في مناسبات سنوية معينة لتبرك من ترابه، والصلاة على روح صاحبه.

### أشهر الخلوات الدرزية

#### ١ - خلوات البياضة:

تقع على تلة مرتفعة تشرف على حاصبيا وفلسطين والبحر وسهل مرجعيون وقسم كبير من البقاع. تعدّ خلوات البياضة المركز الديني المشترك لدرّوز العالم قاطبة. فيها يقوم المشايخ بنسخ كتب الحكمة وشروحاتها. عند فقدان كتاب من مجلس ما أو خلوة، يرسل عوضه كتاب آخر من نسخ البياضة. ويمارس المشايخ في هذه الخلوات العبادة والزهد والتأمل، ويحفظون الكتب غيباً ويتممون مختلف الفرائض التوحيدية. يعيش المشايخ

من محصول الأراضي الزراعية العائدة لوقف الخلوة. ورغم انقطاعهم عن الناس، فإنهم يقومون بين الحين والآخر بزيارات اجتماعية، كما أنَّ باستطاعتهم التوفيق بين المتخصصين من الدروز، «وأن يحسروا نار الحقد والتعصب البغيض، وأن يغرسوا بذور الوفاق الاجتماعي، ويقوّوا روابط المحبة» (واقع الدروز، حافظ ابو مصلح).

## ٢ - خلوة القطالب:

خلوة قديمة، ترجع الى أيام الأمير السيد في القرن الخامس عشر. تقع على تلة صغيرة، مشرفة على عين قنية في الشوف. رشّت جدرانها كلها باللون الأبيض. فيها يقرأ المتعبّد الحكمة، ويطلع على كل التفسيرات الدينية الضرورية لحياته الروحية. «والوافدون إليها هم في العادة اناس بسطاء سليمو الطوية ويطمحون الى القداسة».

## ٣ - خلوة عين الشاوي:

تقع في عبيه على مقربة من الكلية الداودية. بناء قديم شبه مهممل الآن ربّما لوجود مقام الأمير السيد بالقرب منه والذي يستقطب معظم الوافدين.

## أشهر المقامات

### ١ - مقام شملبخ:

يدعى أيضاً مقام سيدنا لوقا - الانجيلي - الذي مثل في دوره بهاء الدين المقتنى. بني تخليداً لذكرى إقامة بهاء الدين ليلة واحدة، وهو في طريقه الى دمشق. يقع بالقرب من بلدة شارون ويتألف من سبع عشرة غرفة وساحة فسيحة في وسطها ثلاث شجرات وارقة الظل.

### ٢ - مقام النبي أيوب:

هو نفسه أيوب التوراة. يقع المقام فوق بلدة نيبا الشوف، في مكان غني بالمناظر الطبيعية الجميلة على ارتفاع ١٤٠٠ متراً. يتألف من ساحة رئيسة محاطة بعشرين غرفة حجرية صغيرة. وفي أعلاها غرفة المقام، تدخلها

من باب صغير بعد أن تخلع حذاءك من رجليك . يزوره الدروز كل نهار جمعة . أما اجلال هذا المقام وتكريمه في صيف كل عام فيعود الى ما يرمز إليه النبي أيوب من «الصبر والاحتمال» فضيلة الدروز العظمى .

### ٣ - مقام الأمير السيد جمال الدين التنوخي :

يقع الى الجنوب من بلدة عبيه . فيه رفات صاحبه وذكره الطيّب . يؤمه الزوّار من أصقاع البلاد ملتسمين بركاته طاللين من رضاه «الصبر والاحتمال» . يغطّي أرض المقام سجّاد مزركش وتكثر في زواياه الهدايا على مختلف أنواعها من شموع وساعات وأعلام ملوّنة . . .

### ٤ - مقام المسيح (في سوريا) :

يقع في جبل حوران . يقال أن المسيح التجأ مرّة الى هذه القمة حيث عقد حلقة سرّية مع تلاميذه . والمسيح هو تجسّد العقل وهو قائم الزمان حمزة . يتألف هذا المقام من ست غرف واسطبل كبير للحيوانات .

### ٥ - مقام شعيب (في فلسطين) :

وشعيب هو من «مدين» أنكره شعبه وجحدوا نبوّته فهاجر من بلده الى فلسطين حيث مات في حطين عند سفح الجبل في أعلى طبرية . يحتفل بذكره في ٢٥ نيسان من كل عام ، وتقام فيه الاحتفالات الدينية التي تنقل الى العالم بواسطة الراديو والتلفزيون . وشعيب هو حمزة في عهد موسى ، وهو الذي اصطنع موسى وأفضى بالحق إليه ، وهو مرسله .

### ثالثاً - مشيخة العقل

«مشيخة العقل» هي المركز الذي يستعيز به الدروز ، اليوم ، عن مقام «الامامة» . «ان هذه الزعامة الروحية الاصيلة - على حد قول المرحوم كمال جنبلاط - هي اشتقاق معنوي وامتداد تاريخي لفكرة الامامة . . . وهي نوعان : ولاية تنظيم ورعاية للمصالح الشرعية والروحية الظاهرة للجماعة ، وولاية استرشاد بالمثل الأفضل واهتداء بالولاء الأرفع . . . والأقرب الى تمثيل فكرة

الامامة هو قيام الولايتين ووجودهما وتوحدهما في الشخص ذاته» (أضواء على مسلك التوحيد).

كان مقر شيخ العقل محصوراً في لبنان، وصلاحياته تشمل جميع الدروز حيثما وجدوا. لُقّب شيخ العقل، في الماضي، بعدة أسماء. فكان يدعى بشيخ العصر، وشيخ العقال، وشيخ المشايخ... يعاونه عدد من المشايخ الذين سمّوا هم أيضاً بشيوخ العقل. وكان عددهم في الغالب أربعة ليتم بهم عدد الحدود الخمسة. لقد تعود الدروز أن ينظروا، منذ القدم، الى مقام المشيخة نظرة احترام وتكريم. يرون في احترامه احترام ذواتهم ويلحظون فيه الرمز القائم لعظمة الامامة وهبتها.

كان الشيخ منذ توليه يتقطع عن أي عمل دنيوي ويعيش من الهدايا التي كانت تأتيه من مختلف النواحي. وكانت حياته بسيطة منظمة وأعماله روحية... وكان مشايخ العقل يعيشون ممّا يأتيهم من رزق يوصى لهم به.

استمرّ شيخ العقل واحداً لكل الدروز حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر، بسبب خلاف نشب بين البشيرين: الامير بشير الشهابي الثاني والشيخ بشير جنبلاط. وانقسمت مشيخة العقل بين الحزبين الدرزين الكبيرين فكان شيخ عقل لليزبكيين وآخر للجنبلاطيين...

وبعد الحرب العالمية الأولى، عند تقسيم الدول العربية، انقسمت أيضاً المشيخة شتاتاً: فكان لسوريا ثلاثة مشايخ، وشيخ لفلسطين، وكان عددهم في لبنان يتراوح بين شيخين وثلاثة. أما اليوم فانحصرت المشيخة في واحد.

«وكانت عهود لم يصل إلينا أي خبر عن أي شيخ في أثنائها وقد يكون سبب ذلك شدة القهر على الدروز...» هذا القهر توالى عليهم منذ غيبة الشيخ الأول بهاء الدين المقتنى، مروراً بالفاطميين والصليبيين وصلاح الدين والمماليك حتى الاحتلال العثماني... طوال هذه الحقبة، لفّ الغموض تاريخ مشيخة العقل.

ومع هذا لمعت أسماء بعض المشايخ، في مدة القهر هذه، نذكر منهم:

١ - الأمير عيسى التنوخي: هو الجد الخامس للأمير عيسى المعاصر للأمير السيد. عرف عنه جمع كتب الحكمة في ستة أجزاء. في الجزئين الاول والثاني جمع رسائل حمزة بن علي واسماعيل التميمي، وفي الاربعة الباقية رسائل بهاء الدين المقتنى. وعدد رسائلها جميعها ١٠٧ رسائل لا ١١١ كما هي عليه اليوم... «لذلك يكون له فضل كبير على كل موحد».

٢ - الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي المعروف بالأمير السيد (١٤١٧ - ١٤٧٩م) «لعلّه أكبر شخصية علمية بين الدروز منذ بهاء الدين المقتنى». وقد لا يماثله أحد بين الدروز بسعة اطلاعه، وعمق سرّه، ووفرة شروحاته للحكمة، وشمول معرفته، وقدااسة سيرته، وتجلّده على النكبات، واستثناسه بالقرآن والاسلام... ومميّزاته الدرزية العميقة الاغوار والاسرار. (مذاهب الاسلاميين: الدروز، عبد الرحمن بدوي).

وُلد في عبيه، رحل الى دمشق في طلب العلم، رزق ثلاثة أولاد وبنات، توفوا جميعاً في حياته، وكان آخرهم عبد الخالق الذي توفي برفسة بغلة ليلة الاحتفال بعمره... فتجلّد الأمير وتصبّر واحتمل. وأكمل المحتفلون أفراحهم بعرس الأمير المغدور برفسة. يصف لنا ابن سباط زهد الأمير في أواخر حياته فيقول: «كان يسهر الليالي في طاعة ربّه وينام ثلثه. وكان يجلس أكثر لياليه لا يشغل بأمور دنيوية. ولا حكايات في غير الحكمة...». عرف عنه انه «أمر بعمارة المساجد في القرى وتجديد الجوامع وإنشاء الاوقاف... وأقام الخطب أيام الجمععات في كل قرية... ثم شدّد على القراءة الصحيحة في القرآن الكريم...» (التنوخي الأمير جمال الدين، عجاج نويهض).

بيد انه، إذا علمنا أنّ الدروز، حتى يومنا هذا، يعدّون الأمير السيد قطباً من أقطاب التوحيد، وان قبره في عبيه، لا يزال محجة يتصدها الدروز للزيارة والتبرّك، وأن شروحاته لرسائل الحكمة تنال عناية فائقة لدى شيوخ العقل حتى الآن. وأن هذه الشروحات نفسها سرّية كسرّية الححمه نفسها...

٣ - الشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين (١٥٠٥ - ١٥٥٧م). وُلد في كفرمتى. تأتى منزلته في تفسير رسائل الحكمة بعد الأمير السيد. من مؤلفاته وهي أيضاً سرّية: قاموس الحكمة، النقط والدوائر، مختصر البيان في مجرى الزمان...

٤ - الشيخ محمد ابو هلال: من قرية الشعيرة من أعمال وادي التيم. رعى الماعز ثم احترف الزراعة. وكان الى جانب ذلك يتعلم حتى اشتهر بعلمه وفضله. عاصر الأمير فخر الدين المعني الكبير، وتوفي سنة ١٦٤٠م في قرية عين عطاء قضاء راشيا. وله عدد من القصائد تنشد في المعابد. اشتهر الشيخ محمد بالورع والزهد واعتزال الناس. واتخذ الخشن من اللباس والجاف من الطعام وتوزّع عن كثير من الملذّات البدنية.

٥ - الشيخ ابو زين الدين يوسف ابو شقرا: عاصر الأمير يوسف الشهابي الذي تولّى حكم لبنان من ١٧٦٢ حتى سنة ١٧٧٠م.

٦ - الشيخ علي جنبلاط جدّ الشيخ بشير (+ ١٧٧٨م). عاصر الأمير حيدر الشهابي والامير ملحم ومات في نهاية عهد الامير يوسف الشهابي.

ولمّا انتقلت الامارة من المعنيين الى الشهابيين عمد الامير ملحم الى قسمة الدرّوز جنبلاطين ويزبكيين، فانقسمت لذلك مشيخة العقل بين الشيخ علي جنبلاط والشيخ عبد السلام يزبك عماد.

واستمرّت القسمة الى مشيختين الى حين وفاة الشيخ اليزبكي رشيد حماده، فاستقلّ الشيخ محمد ابو شقرا من عماطور وحده بالمشيخة الدرزية في لبنان.

## مراجع البحث

- العقيدة الدرزية، أنور ياسين.
- مذهب الموحدين الدروز، عبدالله التجار.
- Le Mandat Français en Syrie, Jean La Pierre.
- Notes de Géographie Syrienne, H. Lammens.
- الامامة في الاسلام، عارف تامر.
- الممل والنحل، الشهرستاني.
- فرق الشيعة، النوبختي.
- تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ.
- تاريخ المذاهب الاسلامية، محمد ابو زهرة.
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، علي سامي النشار.
- أخبار الخلفاء، الثعالبي.
- الاصحوية في أمر المعاد، ابن سينا.
- عقائد الامامية، محمد رضا المظفر.
- الحركات الباطنية في الاسلام، مصطفى غالب.
- أضواء على مذهب الدروز؛ توفيق سليمان.

- تاريخ الدولة الفاطمية، الدكتور حسن ابراهيم حسن.
- أصل الموحدين، أمين طليع.
- واقع الدروز، حافظ ابو مصلح.
- مذاهب الاسلاميين: الدروز، عبد الرحمن بدوي.

## فهرس المحتويات

### الدروز الموحدون

٧	..... مقدمة
١٠	..... مذهب الموحدين الدروز
١٠	..... الدولة الفاطمية قبل عصر الحاكم
١١	..... المصادر التاريخية
١٤	..... غرابة الأحكام
١٧	..... شهادة حمزة
١٨	..... نشأة الدرزية ٤٠٨ - ٤١١ هـ
٢٠	..... التحريف والحشو في رسائل الحكمة
٢٢	..... الوهية الحاكم
٢٣	..... التوحيد
٢٦	..... من هم الدروز
٢٩	..... التقية
٣٣	..... التجلي الإلهي
٣٧	..... الباطنية

٤٠	سفر التكوين الدرزي وأدواره
٤٥	مراتب الباطنية
٥٠	أدوار الاعداد للكشف الحاكمي
٥٣	حدود دعوة التوحيد
٦٣	جهاز الدعوة
٦٦	بين التوحيد والباطنية
٦٩	العقل
٧٣	مذاهب العقل
٨٢	التقمُّص
٨٥	المسخ
٨٩	المَعَاد عند الدروز
٩٥	النطق
٩٩	التخيير
١٠٤	العقاب والثواب
١٠٧	التوحيد
١١٢	أسفار الخليقة
١١٦	المقامات السبعة
١١٩	الفاطميون (الباطنيون)
١٢٢	الحاكم بأمر الله
١٢٦	موقف الدرزية من الأنبياء والأديان كافة
١٣٣	الاسلام في العقيدة الدرزية أو بين العقل والنبي

نتيجة المجابهة بين الدرزية والاسلام.....	١٣٧
محنة الدروز وشدة الاضطهاد.....	١٣٧
التقية.....	١٣٩
استعمال الرموز والتأويل.....	١٤١
تاريخ «التوحيد».....	١٤٤
دعائم دين التوحيد.....	١٥٣
حمزة.....	١٥٦
رسالة حمزة.....	١٦٣
المجتمع الدرزي.....	١٦٧
الفرائض.....	١٧٣
الأخلاق.....	١٧٧
الخلوات والمقامات الدرزية.....	١٨١
مراجع البحث.....	١٨٧



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی